من فضل الله تعالى على
عبده محمد ابي النصر ابي بكر
القسام العمري عفي عنه

كتاب اليميني

تصنيف الشيخ الامام الاستاذ ابي النصر
عبد الجبار محمد بن العتبي رحمة الله عليه

سير السلطان محمود سبكتكين



[illegible] كف [illegible] الا لم وهو الدر [illegible] الا في الكرم
لكنه اصدق قول نبينا [illegible] بذل يحشى بالاسقم

وحملة جالت ان حسبي [illegible] الفوائد [illegible]
[illegible] الى من [illegible] لما كان يشكو الدهر قط كريم

[illegible] السبحة الجميلة من وقف مولانا صاحب الخيرات الحسان
حضرت اغا دار السعادة الحاج بشير وفقه الله تعالى
من [illegible] على كل شيء قدير [illegible] العظيم
[illegible] المحرمين

حفظ عبد [illegible] الله [illegible]
اغاي دار السعادة [illegible]
الشريفة [illegible]

[illegible] الفقير محمد هاشم
عفي الله عنه





٤٦٠



بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير

الحمد لله الظاهر باياته الباطن بذاته القريب برحمته البعيد
بعزته الكريم بالائه العظيم بكبريائه القادر فلا يمانع والقاهر
فلا ينازع والعزيز فلا يضام والمنيع فلا يرام والمليك الذي له
الاقضية والاحكام الذي تفرد بالبقاء وتوحد بالعز والسنا
واستاثر بمحاسن الاسماء وذلك عند ربه بخلق الارض والسما كان
ولا مكان ولا زمان ولا بنيان ولا ملك ولا انسان ثم اوجد المعدوم
ابتداعا واحدث ما لم يكن انشاء واختراعا جل وتعالى فيما خلق عن احتذا
صورة واستبداع مشورة واقتفار رسم ومثال وافتقار الى نظير واشكال
واستدلال ففي كل ما ابدع وصنع وفطر وشرع دليل على انه الواحد
بلا شريك ووزير والقادر بلا ظهير ونصير والعالم بلا تبصير
وتذكير والحكيم بلا روية وتفكير والحي الذي لا يموت بيده
الخير وهو على كل شي قدير رفع السما عبرة للنظار وعلة للظلم والانوار
وسببا للغيوث والامطار وجبوة للسهول والقفار ومعاشا للوحوش
والاطيار ووضع الارض مهادا للابدان وقرارا للحيوان وفراشا للجنوب
والمضاجع وبساطا للمكاسب والمنافع وذلولا لطلاب الرزق وارباب
البضايع واشخص الجبال اوتادا راسية واعلاما بادية وعيونا
جارية وارجاما لاجنة الاعلام وجعل البحار مغايض لفضول
الانهار ومغاور لمياه الامطار ومراكب لرفاق التجار ومجاري
لمصالح الاقطار ومنابع الاوطار تخرج من الذهب والمرجان نباتا ونبيع
بين الملح الاجاج عذبا فراتا وتقذف للاكلين لحما طريا وتجلي للابسين
جواهر وحليا واستخلف على عمارة عالمه من انتخبهم من خلقه واثرهم
بالهامه ودبرهم باوامره واحكامه وكان اعلم بهم من ملايكته حيث
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني اعلم ما لا تعلمون واقام عليهم مهيمنا من لدنه يهديهم
الرشاد ويجنبهم الفساد ويرغبهم الثواب ويرهبهم العقاب
ولم يقتصر على ما اقامه بهم من الحجة واوضحه من المحجة حتى انبعث
الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين بالمعجزات الباهرة والدلالات
الزاهرة والبينات المتظاهرة داعين الى توحيده ونادبين لتسبيحه
وتمجيده فازاح بهم العلة وازال الشبهة وافاد سكون النفوس
ونفى خلاج الشكوك ولم يزل يستحدث من يشا من خليقته مومنين
بسنن الانبيا ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة والامرا
حتى انتهت نوبة الخلق الى زمن النبي المصطفى الامي المجتبى الابطحي
المرتضى محمد صلى الله عليه وعلى اله فارسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا وجعل امته بذلك افضل الامم وكلمتهم اعدل
الكلم وملتهم اوسط الملل وقبلتهم اسد القبل وسنتهم اقوم
السنن وكتابهم اشرف الكتب ووعدهم ان يكونوا يوم العدل
والقضا الفصل شهدا على من يظهر الجحود وينكر الواحد المعبود



قال الله تعالى جده وهو اصدق القائلين واحكم الحاكمين وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا افصحت بشرعته الشرايع وبصنيعته الصنايع وبدليله
الادلة وببدره الاقمار والاهلة وانتشرت نبوته مبتداة بالخلاص
ملجمة بالاخلاص معلمة بالتمام مطرزة بالدوام على تعاقب الليالي
والايام لم يفرط منها في شي يقتضي تماما ويستدعي زيادة والحاما قال
الله جده اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فاطلق على الدين لفظ الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال وانتقائه
عن عوارض النقص والاخلال الى ان قبضه الله تعالى اليه مشكور السعي
والاثر ممدوح المخبر والمظهر مرضي السمع والبصر محمود العيان والخبر
فاستخلف في امته الثقلين اللذين تحميان الاقلام ان تزل والاحلام
ان تضل والقلوب ان تمرض والسلوك ان تعترض فمن تمسك بهما
فقد امن العثار وربح التجار ومن صدف عنهما فقد اساء الاختيار
وركب الخسار وارتبك الادبار اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فصلى الله عليه وعلى آله ما انبلج
الليل عن الصباح واقترن العز باطراف الرماح ونادى المنادي
حي على الفلاح صلوة تكافي حسن بلائه وتضاهي سوابق عنايته وتقضي
فرض طاعته وتقتضي فضل شفاعته وسلم تسليما كثيرا
وبعد فان الدين والملك توامان فالدين اس والملك حارس وما لا اس
له فضايع وما لا حارس له فمهدوم والسلطان ظل الله سبحانه في ارضه
وخليفته على خلقه وامينه على رعاية حقه به تتم السياسة وبه تستقيم
الخاصة والعامة وبهيبته ترتفع الحوادث والفتن وبآلته تنحسم
المخاوف والمحن ولولاه لانحل النظام وتساوى الخاص والعام وشمل
الهرج والمرج وعم الاضطراب والهيج واشرابت النفوس الى ما في طبايعها
من التباغي والتباين والتفاضل والتمايز حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم
معاشا ومعادا او نعيما او دنيا يوما وغدا والى هذا المعنى يلتفت قول
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران اذ كان
اكثر الناس يرون ظاهر السياسات فيردعهم خوف المعاقبة وحذار
المواخذة عن تنكب الجدد والعدول عن السمت المقتصد ومن الناس من
يستقري آي كتاب الله بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه
منها اماما يهديه الى الاصلح ويثنيه عن الاقبح فيكون مؤدب نفسه
ومقوم ذاته ورايض اخلاقه وعاداته ومعنى حديث عمر رضي الله عنه منتزع
من قوله تعالى وجل ذكره لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم
قوم لا يفقهون فموضوع السيف للعامة ومجموع القران للخاصة وان كان
الجميع في معانيه مشتركا وباوامره ونواهيه مرتبطا فان العامي يرى فيرتدع
والخاصي يرى الحق فيتبع وشتان ما بين مدبر ومستجر بغيره ومؤدب
ومهذب بنور ربه وقد كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى لقد
ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم

الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله
من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز فجمعه بين الكتاب والميزان
والحديد مع تباين ظاهرها في المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط عن جواب
المشاكلة والمجانسة وسالت عنه عدة من اعيان العلما بالتفسير
والمشهورين من بينهم بالتذكير فلم احصل منهم على جواب يزيح العلة ويشفي
الصدر وينقع الغلة حتى اعملت الفكر وامعنت التدبر فوجدت الكتاب
قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل
الفرايض ويتضمن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود
قد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وامر بالتناصف
والتعادل في اقسام الارزاق المخرجة لهم بين رجع السما وصدع الارض ليكون
ما يصل منها الى اهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب
واحتاجوا في اسباب حيوتهم باقواتهم مع النصفة المندوب اليها الى استعمال
الة للتعدل يقع بها التعامل يعم معها التساوي والتعادل فالهمهم الله
اتخاذ الالة التي هي الميزان فيما ياخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته
فيهلكوا اذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع شيوع ظلم البعض منهم للبعض يدل
على هذا المعنى قوله جل ذكره والسما رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في
الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى
جعل السما علة للارزاق والاقوات من انواع الحبوب والنبات فكان
ما يخرج منها من اغذية العباد ومرافق حيوتهم مضطرا الى ان يكون

اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك الا بالالة المذكورة
فنبه الله تعالى على موقع الفايدة فيه والعايدة به بتكرير ذكره فكان ما
تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر
الالهية والالة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما يحفظ العوام على اتباعهما
ويضطر العالم الى التزام احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله على من
جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب
نقمته وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي
وصفه الله تعالى بالباس الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب
متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي والمقاطع فظهر بهذا
التاويل معنى هذه الاية وبان ان السلطان خليفة الله في خلقه وامينه
على رعاية حقه بما قلده من سيفه ومكن له في ارضه واحق الولاة بان يكون
لديهما وعند الله تعالى كريما وجيها من كانت عنايته نصرة الدين وحماية
بيضة الاسلام والمسلمين اوفر واوفى ومجاهدته لاعدا الله المارقين
عن شرايعه المايدين دون حدوده وفرايضه بنفسه وماله وبطشه
ورجاله اشرح للصدور واشفى وقد علم اهل البدو والحضر والنشا
المدر والوبر من حيث مد الصباح جناحيه الى ان ضمهما للوقوع
في افق المغرب ان راية الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا
واصدق يقينا واوسع علما واوقع حلما واسد سيرة واخلص سريرة
واتم وفا واعم سخا واوفر حيا واغنى غنا واعظم قدرا وافخم ذكرا

المذكورين

دستور ما يرجع اليه في الامور

جمع الشعب وهي القبيلة والمراد ههنا فروع المعاني

وامدّ باعا واسبغ امتناعا واجلّ جلالة واكمل عدّة وآلة وارفع ملكا
وسلطانا واطوع انصارا واعوانا واروع سيفا وسنانا واحمى للاسلام
وذويه وانفى للشرك ومنتحليه واعدى للباطل ومن يليه اكتسابا
ووراثة وطباعا واستفادة من الامير السيد الملك المؤيد يمين الدولة
وامين الملة ابى القسم محمود بن ناصر الدين ابى منصور سبكتكين اطال الله بقاه
ملك الشرق بجنبيه والصقع من العالم بيديه لانتظام الاقليم الرابع بما
يليه من ثالث الاقاليم وخامسها فى حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة
وولاياتها العريضة فى قبضة ملكه ومصير امرائها وذوى الالقاب
الملوكية من عظمائها تحت حمايته وجبايته واستنذرايهم من آفات الزمان
بظل ولايته ورعايته واذعان ملوك الارض بعزمهم لعزته وارتياعهم من قوابض
هيبته واحترابهم على تقاذف الديار وتجاجز الانجاد والاغوار من ماحى
ركضته واستجما الهند والروم بحت جيوبها عند ذكره واستشعارهم لهيب
الرياح من ارضه وقد كان ادام الله دولته منذ لفظه المهد وجفاه الرضاع
وانحلت عن لسانه عقدة الكلام واستغنى عن الاشارة بالافهام مشغول
اللسان بالذكر والقرآن مشغوف النفس بالسيف والسنان ممدود
الهمة الى معالى الامور معقود الامنية بسياسة الجمهور لعبه مع الاتراب جد
وجده مستبد يالم لما لا يعلم حتى يعقله خبرا ويحزن لما يحزن حتى يدمثه
قسرا وقهرا وكان الامير الماضى انار الله برهانه يرى الدنيا بعينيه ويسمع
باذنه وينطق بلسانه ويستحلى مذاق العيش به ويستطيب روح الهوا

بقربه ويستفتح مغالق الامور بيمنه ويستنجح عواقب الخطوب بايمنه ولم
يزل يمن بحجره ويحجره الى ان استقر لبدو رتبة البلوغ وبصيرة الادراك عن
تجربة ولم يزل يتدرج بين الطافه وكراماته وولاياته واقطاعاته من رتبة
الى اخرى اعلى منها مكانا وارفع شانا الى ان ولى قيادة الجيوش والعساكر
بخراسان وهى الرتبة التى طالما يتناجز عليها كباش الرجال وقروم الابطال
فلم يخطها الا العدد اليسير الذين سار ذكرهم فى الافاق وتسامع بهم
رجالات خراسان والعراق سنا وقدرا ودهاء ونكرا ومهابة وحشمة
ونباهة ونعمة هذا على طراوة سنه ونضارة غصنه وعنفوان امره وريعان
شبابه وغموه ∴ قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته اذ ذاك فى اشغال ∴
تعدت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الابطال ∴
وهلم جرا الى ان ملك خراسان باسرها والشان عن آخرها
وبلاد نيمروز بحذافيرها وجبال الغور على حصانتها ودوّخ السند
واستباحها وغزا الملتان واجتاحها وتوغل الهند عودا على بدء
ينكا جراحها واذل لقاحها وحاس مغانيها ودبايعها وافتتح صياصيها وقلاعها
واقام عن بيوت الاصنام مساجد الاسلام وعن مشاهد الشرك والبهتان
معاهد التوحيد والايمان فصارت الاطفال تهدد فى بطانتها
باقدامه وتفزع بامثال الموتة واعلامه فظل اندى بالهم وحبيا لهم
وابطالهم كما قال الاشجع السلمى ∴
وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا انتبه رعته واذا هدا سلت عليه سيوفك الاحلام
وجاز الله له من البسطة في العلم والحلم والهيبة بالاسم والجسم
والظفر باحابيش الاعدا في وقايع يعز صبر النفوس على امثالها وتكاد
الارض تمور من اهوالها ما لم يتسع بمثله خبر لاحد من الملوك الاعن
اساطير الاولين اريد بها التهويل والتطويل والتعجيب والتغريب دون
الحقيقة التي تشهد بها العيان ويقوم عليها البيان والبرهان فلو نشرت
صحايف الدول الاسلامية وايام الملة الحنيفية لكانت دولته
غرة تلك الدول ومساعيه منها طراز تلك الحلل اذ لم تقتن احد من
سلف الملوك من غرر الماثر وزهر المناقب والمفاخر ما اقتناه هو بنفسه
وابيه واثاره ومساعيه ولما جاز الله له كرايم الخصال ووفاه طبع الكمال
في معاني الكمال سياسة ازرت باردشير في زمانه والمنصور في
سلطانه وهيبة خفقت لها جنادب الليالي النايمة وخدرت
عليها عيون الايام العارمة وعدلا ضم بين الضدين حتى الناز الى الما
والف بين الذياب الطلس والشا فكفيتا الانياب شبا الاطراف
والقرون صلابة الاجواف وكانت ايامه مشغولة بمر السياسة
عن ثمر الدعة ويعرض السيادة عن نفل الاستفادة لطف الله
له باولاد كالنجوم الزواهر بل الليوث الخوادر بل السيوف البواتر بل
العقبان الكواسر لم ترمق الالحاظ اشخاصا توازيهم فخامة وجلالا
ووسامة وجمالا وسعادة واقبالا وسماحة وافضالا وعلوما
واداب ولفظا وكتابا وحفظا وحسابا واخلاقا مرة وعذابا نعم
وصرامة ومضا وشجاعة وابا وسيادة وعلا ونجابة وجلالة ورياسة
ونفاسة وايالة وسياسة وسامة وحراسة وفروسية وبراعة
فجمع الله لهم تمام السعادة وتم عليه ادوات السيادة فما زال يربيهم في
حجر الحجب ويصنعهم في مضمار الادب ويروضهم بين الكتايب
والكتب حتى تجافى حجاب الملك منهم عن شموس الانام وبدور
الظلام ونجوم الكلام وليوث الزحام وجدود الجسام وفرايد
النظام وزبد الليالي والايام واشرابت اليهم الامال والهمم وتناهت
بهم الدواة والقلم كذلك يصنع الله لعباده في كل زمان ويلطف
لذوي العلوم في جنب كل سلطان ووافق ذلك وزارة الشيخ
الجليل شمس الكفاة ابي القسم احمد بن الحسين من ذخره الله
للزمان صادف فقرة من اجراد الرجال وابنا الفعال فلم يطبع
مثله على غراره ولم يصبغ شرواه في مضماره بسجاحة شيم وزجاجة
كرم وسماحة كف وفصاحة كلم وهمة ترى الدنيا هباة بين اخواتها
الثايرة موهومة من نقط الدايرة وغدت بمكانه ميقاتا
للفضل واهليه وسوقا للادب ومنتحليه تجلب اليها بضاعات
الفضايل بين منظوم ومنثور ومختوم ومنشور وقد صنف طبقات
الكتاب والادبا تصانيف في ذكر ايامهم وتصاريف احوال الزمان
بهم بحسب قوتهم في البيان وسهمتهم من بلاغة الخاطر والبنان

حتى أن أبا إسحق إبرهيم بن هلال الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي
في أخبار الديلم موشّى بحبر ألفاظه الباهرة ومغشّى بحلل معانيه الزاهرة
يجلو عقد البيان بما فيه ويبيض وجه البلاغة بما يسوده وإن تكن دولة
تقتضي إثبات محاسنها بالتخليد وتقييد مآثرها للتأبيد فهذه هي التي
تقتضي الأدبا أن تخلد استغرب معاليها كلامهم وينحلوا بتحرير مساعيها
أقلامهم ولو أدركها الماضون من أرباب التصانيف لودّوا لو كانت ألفاظهم
عن غيرها معزولة وإلى ذكر محاسنها منقولة ولجدّ ثمّ أنفسهم بأن
يعتذروا اعتذار أبي نواس بقوله

إذا نحن أثنينا عليك بصالح ... فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة ... لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني

وقد كنت أقدّر أن بعض صنايع هذه الدولة ممن له حظ في الصناعة
وتوجه في طرق البراعة والبلاغة يرتاح لتقييد أخبارها وجمع
كتاب في تصاريف أحوالها وأطوارها من لدن قام الأمير الماضي
أنار الله برهانه أميرا إلى أن أجلى أبا علي محمد بن محمد بن إبرهيم بن سيمجور
عن خراسان كسيرا وحصّله من بعد في يده أسيرا وولي أمورها
سياسة وتدبيرا وما تقدّم له في أثناء ذلك كله من إغاثة الأمير
الرضى أبي القسم نوح بن منصور رحمه ونصرته والاستجابة لما لطف
إليه من دعوته والمدافعة عن بيته وخطته واستنقاذ ما فضل عن
ذوبان الترك من ولايته وكفهم بنير عيثه وترهيبهم عن إذالة حشمته

وطالبوه بمال البيعة فأطلق لهم ما وجد في خزانة الماضي صفوا إلى
ما أمكن تحصيله واحتياله عشرين ألف واحدة حتى هدأت فورتهم وسكنت
سورتهم وتوالى النفير من الملك بما أطلق أيديهم إلى عورات نيسابور الجرأة
بغيا وكباد أعجزهم للحمية للانتقام من أوليك الأوغاد والأغتام
وركبوا على سمت بكرآباذ لمجاهدتهم وثار إليهم أوليك الأشقيا
للمصافّة متهافتين في الذهاب تهافت الفراش في النار فلم يلبثوا
أن حمل عليهم أهل العسكر حملة كشفتهم عن رؤوس بلا غلاصم وأيد
بلا معاصم وفرشوا أرض ذلك الفضا بجثث القتلى متشحطين
في الدما وضربت الدور والحوانيت بالنفاطات وبسطت عليهم
الأيدي بالغارات فجرى عليهم ما لم يجر بعد يزيد بن المهلب
مثله نكاية رادعة وعقوبة وازعة قامعة وعندها أرسل
مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الأمان ويناشدون
الله والإيمان فكفّوا عن القتال والتفتوا إلى الرحال فسكن نائرة
تلك الفتنة ووقع طاير الهيج واللوثة واختلف العسكر في الاختيار
فمال القواد وكبار الغلمان الخاصة إلى خراسان واستحبت الديالمة
الانقطاع إلى فخر الدولة والاختصاص بخدمته وكتب الصاحب إليهم
أجمعين بالتوقف ريثما يلحق بهم الأستاذ أبو علي فيطلق أموالهم
في الولايات وزيادة الإقامات فما لهم تحفزهم حب خراسان
عن التوقف وأعجلهم طول العهد بالأوطان عن التثبت فبادروا

نيسابور

على سمت الرى وعد متعاودين للاتصال بابى على بن سيمجور وهو اذ ذاك
صاحب الجيش مكان ابيه واقام الباقون من الديالمة الى ان وردها
الاستاذ ابو على فاستعرضهم واثبت اساميهم واطلق اموالهم
وسيرهم الى الرى فامر فخر الدولة بنقلهم الى الديلم وتوجيههم
على امثالهم بمزيد الاكرام والايثار رعاية منه لحق تاش من جانب
واستظهارا من آخر وقد كانت جرجان تموج بالقاعدة وذوى العيث
والجرابة ممن قتلوا اهل خراسان ومثلوا بهم فوضع الاستاذ ابو على
الارصاد لهم وبث العيون عليهم وقتل ممن حصل منهم جديدة واحدة
زيادة على ثلثة آلاف رجل صلبا وصبرا وغيلة ومكرا فتمت
بذلك سياسته واستفاضت هيبته واستقامت اموره وصفت
جرجان باسره من يعوق قياده او يحكم بغير استقامته وسداده

ذكر ابى الحسن بن سيمجور وقيادة الجيوش الى ان قضى نحبه وولى الامارة ابو على واستقامت ولايته وتمرده بالمنافرة

وانجذب تاش الى جرجان وانصرف عسكر ابى الفوارس الى كرمان وعاد
فايق الى بلخ واستقر ابو على بهراة وكان ابن عزير يستحث على قصد
جرجان ابا الحسن ويوبخه على التقاعد عنها وهو يستمر على المعلوم
من عادته فى استشعار الحلم واستحباب السلامة والسلم اشفاقا
من عثرة تفضى الى ندم كالتى عرضت لتاش بجرجان من
الكشفة التى جلبت على الدولة من الوصمة ما يسار فى البلاد جرة

وشاع اثره الى ان اتهم ابو على محمد بن عيسى الدامغانى للوزارة
وذلك فى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وثلثمائة ونفى ابن عزير الى
خوارزم فجهد ابو على فى تسديد الاعمال وحفظها على الاعتدال
فاعياه ما اراد لاستبداد الولايات وتراجع الارتفاعات واستشرا
الحشم وضراوة الاتراك وتسحبهم على الوزرا واحتكامهم فى المطالب
خلعا للجام المراقبة والمسامحة من جرائر السياسة وصدق المواخذة فصرف
بابى نصر احمد بن محمد بن زيد وهو الشهم الذى يصيب الحز فى اقواله
ويطبق المفصل فى افعاله وينبذ الكفاة بغنائه ومضائه وصواب
تدابيره وآرائه ثم بدا لهم فى امر ابى على فردوه ثانيا الى مكانه من
صدر دواوينه واتفقت لابى الحسن بن سيمجور بين هذه الاحوال نهضة
الى خرميك بعض متنزهاته بواحدة من حظاياه فجاذبته نفسه
خلال الرفث اليها وخر الى الارض عن صدرها ميتا واخفى حاله
وحزن وفاته الى ان رد الى داره واستعد لاظهاره وورث
ابو على رياسته بتبيه واخوته وعم رضاهم به وبلغ ابا على ان هراة
سميت لفايق فقصدها ابو على وكتب اليه بمعاتبته على ما
استجازه من الحظية على خطبته ثم اتفقا على ان يكون هراة لفايق
ونسابور مع قيادة الجيوش لابى على ورتب كل منهما اصحابه بناحية
عمله وحمل الخلع والجلالات من بخارا على ارسم لولاة الجيوش
وابو على يظن انه هو المقصود بها والمحبو بالكرامة فيها

حتى اذا بلغ الرسول منتصف الطريق عدل الى فايق بالحجة
فعلم ابو علي انه مكر مكروه و غدر اضمروه و انه المقصود بالسوء
و المراد بالمحذور فلما علم ان فايقا شخص عن هراة نهض ابو علي
من نيسابور كالسهم المرسل و الشهاب المرصد حتى انقض عليه
فيما بين هراة و بوشنج فعل من اتخذ الجد جذبا و صاحبا و نكب
عن ذكر العواقب جانبا و علم انه متى استمرت به تلك الحيلة و نفذ
تلك المكيدة و عرف جبنه و خوره لم يرتفع له و لا لاهل بيته باية
و لم يتعرف لانتقاض الامور عليهم و انسياب المحذور اليهم من كل وجه
غاية فصدق قتاله آخذا بفرط الجد و التشمير و دق عسكره و دق
المضيب اسنان المسامير فولوا به منهزمين الى مرو الروذ و اردفهم ابو علي بمعجزة من
مستعد الدافعة فقاد عمم حتى اسر عدة منهم و حملهم الى بخارا
و سار ابو علي الى مرو خاطبا عمل ابيه و مبديا سابق حرمانه
و مساعيه بشكر باخوته و ذويه فحقق الرضى سوله و جرد
اليه فيما استدعاه بسوله و قرر قيادة الجيوش عليه و ناط مصالحهم
بيد يه و جمع له بين ولاية نيسابور و هراة و قهستان و لقبه بعماد الدولة
فانكفا الى نيسابور و قد نال بما اراد فهذب الاعمال و رتب الاحوال
و الرجال و اخذ امره يزداد نورا و بهاء و تتضاعف قوة و استعلاء
الى ان تلقب بالامير الاجل المؤيد من السماء و امتدحه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة اولها

المراد بالحيلة عدول الرسول الى فايق بالحجة

سقوط ابو علي

و اردفهم ابو علي بمعجزة من ... و اراده للتشريد به فى مهربه فوافقوه فقنطرة مرو و الروذ و وافقوه

سار الى مرو ... لما اسو ...

[illegible]

ان السواكن في الخدور هن السواكن في الصدور

لما مشين على الثرى تاه الغبار على العبير
فغدوت في حال الاسير و رحت في حال العسير
و كذا الذي من عشق النجوم و رام صيدا للبدور
يا سايلي ما في الهوادج و البراقع و الستور
فيها الرضاع من المنية و الفطام من السرور
و سالت من و حرج المنابر حين تخطب و السرير
فهو الامير بن الامير بن الامير بن الامير
المشترى المدح القليل بماله الجم الكثير
من سيفه كبر الجبير و سيفه جبر الكسير
و الناظم المعنى بلفظه النزر القصير
يرمي اعاديه بسهم من سعادته طرير
حتى لو افترشوا الحرير لشاكهم شوك الحرير
و فوتت البهم الذكور بتلكم البيض الذكور
و بهامه نوب الخطوب و فيه عقب الدهور
و رماحه حشو العدى و عداته حشو القبور
استغفر الرحمن بل حشو الجوارح و النسور
و بصوم صارمه فيفطر بالجماجم و النحور
و اذا اتاه سايل ارب الشويهة و البعير
الفرته بفنايه رب الخورنق و السدير

و اعجب من القلب لو يدل المعا على المعبر

الطويل

ارما سائل قائلا ما في الهوادج

اى صار الحرير على اعاديه كانه شوك لخوفهم منه

حديد

جمع عقبة

تعراز

أرضه الله ونموذج من كبار فضلك

أمحمد بن محمد هذا الشادن من البحور
لو كانت الدنيا تدور على الحقائق في الأمور

ما صيغ تاج مجد الأمير القمر المنير

وأتاه البديع أبو الفضل الهمذاني وهو يومئذ منتجع بالقصيدة التي أولها

على أن لا أريح العيس والقتبا وألبس البيد والظلماء واليلبا
وأترك الخود معسولا مقبلها وأهجر الكأس يغزو شربها طربا
حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة والسير يسكرني من ميته
وطفلة كقضيب البان منعطفا إذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من أجفانها حببا دوني وتنظم من أسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منتحبا
لا در در المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هونا ولا كثبا
يا مشرعا للمنى عذبا موارده بيناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا
طلعت لي قمرا سعدا منازله حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة أبهى ما درجت درجت وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا
أستودع الله عيشا تنقضي دفعا حتى توارب دقلها يرتمي لهبا
وطالما أخذت منه النوى وطرا من قبل يقضي الهوى من حكمه أربا
غضي عليك قناع الصبر إن لنا إليك أوبة مشتاق ومنقلبا
إني المقام بدار لا أذل بها كرم وصمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تراك الدهر ضاربة دون الأمير وفوق المشتري طنبا
يا سيد الأمراء الغر فما ملك إلا تمناك مولى واشتهاك أبا
إذا دعتك المعالي عرف هامتها لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
يا ابن الذين أعدوا المال من ملك يرى الذخيرة ما أعطى وما وهبا
ما الليث مختطفا والسيل منحطا والبحر ملتطما والليل مقتربا
أمضى شباً منك أدهى منك صاعقة أجدى يمينا أنكى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا من يراه ملوك الأرض فوقهم كما يرون على أبراجها الشهبا
لا تكذبن فخير القول أصدقه ولا تهابن في أمثالها العربا
فما البهلول عهدا أو الخليل قرى ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان مغتربي والمازني ولا القيسي منتسبا
هذا لركبته وذا لرهبته وذا لرغبته وذا إذا طربا

نعم واستولى على بلاد خراسان وارتفاعاتها تجبيت له عن آخرها
وكتب الرضي إليه يستنزله عن بعضها لإطماع حشمه وعوارض مؤونه
فاعتل عليه باستغراق أعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان
وحاجته إلى زيادة يتحملها لتتمة أطماعهم وهو في ذلك يخلط طاعة
بخلاف وسر حسوا في ارتغا ونصب أبا علي النصفي لحجابة الديوان
وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كبس خراسان فلم يبق
بها ذو ذنب إلا أدمى خلفه والصق بظهره بطنه ثم طالبه بما رعع

عليه وامر بدق يديه على رجليه الى ان اعفي ببعض المال ومات
باخره على شرجال وصار يكاتب الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة
هرون بن ايلك بغراخان وهو ببلاد الترك سرا على ان يتشاطرا خراسان
وما ورا النهر متى ملكها على الرضى ببخارا فكان مثله كما قيل
بمجد سلوا سيوف محمد فضحوا بها هامات آل محمد ∴ وهو في ذلك كله
يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استبقا لابرعه للتقية وتحمد المآل
الرعية وقد كان طائفة من دهاقين ما ورا النهر كدهقان ايلاق ودهقان
كثيرة قد ملتهم ايام تلك الدولة فنزعت نفوسهم الى الاستبدال والاحماض
بعد طول الالف والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد ذلك
الجرم شاحذين عزمه في المضا والتصميم فصار يتطرف تلك شيئا
فشيئا كالبازي يحل بصاح اجنحته على التدريج تانيسا لم من الوحشة
وتسكينا من الروعة وتضرية على القنص الى ان ورد اسبيجاب
فانهض من بخارا انج الحاجب في طلبه ورده على عقبه فالتقيا على
حرب اشابت الذوايب واثارت الكواكب ثم انجلت عن اسر
انج الحاجب في الكثير من القواد والكثير من الافراد واستحكم لذلك
طمعه في تورد ساير البلاد

ذكر فائق وما انتهى اليه امره بعد الوقعة المذكورة

واقام فايق بناحية مرو الروذ على رم الرث وجبر الكسر واسو ما
نشا في عسكره من كلوم الحرب فلما التحم امره وانضم نشره سار
يريد بخارا عن غير استيذان واستطلاع راي فارتاب الرضى به
فلما قاربها برز الى فضا السهلة بنابه وزماه بانج وبكتوزون الحاجبين
وساير مواليه وموالي ابيه وذلك يوم الاحد لثلث خلون من شهر ربيع الاخر
سنة ثمانين وثلثمايه فلما ارهقه الكفاح وعضه السلاح اجفل اجفال
الظليم وانقسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل والاسر
والتذليل وانحاز الى الشط منهزمة فوجد السفن معبية فركب الخطر واجتازه
حتى عبر وسار الى بلخ على ان يتناشر منها ويرتاش واقام بها اياما
ثم عبر الى الترمذ وواصل بغراخان بكتبه يبعثه على الابتدار
ويحثه على البدار وكتب من بخارا الى والي الجوزجان ابي الحرث احمد
بن محمد الفريغوني بقصده وحصره فجمع بوشا عظيما وساق من
ارض الجوزجان بريما فانتدب لهم احد غلمانه وكان يعرف بابرسلان
آخر سالار في زها خمسمائة من الترك والعرب فانقضوا عليهم انقضاض
الصقور على بغاث الطيور فمزقوهم بددا وجعلوهم طرايق قددا وفرشوا
الفضا بجثث القتلى وغنموا ما لا يعد ولا يحصى وعادوا الى بلخ ظاهرين
وقد كان طاهر بن الفضل ملك الصغانيان على ابي المظفر محمد بن احمد
وهو واحد رجال خراسان جلالة قدر ونباهة ذكر ومتانة راي
وحجر ورصانة نظم ونثر فانقطع ابو المظفر الى جانب فايق
صارخا فزعا فاحسن اصراخه وامده بمن رده وداه فاغتنم طاهر بن الفضل
خفة اصحاب فايق ببلخ فلفت لفته اليها طامعا في الاستيلا
عليها فزحف المقيمون بها اليه فعقد ونهدوا للمناجزة وتناوشوا

القتال وصدقوا المصاع والمصال وثقف بعض العرب مكان طاهر بن
الفضل فقصده بطعنة اذرته عن مركبه وبادر في احتزاز راسه
عن مركبه وثاب الصياح بقتله فولى اصحابه على الادبار هاربين
بسمع الارض وبصرها ذاهبين ايادي سبا في نجدها ومهابرها والماجري في
امر الحاجب ماجرى ونقل الى بلاد الترك في زمرة الاسارى
انتقضت مرائر الاعمال بما وراء النهر ووهت قواها وتداعت قواعدها
ومبانيها واشفق الامير الرضي واركان الدولة من ان يتفاقم الامر
ويتراكم الشر ويعضل حادث الداء وتنصب باقي المخطوب فاتيق
على وجه الاستمالة وقوبل عثرته بالاقالة واستنهض الى بخارا
للاستظهار به على سد الخلل وتعديل الميل وسرب عنها بعد حين
المقبول والاقبال وازاحة العلل بالاموال الى سمرقند فلم يرعه
الا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة وقد
استعجلته الهزيمة بقوادم الطير ركضا لم يلو فيه عنانا ولا عمضا فولى فائق من
بين يديه هربا لم يلو على تعرف الحال مقيما وجعل من كان معه من
اصحاب السلطان عرضة للسيوف وفريسة لانياب الحتوف وتوافقت
الشهادات على ان انهزامه كان عن مواطاة منه لبغراخان على
آل سامان فعل من لا وفاء يزعه ولا حياء يردعه ولا انفة تحفه
ولا حجة تكفه وسار كما هو حتى اتى بفوره بخارا فراع
السلطان بالداهية الدهياء والخطبة النكراء والقضاء

المبرم من السماء حتى اضطر الى مفارقة الدار والالتياذ بذمة الاستتار

ذكر ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضي عنها وانصرافه اليها ثانيا بعد قفول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فائق مختصا به ومنخرطا في
سلكه ومكثرا سواده ومتلقيا اليه لين قياده كانهما كانا على ميعاد
وتلاقيا على سابق صحبة واتحاد ولما استمرت الدار به فرارها
استاذنه فائق النهوض الى بلخ لاستخلاصها الى ولايته واثارة
اموالها لخزانته فاذن له فيه وسار الى الترمذ وبعث بعثا الى بلخ
فاحتاط عليها ونصب بها من يجبي اموالها ويكد بر عمالها ولم يهمل
الامير الرضي فرصة البروز من مستتره في بزة التنكر حتى عبر
النهر الى آمل وقد كان هاجر اليها امامه عدة من خواصه وحجابه
وغلمان داره حائرين حائرين فاجتمعوا بمقدمه عيدا وفطنوا
انهم انشئوا خلقا جديدا وتلاحق بهم ابناء الهجرة فتموا عدة وعديدا
واعتمد الامير الرضي ابا علي البلعمي للوزارة وضبط اطراف ذلك
القدر من الامارة فعجز بعض التدبير لضيق الحال والمجال وانسداد
وجوه الاموال وتزايد عدد المهاجرين من الرجال وقد كان نفي
عبد الله بن عزير الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة فامر الرضي
بالكتاب اليه في استحضاره لاستنابته في الاعتماد عليه فيما
كان يليه واستكفايه المهم منه وفيه فبادر اليه مغتنما

خدمته في تلك الحال ومتوصلاً الى ترشيحه بوجوه الاحتيال
وقد كان الرضي من لدن هجوم الشر واستطارة شرره باعالي ما
وراء النهر من جهة الترك يكاتب اباعلي محمد بن محمد بن سيمجور
وهو الملقب بعماد الدولة والمعتمد لحياطة الحوزة وحراسة البيضة
في الاستنفار والاستمداد ويتلطف له في التحثيث للجهاد وتطهير
تلك البلاد من ذوي البغي والعناد بعد ان سامحه باموال خراسان
واغضى له عن ارتفاعها ترضيا له واجتلابا لامنه واستبقاء للصنيعة
عنده وطمعا في الانتفاع بشانه والاستظهار بمكانه فيعده
الاستعداد للنهوض والاحتشاد للبروز حتى استغرقت مواعيده
شهورا عدة ثم نهض من نيسابور الى سرخس ومنها الى مرو في
مثلها من المدة يتربص اثناء ذلك زحمة القوم وتغلبهم فيشاطرهم
الملك على حاجز النهر فيكون ما دونه له ولهم ما وراءه وقد كان
اتصل به وبخدمته طائفة يزينون له هذا الرأي ويحلونه
في عينيه ويجلونه في معرض التصويب عليه تقربا اليه ويقولون
له انها دولة قد تمت ايامها وحان ان يتوج عليها اضدادها
وهامها لاستمرار العثرات عن الاطراف بها وانثيال الفتوق من
كل الوجوه عليها وان المحتمي بنصرتها مخذول بخذلانها ومحكوم عليه
بالادبار لادبار زمانها ووهي قواعدها واركانها فلما استقر ذلك
السلطان بآمل كتب اليه بان الخفا قد برح والبلا قد برح

اي استطار من جهة الترك
ارتفاعاتها
مواعيد
المبني للمفعول اسم الفاعل

وانه آن له ان يستأثر بعز الاحدوثة في مظاهرته والاقتداء بسلفه
الذين هم صنائع دولته ودولة آبائه في طاعته ونصرة دعوته
وكف الاذى عن وجهه وردّه الى دار قراره ومعشش اوليائه
وانصاره فقد قطع طمعه الا من جهته ويئس الا من معونته وقبل
هجوم بغراخان على بخارا ما واصل كتبه في الاستصراخ والاستغاثة
ومجاوزة التلطف الى التضرع في الاستنفار والاستجاشة فمن
تلك الكتب فصل حفظته من انشاء ابي علي الدامغاني وهو
انما تلجا الدولة الى عمادها اذا قصدها ناش يزعزع اساسها
او يأودها فالله الله في هذه الدولة فقد جاءتك مستغيثة اياك
لائذة بك فكان تأثيره فيه تأثير الرجا في الصخرة الصما لا حس
ولا حركة ولا شوق ولا شك ومن خلال ذلك بساط الدالة والاقتراح
يستزيد ترتيبه في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره من اصحاب
الجيوش به ثم لم يرض بذلك حتى اقترح الجمع له بين التلقيب والتكنية
على العنوان منسوبا الولا الى امير المؤمنين واتماما لاكرامه كما كان
فقابل الرضي جميع ذلك بالاجابة ووفاه مما اشتهاه من المخاطبة
وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم للرضي ورد عليه
رسولا يعرف بابن سبطا طالبيس ايام مقامه بآمل زيادة
على المبذول له تجري مجرى المحال والشطط فقال ايها
الامير ان ذلك السلطان في وقته هذا لو اقترحت

اي صنائع دولة آبائه يريد ابا السلطان
ما واصله بكتبه
اي تأثير الاستصراخ
ان يكتب في ولي امير المومنين

عليه فمخاطبتك بالتاخير لاوجب اجابتك اليه ولكن وردا هذا اليوم
غدا فاختر لنفسك ما هو اجمل بك وازكى في الاحدوثة عنك وكادت
عند ذلك العيون ان تصوب والقلوب ان تذوب واستمرت
القسوة به فلم يرجع على عدّ مطاله وتسويف ومطال لاجرم ان
الله كفى الرضى شغل ما دهاه ونصره وآواه واعاده الى
خطته ومثواه وختم بالخير عقباه واسلم الغادر بما كسبت يداه
وما الله بظلام للعبيد

ذكر انصراف الرضى الى بخارا بعد جلاء فايق عنها

واتفق ان مشت بغراخان علة استوبلها المقام ببخارا فانزعج
عنها عائدا ادراجه ومعاودا اهواه وعمد اهل بخارا الى تقاصات
عسكره فتخطفوهم تخطفا وذبحوهم دون حواليها ذبحا وبادر
الاتراك الغزية على اثره قتلا وطردا وعركا وطحنا ولم يلبث ان
قضى على الاجسام والانهزام على ما به من الم الاسقام الى ان ذاق
كاس الحمام وحين احس الرضى باضمحلال حاله اشتد العبور
الى بخارا فيمن تتام اليه من حاشيته ورجاله فتباشر الناس بما
اتاح الله له من عوده الى دار ملكه وقرارة عزه تباشر
الصيام بهلال الفطر وذوي المحول والاعدام باستهلال القطر
وصفت له بخارا وسمرقند وما ضاقهما من ولايته وسائر مملكته
ولما راى ابو علي ما استقام له من الامر وانفسح من النشر وسقط
من ناجم الشر من نائرة الفتنة التي قدرها صمّا لا تسمع ودهيا
لا تنقطع واضاف الى ذلك ان بغراخان لما القى عصى القرار ببخارا
كاتبه على الرسم الذي كان يكاتب ولاة خراسان اصحاب الجيوش
غير واف له بالشريطة التي كانا تعاقدا عليها وتواضعا بها من النزول
على حكم التماثل واقتسام جانبي الملك على سبيل التناصف والتعادل
سقط في يده وفت في عضده وذهب عليه امره واظلم عليه
دائبه لاستعادة الايام عن خلاف تقديره وانكشاف العواقب عن ضد
ما اجاله من قداح تدبيره فاستشار نصحاءه فيما دهاه واستقدح
آراءهم فيما عراه فاشاروا اليه بمعاودة التقرب واستيناف التلطف
واحتيال ما تزيل عارض الوحشة ويمحو سمة المعصية ويسد خلل التقصير
الواقع في الطاعة فاعد من صنوف الاموال والهدايا ما رام ترضيته
به واستمالة قلبه عليه واستلانة جانبه وسنح لفايق بعد احتباسه
بعود الرضى الى قرارة ملكه ان ينهد الى بابه متغلبا عليه ومتحكما
على رسمه فيه وقد كان دها الرضى من جهته مثل ما دهاه من
جانب ابي علي تصاما عن ندائه وتقاعدا عن فنائه وتقاعسا
عن فرض طاعته ولايته فضرب الرضى وجهه بوجوه حجابه ورجال
بابه وناوشهم الحرب بغلمانه وكافة اعوانه حتى استلحمت العدد
الجم من الفريقين وفرشت الفضا بالقتلى من الجانبين ثم انفل عنهم
هزيما وحث مركب النجاة حرصا على النجاة طريدا فعبر الى بعض الاطراف
وتلاحق به من اخطاته ظباة السيوف وخلق الاسباب من اصحابه

فاتجرد بهم الى ابى على منقطعا اليه ومنخرطا فى سلكه ولايذا
بذمته ومستذريا بظل طاعته ووافى ابا على منه منيته التى كان
يخطبها على الدهر باقتراحه ويعدّها على الحادثات اجذ سلاحه
فاستقبله باهل عسكره على اتم اجلاله واعظامه واعم اكباره واكرامه
واحسن ترتيبه وترحيبه وبشر ريّق وبرّ خصيب وتنسم بمكانه
روح الغنى عن الرضى فصرف اليه ما كان اعده له من العهد ابا مصرحا
بالجفا والخلاف ومجاهرا بالتمرد والانحراف وتحالفا على الوفا
والصفا والتظاهر على الاعدا ونهضا الى نيسابور للاستعداد
وتخمير الاراء فى حسم الفساد ولما يئس الرضى من صلاحهما له
دبّر فى الاستعدا عليهما والانتصاف منهما بمن يشتد باسه ويجدّ
فى التضافر ائبه فوقف به التدبير على الامير ابى منصور سبكتكين
لما توسمه فيه من امارة الخير باعتكافه على غزو الهند احتسابا
لثواب الله واكتسابا لكريم القربة عند الله فارسل اليه ابا نصر احمد بن محمد
الفارسى النايب عنه ببابه وكتب على يده بذكر ما اعياه من الدا
بمكان موليَيه ابى على وفايق وخطبهما على دولته وقصدهما اياه
فى نفسه ومملكته واستثارهما عليه بادر تغايات جوزته غير راجعين
الى حشمة ولا راعيين لحق نعمة ولا مستمسكين من الحيا بعصمة
وان الذى دهمه من امرهما قد سد عليه وجه الخلاص وطريق
الانتصاف الامن جهته وما يرجوه من معونته والطف

القوله استدعائه وتطميعه فى جميل ما يتكلفه من نصرة اوليائه
بفرط قوته وغنائه فصادف وصول الكتاب والرسول لقساحته
مرتاحة لاجابته منشرحة لطاعته تواقة الى مقام الجمال بمظاهرته
وبادر بالعبور الى ما ورا النهر للقا الرضى ومشاهدته واستماع
المقصود من رايه واشارته ونهض الرضى الى ناحية كش
مخيّما بها على موعده ووصل اليه الامير سبكتكين فالتقيا هناك
على احسن ما سمع به فى مثله من تسوية المراكب وتعبية الخيول والكتائب
وقد كان الامير ابو منصور سبكتكين يستعفى لشيبته عن منزل
الخدمة وملتزم الارض على رسم الطاعة فيعفى عنه اكتفا بصدق
العناية والرعاية منه حتى اذا اختلطت الخيول وامتدت الصفوف
واصابت عينه صفحة الرضى انتهته روعة الملك واتهمه
العز للنزول والتبرع بما كان يستعفى منه قبل الوصول فتلقاه الرضى
باتم الاكرام والاعظام ورعاية الحق والذمام وجرى مشهد لم يسمع
بمثله فى الفخامة وتباشر الخاصة والعامة وامر الرضى باقامة
ما وجب له اقامته من صنوف الانزال واتباع ذلك بما يصلح
ابتياعه به من طبقات الرجال وساله بعد ذلك ان يفرغ له نفسه
وينصرف الى قصد ابى على وفايق وكفايته شرهما غزوه فضمن له
حسن الطاعة وبذل الوسع فى الاستطاعة واستاذنه فى الانكفا
الى وطنه ريثما يجمع متفرق الاهبة وينظم منتشر العدة ثم

يواجد الخطب بجد جديد وجلد جليد وباس شديد ورجال
يموجون في بحار من حديد فاذن له وصرفه وامر له من الخلع
الفاخرة والمبار الوافرة بما ضاهى جلالة قدره واكد الثقة
بصادق وعده ورجع كل منهما الى مكانه واقبل على استصلاح
شانه ومحاذنته بسيفه وسنانه وورد على ابي علي من ذلك ما
ابهم عليه وجه التدبير وسد عليه باب التقدم والتاخير وجعل
الراي شورى بين اصحابه فيما كثر الامر له عن نابه فكانت
زبدة مخضهم مكاتبة فخر الدولة ومعاقدته وموادته ومعاهدته
وتاثيل حال في جانبه ترجى ليوم العتاد ونائبات الليل والنهار
فارسل اليه ابا جعفر بن ذي القرنين بما اعرض من تحف خراسان
واورد الصاحب بمثل ذلك طمعا في حصول الغرض المقصود من الاتحاد
على يده وحسن سفارته ووساطته وحدثني بعضهم انه دخل
على الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه ثم قال له مخاطبا
عن صاحبه متمثلا في حمل هذا النزر الطفيف الى الصاحب الجليل
مثل من يستبضع التمر الى هجر فقال الصاحب قد ينقل التمر الى هجر
من مدينة الرسول عم لا للحاجة اليه ولكن للتبرك به وسعى الصاحب
في تمهيد الحال وتوكيد اسباب الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت
العصمة ودرت المكاتبة واستحكمت الصداقة وقد كان مامون بن محمد
صاحب الجرجانية وابو عبد الله خوارزمشاه لما احسا التقرب
الى الرضى ايام انحيازه الى آمل بما ساعدهما الوقت عليه من ممالاة ومجالبة
تعرف ذلك لهما واحب ان يجزيهما عما خدماه به وقدماه من قدم الطاعة
له فجعل نسا برسم مامون بن محمد وابيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل منهما
على عمله وبعث اليه بالمنشور على الرسم في مثله فانهض كل واحد منهما
من جهته من يقوم بضبط عمله وتدبير ما فوض اليه واصفي به فاخرج
ابو علي مامون بن محمد عن نسا لخالص المودة بينهما قديما واسباب في
الاتحاد وكيدة ودفع ابا عبد الله خوارزمشاه عن ابيورد اعتلالا لاجل
بانها ولاية اخيه ابي ابرهيم وانه لا يمكنه النزول عنها الا بعوض له منها
وامر بطرد اصحابه عنها وتسليم دونها فاسر ذلك خوارزمشاه في
نفسه الى ان تمكن من الفرصة في امره فاستشفى منه على ما سنشرحه
عند الانتهاء الى ذكره وطلعت خلال ذلك رايات الامير ابي منصور
سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من وعده وقد جمع واحتشد
واستكثر واستنجد وتناهى في الاحتياط والاستظهار وقعد ومساق
امامه الفيول التي ملكها على ملوك الهند في غزواته ومقاماته وعبر
الرضى الى الجوزجان والتقى مع الامير ابي الحرث الفريغوني واليها
واقام بها الى ان وصل اليه الامير سبكتكين ولحق به الشار ومن
جرت مجراه من زعماء البلاد في طبقات الاجناد فاجتمع شرقت بهم
المسالك والمذاهب واجدبت عليهم المراتع والمشارب ونهض
ابو علي وفائق من نيسابور الى هراة وبها ايلمنكو غلامه وصاحب

خبر المبرة

ابو جعفر

ملك غرجستان

حيثه خيّم بها متلفّعًا عنها ومراميًا دونها وضوى اليه من كان مقيمًا من
جهته بمرو الروذ وباذغيس وغيرها اخذًا بالحيطة واحترازًا من
الغرّة وسار الرضى الى الامير سبكتكين حتى اقام بناحية بلخ وارسل
عند ذلك ابو على الى الامير سبكتكين يذكّره الحال التى كانت بينه وبين
ابيه فى المودات الممهّدة والحرمات الوكيدة وما استمر عليه بعده من
سيرته فى الاتحاد والوداد والاشتراك والاشتباك وساله ان يتوسّط
بينه وبين الرضى على ما يجلو حرارة قلبه ويطفى جمرة غيظه ويسترد
شارد اناته ويسمح جانب مرضاته محتكمًا عليه بما يستصوبه فى
حسم الداء وحقن الدماء وتسكين الدهماء وتاليف الاهواء فاحسن الامير
سبكتكين الاصغاء الى ما سال وشدّ النطاق لما التمس وبذل جهده
فى الاستصلاح ووضع السلاح على عادته فى كراهة الفتن واماتة الاحن
وسال الرضى فى مجالس عدّة شفاهًا ورسالة ان ياخذ بادب
الله تعالى فى العفو والغفران واقالة العثرة بفضل البر والاحسان ايثارًا
للذى هو اقرب للتقوى واحمد فى البدء والعقبى ولم يزل به على التدريج
نزعة واستعطاف جمرته حتى سمح بالاجابة واسمح بالعفو والاقالة على
ان يفتدى من ارش عصيانه بخمسة عشر الف الف درهم يؤديها
فى ثلثة انجم على رسم الموافقات فكتب الامير بذكر ما استتم من الصلح
على يده وانتظم من عقد الصلاح بسعيه وجهده وتشاور اصحاب ابى على
ووجوه قوّاده فى اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه من

الغرامة واغتنموا ما لم يكونوا عليه من السلامة فصادف ذلك جرأة
من شبّانهم ونزقًا من احداثهم وذهابًا منهم بانفسهم عن الاذعان
للمكافأة وثار من ذؤبان الاكراد وسرعان الصعاليك طائفة الى
معسكر الامير سبكتكين فاختلسوا منه غلامًا له كان يلى امر الفيلة
وقتلوه فى عدّة ممن اصابوا بوائقهم ووافق ذلك ان رسول الامير سبكتكين
لما كرّ وراءه بجواب ما تحمّله وافى ابا الفضل الزيادى احد اتباع
ابى على موكّلًا ببعض تلك الثنايا والمخارم فقال له هيهات ان سعيك
لفى ضلال وان صاحبك لفى محال ما نحن باحلاس الصلح وابنائه ما دامت
هذه العيون حافظة سوادها والعواتق حاملة نجادها غنى بقول القائل
كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
فلما نميت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط غضبًا وقضى من
ادبار القوم عجبًا وعزم على المناجزة واستخار الله فى صدق المجاهدة
وارسل الى ابى على ان خذ فى ارهاف سيفك وسنانك فقد جئتك
بالا تغنيك منه غير حدّة الحسام وثبات المقام وزحف الى الفضاء
الرحب بقرية يوم الاربعا للنصف من شهر رمضان سنة اربع وثمانين
وثلثمائة فرتب الخيول مقانب ومناسر وعبّى الجيوش ميامن ومياسر
وشحن الصفوف بفيلته المجفّفة كانها شواهق اعلام او طوارق
غمام ووقف الرضى بمن الامير وولده فى القلب متنجّدًا بكماة الرجال محفوفًا
بكفاة الابطال
من كل اروع يرتاع المنون له اذا تجرّد لا نكس ولا رعد

يكاد حين يلاقي القرن من حنق قبل الشنان على جوانبه يرد
وبيان تخيلت الارض سائرة والجبال مائرة والنجوم منكدرة والسما
منفطرة وثار من وقع السنابك نقع اوثم كسجوف النهار الشامس او غمود
ظلام الليل الدامس وقد كان ابو علي رتب جيوشه ازاء الامير سبكتكين
فجعل دارا بن قابوس في الميمنة واخاه ابا القسم بن سيمجور وايلمنكو في الميسرة وثبت
في القلب مع جماعته وذوي الوفا والحفيظة من ثقاته فكانوا على الحقيقة حشو
الطوارس من وميض الحديد ولمعان الجمرة البيض واشرقت عليهم الشمس فبرقت
لها الاحداق وتلالات الافاق حتى اذا تدانت الخطى بين الفريقين بدأت
الفانقية بالحملة على ميسرة الرضي فدوخوا نطاقهم وزعزعوا عن المقام
اقدامهم وثنى ابو القسم بن سيمجور بمثلها على من قابله فصنع صنيع الاخرين
وجاء دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير من قلب ابي علي فظنوه يسعى لشرف
المقام او رعاية حق الذمام حتى اذا بلغ بين الصفين عي في ظهره بترسه
واقبل على موقف الامير الرضي بوجهه فاستامن اليه ووقف للقتال بين
يديه ثم تخرك اصحاب ابي علي لما اخبره من الدهمة وقطعه من العصمة
اشفاقا من مراطنته اصحابه اياه على مثل صنيعه وعندها حمل الامير
محمود على قلب ابي علي في سواد فدح بثقله كاهل الارض وسد نقسطله
مناكب الافق فلم يثبت احد من اصحاب ابي علي لكفاح او مدافعة بسلاح يلبث
بل انفضوا من موقفهم انفضاض العقد خانه النظام وانسل منه الفرد
والتوام وجعلوا ظهورهم مدا لشكستبعا الاعلام وغشت بجموعهم الاباطح

والاعلام وركب الامير محمود اكتافهم ضربا يستفلق الهام انصافا ويسقي
النفوس سماما ذعافا فلم تنفعه الا برعان تلك الجموع ومن خفف عن ظهره
ثقل الجواشن والدروع وغنم اهل العسكر اموالا لو افيض بعضها على
الصبح المعقود لبقيت الوجوه بابها ووضعت الحرب تلك الاوزار
عن اسنانها وسار ابو علي بالفل عن اشياعه الى نيسابور فاقبل بها على
جبر الكسير وريش التحسير استعدادا للانحياز عنها قبل رهق اللحاق
ومؤتنف التلاق وخيم الرضي والاميران سبكتكين ومحمود بظاهر هراة
ريثما استنجحت ركائبهم وتوفرت على الاولياء غنائمهم ولقب الامير الرضي
الامير سبكتكين بناصر الدولة ووارث ملكه السلطان بسيف الدولة
وقلده قيادة الجيوش مكان ابي علي به وسار الى نيسابور في
هيبة اشعرت النفوس مهابة وملأت قلوب الاعادي كآبة ورجال
كالقروم المصاعب وافيال كالاسود مخطومة بالاساود وفي ذلك
يقول ابو الفتح البستي ؛ لسيف الدولة استقامت امور رأيناها مبددة النظام
سما وحمى بني سام وحام فليس كمثله سام وحام
وسيجري ذكره آنفا بسيف الدولة الى ان آتاه الله الملك منة الى
مظنة الاستحقاق وشهره بلقب اليمين في كبر الافاق ثم ارتحلوا
على وجه نيسابور ولما تسامع ابو علي بمنابهم فارقها متحيزا الى جرجان
على الوثيقة التي كان اخذها على فخر الدولة في بذل المباركة وصدق
المساهمة حتى الم بها وكتب اليه بالحالة التي الجأته الى قصد ولايته

والانقطاع الى جانب مملكته وارسل ابا نصر الحاجب ليدفي تقرير
حاله واستمداد معونته برايه ورجاله واستنتاب الصاحب المهدي في
تنجز ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة وصاله وبعد الهاشمي
من مزاره وداده فامر بان يقام مياومة لوكيله وبالغ الفخر بهم
من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره واقام هو وفايق حتى انحسر
عن غرة الربيع قناع الشتاء وقد كان الرضي انحرف عند انحدار الامير
سبكتكين وسيف الدولة الى نيسابور لعبد الله بن عزير الى طوس
اشفاقا عليه مما صورته له من ارصادهما اياه بالمكروه كلت
ما دعته النصيحة اليه من مناقشتهما في بعض الاعمال والاموال
فنهض الامير سيف الدولة محمود على اثره اظهارا للبراءة واستشعارا
للطاعة واستتماما للخدمة وازاحة لعارض الظنة وطار عبد الله
بقوادم العقاب تحت جواري الليل الى مرو على عوادل الطرق اشفاقا
على نفسه من عادية التثريب بفعل المتهم المريب وتلقى الرضي
مورد سيف الدولة باتم اقبال واشبال وصرفه وراءه على اجمل
حال وانعم بال وارتحل يعقبه الى مرو ولاجفا بوذبره ثم منها
الى بخارا حتى استقر بها على سريره وقد كان الامير سبكتكين وسيف
الدولة لما وصلا الى نيسابور فرشا مهاد العدل ورفعا عماد الامن
وتتبعا رسوما كانت جايفة من قبل فنسخاها ببث الرافة
وحسم المخافة وارتياد لمصلحة الكافة فانشرحت الصدور

واستقامت الامور وامنت الطرق واتصلت القوافل والرفق ثم سنح
للامير ناصر الدولة سبكتكين ان ينقلب الى هراة لمطالعة ما كان برسمه
منها واقام سيف الدولة بنيسابور على قيادة الجيوش وزعامة الجمهور وقد
كان ابو علي طمح الى زيادة من المال تحمل اليه معونة له على اقامات عسكره
من الري فكتب اليه ابو نصر الحاجب باني عرضت الكتاب وحررت المراد
فكان من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك مثل الانهار العظام
تصطفق مياهها وتزخر شعابها فيرى الناظر ملتقى عبابها
ومصطفق امواجها ويغفلون عن عدد الجداول التي تغترف منها والسواقي
التي تتشعب عنها ولو انا قدرنا على مؤن اهل خراسان لاستصفيناها الى
ما نليه من بقية الارض وواسطة الاقاليم لكنا قد سمحنا بما تيسر والعذر
ظاهر فيما تعذر فاستوحش ابو علي من جوابه واستشار فايقا ووجوه
قواده في تدبير الامر بصوابه واتيانه من بابه فاختلفت اراؤهم بحسب
اجتهادهم في المشورة ورويتهم في استشفاف العواقب المستورة
فاشار بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضي
بها والكتاب اليه بالطاعة وضمان الاتاوة اذ كانت تلك ولاية قد
اعيت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم لها بينهم العساكر
وطلابهم اياها بسمر الرماح وبيض البواتر واذا التهم عليها مصونات
الرغايب وتغريرهم فيها بكريمات النفوس والحرايب وقد حصلت له
عفوا صفوا وانفتحت عليه سهوا رهوا ونبع الجبين بالضمايب

بحال واوانه النقد بالشي المسى صلات واشار فايق بمشاهدة الامير سيف
الدولة ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق الجموع عنه واختلال
ايديه والمخالفة هوا جرجان طباع عسكرهم ونكايتها فيهم مقدار ما
يتنكر لهم الفصل ويحتدم عليهم الجو ووافق ذلك جمهور العسكر لحرصهم
على الوطن ونزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا على هذا الراي وتطابقوا
على الانكفاء واضطر ابا علي الى مساعدتهم واتباع ارادتهم وعند
ذلك ورد الخبر بمضي الصاحب اسمعيل بن عباد لسبيله وكان معتنيا
بمصالح ابي علي بتحسين اثاره والاشارة على فخر الدولة باغتنام جواره
ومعاونته على ثاره فكبر ذلك على ابي علي بغيته فضل المقام واعزاه
بتعجيل الانتقال ولما استاثر الله بالصاحب اكثر شعراء العصر في مرثيته

ومنها قول ابي محمد الخازن

يا كافي الملك ما وفيت حقك من مدح وان طال تمجيد وتابين
فت الصفات فما يبكيك من احد الا وقد يغبه اياك تهجين
هذي نواعي العلى قد قمن نادبة من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف اقعدهم واستيقظوا بعد ما نام الملاعين
لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطين

ومنها قول ابي سعيد الرستمي الاصفهاني

ابعد ابن عباد يهش الى العلى اخو امل او يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها قول ابي عيسى المنجم

والله والله ما افلحتم ابدا بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا اذني او جاء منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومنها قول ابي العباس الضبي وقد اجتاز ببابه بعد موته

ايها الباب لم علاك اكتئاب اين ذاك الحجاب والحجاب
قل بلا رقبة وغير احتشام مات مولاي فاعتراني اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه فهو الان في التراب تراب

ومنها قول ابي الفتح البستي

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده كريم يروي الارض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلى كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول ابي منصور الثعالبي

الا يا صاحب الدنيا وعين السودد اليمنى اما استحييت ان تحكى لقبطان العالم الكبرى
لئن خيمت بك الدنيا لقد فتحت بك الاخرى

ودخل ابو علي من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الاول سنة
خمس وثمانين وثلثمائة وتقدمه فايق على طريق اسفراين حتى اذا قارب
حدود نيسابور عدل الى ابي علي واختلط به وسارا مسير المستعدين
للحرب المجدين للطعن والضرب وبلغ سيف الدولة خبرهما فكتب الى
الامير سبكتكين باقبالهما وبرز الى ظاهر البلد في خف من العدد وخيم
به على انتظار المدد فاعجلاه عن المراد وناوشاه الحرب قبل
وصول الامداد فاضرم عليهما نارها وباشر بنفسه وخاصته اوارها
من حيث ترجل واد الضحى الى ان الفت ذكا يمينها في كافر

بلغ الى منتصف الصفحة

فتعصفرت ارض الوغا بدما القتلى واضحجت مناسم الفيول رجالا كانوا
اركانا للصفوف عند اشتجار الزحوف واختلاط الاسنة والسيوف
وهم اصحاب ابي علي بالانحياز الحشا عن النزال ثم تداعوا الى اقتحم
مناص طلبا للخلاص فكانت جملة وافضها القدر وعن لسيف الدولة
ان يتخاذ بمعظم جيشه الجناح ابيه الامير سبكتكين فسار في امان
من لباس الظلام ارصاد الخصوم بيوم الكروب على النشار واستلامهم
لقراع الاقدار وتخلف عنه ما اعياه استصحابه من اثقاله وفيله
ثقال وعجز عن صحبته طايفة من رجالة الهنود وساير قما
الجنود فذكت عند ذلك شعلة لابي علي اطمعت في استقلاله وعوده
الى المعهود من حاله لكن الله قضاها سببا لاجتياحه واستيصاله
واشير عليه عند الملحمة بنيسابور ان يتبع اثر الامير فمحلها
عن عدة الارتياش والانتعاش وقوة الاستنجاد والاستمداد
فاثر بها فعل من كلت بصيرته وانحلت مريرته وعمي عليه قصده
ونعي اليه جده واخذ يحتل بصعوده يده وخلو خزانته واشفاقه
من خذلان عسكره اياه ان دعاهم الى البراح وسامهم
خطة الكفاح واخذ يكتب الى بخارا معتذرا عن جنايته
ومتنصلا عن بادرته مستقيلا عاير عثرته مستميحا قبول
معذرته وارسل الى الامير سبكتكين برسالة الواهي جلده المتناهي
كمده المتخاذل لسانه ويده تخجيلا بالكسفة التي استمرت بالامير
سيف الدولة على فايق وساير اهل عسكره لابراهيم اياه على مفارقة
جرجان ومغادرة خراسان والله لو وجد الى مراده سبيلا
وفي ذرى اختياره وهواه مقيلا لما التفت لفت خراسان ما عاش
تفاديا عن وحشته تحرزا عن كراهته وسياله ان يهب لمثاره
ويستوهب الرضي خطاه وعثاره فلم يرد رسالته على التطبيع في
اغتياله والتنبيه على انخزاله والتحريض على اقتناصه والايمان من
فوته وخلاصه وبث الامير سبكتكين كتبه الى من تفرق عنه
في ديار مملكته واطراف ولايته من قواده واجناده في استنهاضهم
الى مخيمه واستعجالهم الى حضرته فانهض ابا نصر بن ابي زيد الى الامير
خلف بن احمد والى سجستان بحشمه اللحاق به وكتب الى والي
الجوزجان ابي الحرث الفريغوني بمثله وطالع حضرة الرضي باستعداده
والانتظار بما يرد عليه من رسالة فكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار
اليه وتتابعت الامداد من كل جانب عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش
لو زاحموا الجو لاستسن لواطيا رتبه او وردوا البحر لابدوا قراراته وساده
للانتظام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت به مذانبه وقد كان
فايق عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهنا ويطمعه في
الانحياز اليه مهادنا فلقي وحمه بمثاله ويكيل عليه بمثل مكياله
وتكفا اميرك الطوسي احد الامرا التاروذية لابي علي بين الطاعة
والمناعة والموافقة والمنافقة فقدم رجلا للورود واخر اخرى

ثم تداعوا الى الاقتحام طلبا للخلاص

اي جرا لبر الاقدار

اوباش

على انخزاله

خراسان لمعونته

للقعود فارسل ابو علي ابا القسم الفقيه رسولاً اليهما للاستمالة
وتحذيرهما تقدم الصلالة فنهض اليهما واخذ لهما الميثاق وعليهما
وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما فسار ابو علي وتلقاه فايق
واميرك الطوسي بناحية الطابران فاتفقت كلمتهم على التظاهر
والتضافر وخلصت نياتهم في التساعد والترافد واختاروا
معسكرا بقرب اندرخ فخيموا به وقد كان ابو القسم اخو ابي علي
قد عتب عليه لعزله بولاية هراة وبرات اعمالها عنده الى ابي يمكو
خلامه وتقصيره به فيما كان تخطبه ويقترحه عليه من امثالها على
وفايه لبه ولايه اياه والتزامه حكم المشاركة له في كل ما نابه وجراه
فتقاعس عنه عند نهضته من نيسابور اعتلالاً عليه بتعقيد من
اشغاله حتى اذا تقضت مدة ارتحاله آيسه من وصوله احوج ما كان
الى عونه ونصاله فزاد ذلك في اعزاله وكسوف باله وحث الامير
سبكتكين تلك الخيول في قصد ابي علي حتى اناخ بطوس مقابلا لمعسكره
وذلك يوم السبت لعشر بقين من جمادى الاخرة سنة خمس وثمانين
وثلثمائة فثار الخيول وشتات الجنود الى التطارد والتجالد فعفوا
على ذلك مجاولة يومهم فلما قبض الليل مسافة ابصارهم عادوا الى مصافهم
وشاور ابو علي وجوه قواده في معاودة الحرب فاشار عليه اميرك
الطوسي وذووا الحصافة منهم بتجشم سبب الجلاد الاستظهار
على الامير سبكتكين بمتابعة الرجالة وغزارة مايه وسعة الخلوفة

من ورائه ومادة الحرب على اعجل الرجالة الطوسية باطراف عسكره
مستبين وحادبين ومغيرين وحايشين الحال يدركه الملك ويلحقه
الفشل ويتفرق عنه الحشم فعندها يناجزونه على بصيرة وقوة مزيدة
واستباحة جيرة فسفه من سمع هذا الراي من احداث وقالوا انما
نطارد القوم وتابع الوقت لا يعرف للنابي الا ميل عن المصاولة الى
المطاولة وعن المساورة الى المصابرة فها نحن نسابقهم المنة ونصبحهم
منها كاسا روية فانتقض عليهم التدبير وصار المامور هو الامير
وتوثب كلا العسكرين عند انفلاق الصبح الى الاستعداد للقاء
والاحتشاد لحرمة الهيجاء واقبلوا على تسوية الصفوف مشحونة
بالالوف كاجام الليوث من ذبل القنا والسيوف وجهز الامير
سبكتكين مواقف عسكره بنخب فيلته فحكت تحت التجافيف اطوادا
فارجلة وامواجا متدافعة ودنا الفريقان بعضهم من بعض
فلم يرع ميسرة ابي علي الا دهم ثائر عليهم من ورائه قرضتهم ذات
اليمين فاذا هم بالامير سيف الدولة في اللطم الرتم والليل المسد لهم فتزلزلت
اقدامهم وضلت احلامهم وافضا منهم ورا ان قلب ابي علي قد حمل
على قلب الامير سبكتكين فتباعد ضم على حملتهم تنادوا عن ايقاع
الامير سيف الدولة بهم فمزقوا مصفه ونقضوا موقفه
فوقف لهم الامير سبكتكين فيمن احتف به والتف عليه من خواص
غلمانه ورد حملتهم في وجوههم فارتدوا على ادبارهم وقد اظل سيف الدولة

عليهم من ورائهم فبقوا محصورين بين العسكرين واخذتهم السيوف
من كلا الجانبين وثار قتام خالط البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع
البيض على بيض المفارق وحطم الدبابيس ما بين الطلى والعواتق
وظلت خراطيم الفيول تستلب الفرسان عن صهوات الخيول وتلحق
القاتل بالمقتول وبلغ سيف الدولة من الايقاع بهم والابجاع فيهم
والانتقام منهم وصب السيوف عليهم ما لو سمع به رستم في زمانه لزهته
خدمة عنانه وهذبته اداب سيفه وسنانه وفات المحصورين
بقايا المهج تحت غواشي الرهج وبددا ايادي الارواح من بين مشتجر
الرماح فانجلت المعركة عن قتلى مضرجين بالدما وجرحى مطرحين
على العرا واسرى ايسين من الفدا وركب سيف الدولة اكتاف الفل
فاسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبل وعمي عليه وجوه تلك المخارات
والمداخل وكان من جملة المأسورين ابو علي بن سعد الحاجب وبكتكين
الفرغاني وايلمنك وابو علي بن نوشتكين والتون تاش بن سنجاور
والجيلي ولشكرستان بن ابي جعفر الديلمي وهولا اعيان عسكر ابي علي
ووجوه قواده ووجوه اكنافه واعضاده وسار ابو علي وفائق
بين مهاوي تلك الجبال ومصاعد تلك القلال الى ان اناخا بقلعة
كلات وهي التي تحمي الرياح بين شعافها وتترك الابصار دون ذوائبها
وشعافها فاضافهما بها اميرك الطوسي الى الطوس لما عدد من سيوف
وعن لحق به جملة من اجتمع ممن تفرق وكان ابو علي قد سرب الفيلة

مما كان منظوما ووجد الى ابي العباس تاش كتاب السلطان
باستعادته الى الباب لتدارك ما اختل وتلافي ما انحل واعتل فاغتنم
البدار وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الامور ونظم المنثور وتتبع الجناة
على ابي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير وعمهم بالنفي والتسيير وقلد الوزارة
ابو الحسين المزني فبطأ في التدبير ووحل في التقدم والتاخير لتهافت
الاعمال واستبداد اخرين عليه بالايراد والاصدار وقد كان ابو الحسن
بن سيمجور الكفا من بسجستان الى خراسان من عزل صدر اليه
استبشارا لنجوم الفتن واستفاضا للاعمال بها بتراجع الجيش عن باب
جرجان وتشوقا لنفاق سوقه فيما بينها فكتب اليه ابو الحسين المزني
مقبحا عليه فعله وناعيا اليه عقله وسامه ان يعدل الى قهستان
متنكبا وعن ملابسة الاعمال متورعا وان يسلم ابناء الدولة في جملته
وتحت رايته الى ابنه ابي علي وان يعاود سجستان فيكفي امرها
ويلم شعثها ويرأب صدعها وجعل باذغيس وكنج رستاق برسمه
على ان يزاد في توليته وحبائه متى عرف الطاعة صدق نيته
وعنايته ولما استقر ابو العباس تاش ببخارا اغتنم ابو علي خلو خراسان
عنه وعن المناضلين دونه فراسل فائقا يريده على مخالفته والجهاد
بمنابذته وترك الرضى بزعامته فوجده سمح القياد وموافقا
على الخلاف والعناد فاجتمعا بنيسابور على توكيد العهود وابرام
المواثيق والعقود وبدا ابو علي بمصادرة عمال حسام الدولة

الشعفة القلة

المراد بالنجوم ها هنا الظهور

ابى العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت ايديهم من امواله
وارتفاعات اعماله ثم نهضا الى مرو سدّا دون الولايات وحجابا
دون الاموال والارتفاعات حتى اضطر حسام الدولة الى مناهضتهما
وكفاية ما اهمّ من امرهما ومداومة ما استفحل من شرهما واستفتح
الخزاين عن ذخاير الاموال ونفايس الاسلحة والاثقال وبرز من
بخارا الى آمل الشط فخيّم على طرف الرمل وتردد السفرا فيما بين الفريقين
على حفظ نظام الالفة واستبقا جمال الدولة واخماد جمرات الفتنة
فوقع الاتفاق على ان يكون نيسابور لتاش وبلخ لفايق وهراة لابى على
وتفرق كل منهم الى باب عمله واجدّ ابو العباس تاش الى مرو
وقد كان قبل فصوله من بخارا توصل الى عزل المزنى عن الوزارة بابى
محمد عبد الرحمن الفارسى المتولى كان لامور كدخدائيته بخوارزم
تهنى بالامير هراة اذ قد علا عن ان تهنى عن هراها
ابى على وقلبه بهراة
وكيف تهنا الدنيا جميعا بناحية من الدنيا احتواها
من ميله الى ابى على وفايق وادهانه فى امرهما فلما استقر هو بمرو
صرف عبد الرحمن بعبد الله بن عزير وهو المعروف بتعنت الى العتبة
ومشاحنتهم ونصب العداوة لهم وللصنائع ... وجرى الاوتم
عليهم وتسديد المعضلات اليهم فبدا بصرف ابى العباس تاش
عن قيادة الجيوش ونقلها الى ابى الحسن بن سيمجور مضادة
لابى الحسين العتبى فى تدبيره وتدارُكا بزعمه لما وهى من اصل
تقديره وتقريره وامر بالكتاب عن السلطان اليه فى نقل العمل
عنه وتعويضه كورتى نسا وابيورد منه والايعاز اليه بالاستبداد اليها
والاقتناع بهما وحذف عنه خطاب الزعامة واقتصر له على ما كان
موسوما به من الحجابة فلما وصل الكتاب اليه احس بامارة الشر
ودلالة الحيل والختر وعلم ان ذلك فاتحة الخطب عليه والتشفى
منه والوضع من قدره والثلم فى جاهه ومحله واستحضر وجوه
القواد واعيان الحشم وعرض عليهم الكتاب وعرّفهم ذاته
وديدنه فى طاعة سلطانه ومناصحته والاخلاص لدولته
والذب عن حوزته والشكر لما وسعه قديما وحديثا من نعمته وافضاله
مدة مصاحبتهم اياه عليهم بحسن قيامه ورعايته ورفق زعامته
وابالته نيابة عنهم فى تنجز اوطارهم وتزيين مباغيهم واثارهم
ومواساته لهم بما اشتملت يده من خاص ماله وحاضر ملكه
وانه ومع ذلك فى نفسه ومهجته مقصود وعن بابه ... وولى
نعمته مردود ولا مُنع ... من جهته منهم عن رايه واختياره
فى معاودة بخارا او اللحاق باى جانب شا فليعزم كل منهم ما احب
غير منازع فى قصده ولا ممانع عن وجهه فاستمهلوه ريثما يعلمون
من وراءهم من اهل العسكر صورة الحال ويعرفون ما عندهم
من الراى فى المقام والارتحال وتجمعوا بعد ذلك دفعات متباعدين
فى الاختيار مرة ومتقاربين اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على

موافقته وترك مفارقته والاذعان لرياسته وهو افقده على ما يلقاهم
الزمان به من سلم وحرب وذلول وصعب وسهل وحزن وسرور
وحزن وخوف وامن وكتبوا الى بخارا بما يلزم من الزعامة عليه
لجماعة لحق خدمتهم وتحكيما للكرم في تحقيق مسالتهم واستبقا
لوجوههم بما طاعتهم فابى ابن عزير ان يقع لهم نجاح او يستمر بين
اولياء الدولة اصلاح وكتب اليهم يمنيهم الزور ويعدهم الغرور سرابا
بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وسامهم معاودة
الحضرة تطميعا لهم وتنفيقا للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الجواب
ازدادوا بصيرة في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرفا
تصا ذيله وتحوعا له في وجوه تكاليفه

ذكر انقلاب فخر الدولة الى [illegible] وما جرى بينه وبين حسام الدولة من المكاتبة والتعارف

واتفق بعد معاودة ابي العباس تاش الى بخارا ان قضى مؤيد
الدولة نحبه ولقي ربه وقبل انقضا الحول كانت بينهما ما دهاه الحزن
بوفاة عضد الدولة اخيه فتماسك عن اظهار المصاب اباة بالخطب
الذي كان امامه حتى يكفيه بحفيظته المرة ويقضيه بعزيمته المستمرة
وتشاور اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه ويسد في الرياسة
مسده فاشار الصاحب اسمعيل بن عباد الى فخر الدولة اذ لم تكن
في ذلك البيت احق بالامارة واتم استقلالا لاعباء الرياسة والسياسة
سنا وكفاية منه فطيروا البريد اليه في البلاد اي بما اورثه الله من
عقيلة الملك وذخيرة الملك عفوا لا منة لاحد عليه به ولا حق يحثم
لسانه بشكره واستخلفوا اخاه ابا العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة
على ضم المنتشر وتقويم المتاود الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير ما يليه
ويتوفى عنه بتحرير ما ينشيه برايه ويمليه وبادر فخر الدولة من نيسابور
الى جرجان بطاير البرق بين جناحي الافق فاستقبله العسكر
خاضعين طائعين وعلى صدق الموالاة والموالاة مبايعين وتبوا
مقعده من سرير الملك وارثا ما اوصى له به ابوه وسابر ما كان يديره
اخوه كذلك يوتي الله الملك من يشاء وينزع ممن يشاء وهو الفعال لما
يريد وانشدت لابي الفرج بن ميسرة ابياتا من قصيدة يرثي بها مؤيد الدولة
وهي هذه

ولو قبل الفدا لكان يفدى ... وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون ... تكد لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت فالبس ... برغمك دوننا ثوب الحداد
اذا قدمت جاحمة الرزايا ... فقد عرضت سوقك للكساد

وكتب الى ابي العباس تاش يذكر ما اصاره الله اليه واعلقه
بيديه وان ذلك كله موقوف على احكام مشاركته ومصروف
الى اقسام ارادته وانه لم يرج لاستجابة ايامه النافرة واعتاب
دولته العاتبة ارتياحه لما تمكن به من معاضدته على مصالح احواله
ومرافدته على مناجح آماله شكرا لما كان يعهده من مقامه
قبله وقدمه من جهده في ارادة الخير به وارتياد النجح له

بعدا اصبحت عشاق عشاقها ليلى ولما رأت خطابها فرقتهم فلم ترض الا وجها الاول اولى
ولم تتباه بالكلي ولم تقل رضيت اذا ما لم يكن ابا معزى على انها كانت جعلتك تدللا
فخليتها حيث تطلب الرضى

فاجابه عنه مهنيا بما اتاحه الله له من كريم صنعه ورفعه اليه من هدى
ملكه وشاكرا له ما اوجبه وراه وشاكيا اليه ما رهقه ودهاه
فكتب اليه بانه سيهمه فيما يليه وتسنيمه فيما على ما يحوبه وان امره ممتثل
في كل ما يرومه ويبغيه فليبن امره على ما يلتفت اليه اقتراحه منتظرا
لما تقتضيه شركة المفاوضة من التبسط بالملك في المال وترتيب الرجال
على اعقاب الرجال وكان قد انهض ابا سعيد الشبيبي وهو الملقب
بشيخ الدولتين الى ما قبل فخر الدولة موصولا بحرقه في العاجل بتقدير
من المال ونحوا الف فارس من رجال العرب والاتراك
فورد نيسابور وانضم الامير ابو محمد عبد الله بن عبد الرزاق مواليا
لابي العباس تاش على ابي الحسن بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد
وتوافقا على التكاتف والترافد وانحدر تاش الى نيسابور فسبقه
اليها ابو الحسين وانحاز المقيمون بها انتظارا لوصوله في سواد حوله
ولحق بهم فصارت الايدي واحدة والقلوب على الاخلاص متعاقدة
وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي فخيم بظاهره وناوش
ابا الحسين الحرب اياما عدة وهو متحصن بالبلد ودروبه ومنحجز
بضيق مداخله وسدوده ولحق بابي العباس تاش زهاء الفي
رجل من خلص الديلم ونخب الاتراك يقودهم ابو العباس فيروزان بن الحسن
في كبار القواد ممن يعضون على الزبر ويدخلون ولو حرت
الابر فلما احس ابو الحسين بن سيمجور بانا ختمهم علم قوتهم على حرب
المضيق واعجازهم باطراف الزانات والمزاريق فاتخذ الليل جملا وترك
البلد هملا وسار يريد قهستان سالكا عورة الانهزام ملابس الظلام
وسمع عسكر ابي العباس تاش بارتحالهم فشدوا على اثارهم واثقالهم
واصابوا منهم غنايم موفورة وانفالا غير محصورة ودخل ابو العباس
تاش نيسابور وجاوزها الى المعسكر بظاهرها مما يلي الجانب
الشرقي حميد الظفر رضي الاثر وانشدني ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي لنفسه
في تلك الوقعة ٭ قل للذي انا في هواه خائض صاد الفؤاد بصدغه الجماش
صدغ يرى نوم الرياح كانه قلب ابن سيمجور راجيش تاش
ان الشتا مضى بقبح فاشي واتى الربيع لنا بحسن رياش
ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله واتانا من ابنا الكرام بتاش
ولزم تاش مناجزة ذلك تواصل الكتب الى بخارا في الاستمالة والاستعطاف
والاستقالة والضمان لانف الطاعة وعرض الملك والنفس بلسان
الضارع فلجت بابن عزير صلابته في عداوة آل عتبة دون معاطبتهم
ومعاداته ومعاندته وطفق يتفق على الامير الرضي والدته
التي كانت كافلة بالملك ان تاشا معتصم بالديلم وقاصد
قصد الاتحاف بالدولة وانه متى ادخى من عنانه فيما يستدعيه
وجب التعري عنها والتسليم عليها حتى ظننا ان الامر كما زعم فوكلا
التدبير اليه وجعلا رباط الحزم والتدبير به وقد كنت اروى لصديق
لي في تلك الايام بيتين لابن المعتز سمعتها في الشباب وهما

ولما انشاني ذلك

انف كلاشي وآنفه اي جديده

شيئان لو بكت الدما عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الاحباب

فقال الان اللبق يحكم الوقت والحال بيتان في وزنهما وصيغتهما للحسين بن علي المروروذي

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما راى النسا وامرة الصبيان
اما النسا فميلهن الى الهوى واخو الصبى يجري بغير عنان

فانصف لعمري فيما وصف وحكم حكما تشهد به العيان ويسجل بصحته الامتحان وابى الله ان تكون ظير في شفقة الام وخال بمنزلة العم وعسيف بمثابة الصاحب ووزير بمحل الملك المغالب المستبد برايه الصايب وفكره الثاقب واهمل ابو العباس تاش ما اهمه من امر ابي الحسين بن سيمجور وقصده لمباراة لولاة التدبير ببخارا واستمالة لهم واستئناسا بهم وامساكا للوحشة من الازدياد وصيانة للفروج من الانسداد ولم فيما بينهما يهتبلون فرصة الرخا ويغتنمون فسحة الامهال والامها ويقبلون على مواصلة الاجتناد والاستعداد ومداومة الاستمداد والاستنجاد وكتب ابو الحسين بن سيمجور الى ابي الفوارس بن عضد الدولة بفارس فامده بالفي فارس من نخب الاعراب والضم اليه فايق في خواص غلمانه وساير من استخلصهم من اطراف خراسان وكروا باجمعهم على ابي العباس تاش في خيول غص بها عرض الجبوب وضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب فلما قاربوا نيسابور خالفوا معسكره الى البلد لاستملاكه عليه ومسابرة دونه الحرب عن ظهر منعة واقتدار وحال نجدة واستظهار فعاد ضمهم ابو العباس تاش في مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وابي سعيد الشبيبي وخواص غلمانه وشبهم الحرب من حيث متع النهار الى ان صارت كعين الاحول وظلت حملاته تحطمهم حطما وتوسع اكتافهم هذا وهدما وكانت المجاعة فيما بين سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغت منهم مبلغا احرج صدورهم واقنع بالاجفال جهودهم ايثارا للفسحة المضطرب والخلاص عن ضيق المعترك وحمل ابو العباس تاش آخر النهار حملة قذ بها خاتمة القتال وآخرة النزال فتلقاها ابو الحسين بن سيمجور وابو علي ابنه بشكايم قوية وعزايم في الثبات صريحة وردوا منطلقات الاعنة بمشرعات الاسنة ومترعات الزحوف بمرهفات السيوف فلما انقلب الى مقامه وقد تفوق في تلك الجملة عنه سواد حماته وحفظة راياته شدوا الجملة عليه دفعة واحدة فاضطروه الى الانهزام واسلام المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فايق حتى تزعزعت صفوفهم واضطربت جموعهم فتداعوا الامان من وقع السيوف خلا من اخذته صهوات الخيول فجمعوا في بيت الاسباب على حال الذل والصغار ثم حملوا الى نكار راغلى الجمال في الجواليق آية ونكالا وتشفيا ممن ساقهم الى خراسان اذنابا لا اذلالا فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمعازل بدلا عن السيوف والعوامل

لم تقضيا

الجبوب وجه الارض

لحفظ البلد اولا

القوية والجيد او جيول

جمع جبيل وهو المدينة

وأسرهم الى محابس القهندز الى ان اقتسمتهم الايام بين ممات ونجاة

ذكر انتقال حسام الدولة الى جرجان ومقام ابي علي بن سيمجور بنيسابور على قيادة الجيوش

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان فانفصل عنها فخر الدولة متوجها
نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة محفوفة
بالفرش الفاخرة والخزاين العامرة والاهب الوافرة حتى المطابخ
بما فيها من الالات الصفرية والاواني الذهبية والفضية وتقدم بان
تسلم اليه خزانة كان قد اعدها ليحملها الى نيسابور قبل الكشفة
مشتملة على خمسين الف دينار والفي الف درهم وخمس مائة تخت
من الوان الثياب الى غيرها من عتاق الافراس وجياد المراكب
والدواب في اعداد الاسلحة والوقايات من تجافيف ومغافر
ودروع وجواشن وتربية وزانات اكثرها مغشى الظهور
والنصب بحلي الفضة والذهب وبنوع غلة دخل جرجان ودهستان
وآبسكون واستراباذ الاقدار كان مصروفا الى عمارة القلاع
وارزاق مستحفظيها من الخواص فامر تاش بتفرقة تلك
المبار والاموال فيمن صحبه من القواد وطبقات الاجناد حتى
جبر كسيرهم وقوى ايرهم وواصل لهم الادرارات والاطماع حتى ازانت
اجوالهم وخصبت رحالهم فصاروا بجرجان احسن منهم بخراسان
حالا وارغد عيشة وانعم بالا وجعل فخر الدولة يتابع الحمول اليه

من طبرستان زيادة في تاثيل حاله واستبقا لنظم جوده ورجاله
فعل من لا ينفس على اخيه بنفايس ما يحويه ولا يضن على صديقه بجليل ملكه
ودقيقه وقد كان الصاحب يستشرف ما توجبه له من الاحسان والمواساة
والمواصلة بالصلات والكرامات وقبل ذلك ما نصح له في استعراض
خوانيس رجاله مخالفة لسلفه فيما اختاروه من سيا المتهاي اغتنام السلامة
منها فقال له ذات يوم ان حقوق ابي العباس على حقوق لو نزلت
معها عن جميع ما اتاه الله علي من ثمرات هذا الملك حتى احل له عروة
هذا القميص لوجدتني في ادنى درجات المكافاة وايسر مراتب
المواجب فاشار الى واحدة تكفيه امارة على ما اوجبه له مدة
مقامه قبله اشفاقا على مهجته وحرصا على محبته وذبا عنه في
حال غربته وهو ان اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلا اليه يبتزذانه
على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان والاولة ثانيا
مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب وفره العتاق واعليا في
الاستيام والتطميع حتى لم يبق بردميان ولا للسان العذر مقال
وتادي جد الرسالة فاستظلمت ضوء النهار واستخشنت جانب
القرار وقمت من الحيوة على شفا جرف هار اذ لم في الهرب مطمع
ولا في قوس الرجا منزع وبت بليلة النقد اري الشر كان قد راكي
ان اصبحت وقواي متخاذلة واركاني متهافتة خوف الاذن
بالدا العياء والداهية الدهياء فاتاني حاجبه بعد فراغه من

من الاذن داعيا وآذنا فلم ادر اداع هو ام ناع وآذن هو ام نادب
وطالع ضيا هو ام طارق آفة وخمنت في الظن كناية عن المحذور
وتورية دون القدر المقدور فركبت اليه وبين عيني حتف مرتقب
من بنانه عليه الى ان حصلت في مجلسه وصادفت من حسن القيام
وفرط الاكرام والاعظام وفضل البر والايناس ونضرة البشر على الناس
ما لم اكن عهدته فيما مضى من مجالسه ومؤانسه وما زال يرقيني ببشره
ويسحرني بلطفه وبره الى ان ثابت نفسي الي وانحلت عقدة
الخوف علي وتطاير الهم عني شعاعا وذهب شؤبوب الظن جفاء
ثم ناولني الرقاع الواردة عليه فنشرتها عن انياب الاراقم وحمات
العقارب واقداح العلاقم على الرسم المعتاد من كيد الاقارب
ثم اقبل علي فقال قد كنت على ان اكتم الامير صورة الحال صيانة لقلبه
عن نوازع الظنون وهواجس الافكار لكني فكرت في حكم الحال
التي تجمعني واياه فرايت اطلاعه طلع ما كتب والافضا اليه بحقيقة
ما طلب املك لسكونه واوقع لطائره وانفى لخلاج الشك عن خاطره
واقسم بجميع ما يغلظ به ايمان البيعة انه لا يعد اخراج العراق
باسره على نفاسة قدره بشعرة من يديه ولا يرى كبر من يرتد وان جميع
ما ملكه من صامت وناطق وقاعد وقائم حتى فص هذا الخاتم وزر
هذا القرطق وقاية لمهجته ووقف على مصلحته ومعد لدرك الحوادث
عن ساحته ومبتذل في الانتقام له ممن نافسه في ملكه ونازعه

حوزته حتى ياذن الله برده الى بيته قرير العين منشرح الصدر
صاعد النجم ماضي الحكم على الخصم ايستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة
طوعا وطبعا لا عن رغبة في رغيبة ولا ميل الى نيل ولا تطلع الى وجه
مطمع ان يتغافل عن معونته وارفاده ويتجاهل دون ما يجذب ليه
زمام مراده لا ورب الكعبة وحق ركن الدولة لا اعرف الناس بنيسابور
هذا الحق العظيم وقد استسهلت طريق المكافاة ووجدت عون الله
على حسن المجازاة على ان الفضل لمن سبق الى البر وان جهدت في المقابلة
وشددت الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون من هذا الكلام
والكرم الذي عز مثله في سالف الايام واجتهد الصاحب
من بعد ذلك لمصالح تاش مناصحة لصاحبه وكفالة عنه
بما يقضي الحق عليه ويقيد شرف الوفا به وبقي تاش بجرجان ثلث سنين
نائي الجنب عن القرار جافي الجفن عن الغرار شوقا الى خدمة سلطانه
وحرصا على عرفان حق اصطناعه واحسانه واشفاقا من تاويل
حساده في انتباذه عن خراسان انكاره حق الولا ونزعه عن
ربقته طوق الطاعة والوفا وجل همه معاودة بخارا لاستيناف الخدمة
والسلامة من المذمة وارسل ابا سعيد الشبيبي الى فخر الدولة في
الاستعانة على معاودة خراسان فجهز اليه اسفار بن كردويه
وعدة من اعيان القواد وزها الفي رجل من خواص الديلم وكتب
الى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو يومئذ بصلة جناحهم

بمجالسته ومؤانسته خ له
سل الاقارب كالعقارب
دون خ

والزعامة عليهم في ايرادهم واصدارهم والصدد في ذلك كله عن
راي حسام الدولة ومثاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حله وترحاله
وناره في سلمه وقتاله وحلّوا صحبته من المال لا قامات اهل عسكره
ضعف ما كان خلّفه عليه عند نصوله عن جرجان فسار ابو سعيد
الى طوس فانتدب نصر القراة وقرى القواد في صحبته كما قرى تميم
ضيفها وحاذها ابن الحضرمي حذو النعل بالنعل وذلك انه امر بهم
في صحن داره فاخذته السيوف بمنة ويسرة حتى برد وعمد الى
الآخرين فحبسهم في سرب واوقد الفحم عليهم وسد منافس التسرب
دونهم حتى اختنقوا بين حر الجمر وعدم المتنفس واحتاز تلك
الاموال المحمولة والدواب المقودة راضيا بسمة الغدر وقاضيا
على نفسه بالخزي يد الدهر واحفلا لما قرن بحر الري لايلوي واحد
منهم على اخر الى ان وردوها فقرروا الصورة وقرأوا الصحيفة المنشورة
فورد من ذلك على فخر الدولة ما اطار واقعده وهاج وازعجه وعلى
حسام الدولة ما اقلقه واكده واضعف عن كل شي قلبه ويده
وكتب اليه فخر الدولة بذكر ما رآه من تجهيز الجيوش اليه الى استراباذ
ليصير المقصود محصورا بين العسكرين ومضغوطا من كلي الجانبين
الى ان ياذن الله فيه بالبوار او الانتباذ الى غيرها من الديار
فانحدر رتاش الى استراباذ وخيّم بها ازاء خان فاخذ نصر لما
قدم وما حدث وما جرى وما حنث وراى الحين قد فغر فاه والسيوف
تطلب وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام
وطفق يكتب في الاعتذار الى الجانبين بانه كالعابر كاحيا لما ارتكبه
وخجلا من عوار ما اكتسبه وتحمل بشفاعة حسام الدولة في الاستصفاح
واستقالة ما تخبط فيه لسوء الاختيار حتى كتب في بابه بالنفس من
جنايته وتكريم فخر الدولة بقبول انابته رعاية لحق شيبته وقرابته وعاد
تاش على ان يستانف تدبير خراسان وكان فخر الدولة قد استوحش
من ابن اخيه بها الدولة لاحوال اخل فيها بحقه وترخص معها في
المفروض من اجلال قدره ونحلة فناهضه في معظم جيوشه مزاحما
له في اعمال خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في جنود الاكراد اولي
البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها مدلا بالقوة السابغة
والنجدة الوافرة وانهض ابا العباس فيروزان بن الحسن نحو البصرة
لاستصفائها واستضافتها الى اخواتها فلما عبر بهمن موسى ابتاش
المقيمون بها من عسكر بها الدولة اهل البصرة فحمد منهم خلق عظيم
الى المسالك تليه وبينهم فتنفقوا بسكور الاهواز عليها حتى عميت
الطرق واعوز المجال والمخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات
ووحول سيكت عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم
الاقبال والادبار وافهم اقبال جنود من الموصل على عوادل الطرق
لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما اخذتهم ابصار اصحاب ابي العباس
وراوا فيهم شوكة ووفورا ولوا على ادبارهم نفورا وكان بدر

قريباً منهم فلما رأى الكشفة جاء مًا منهم وثبت بنفسه مدافعاً فأعياه
سد ما اختل ورد من أجفل فاستمرت الهزيمة بهم إلى فخر الدولة وهو
بسوق الأهواز وشكوا إليه ضيق الحال وتجمعوا على بابه للمطالبة
بالمال فغاظه ما ظهر في الأول من عجزهم وخورهم وما انتشر في الثاني
من سوء فعلهم وأثرهم فانكفأ بهم راجعاً إلى همذان على ظاهر هدنة وقع
التغاضي عليها ومنها إلى الري وذلك في شهور سنة سبع وسبعين وثلثمائة
وحدث ببلاد جرجان خارج عن الحد في هذه السنة فهلك
من أصحاب حسام الدولة ووجوه قواده وأعيان رجاله والمذكورين
من كتابه وعماله وسائر حاشيته وغلمانه خلق عظيم وعرضت
له بآخره علة صعبة ختمتها به فمضى لسبيله رحمه الله وقد كان أصحابه
أوغروا قلوب أهل جرجان برسوم ذميمة ابتدعوها ومعاملات
قبيحة اخترعوها وأحوال عنيفة أوقعوها فلما تشاجر وفاته
صاروا يداً واحدة على أصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم
تحت كل حجر ومدر وجعلوا القتل جملة ما ينتظم الصغير والكبير والشريف
والمشروف في سلك القتل والتنكيل والإبادة والتمثيل وشغل وجوه
أهل عسكره دهاء المصيبة عن الفراغ لقمعهم وردعهم وإخماد جمرتهم
واستكفاف عاديتهم فاقتضتهم صورة الحال البروز إلى ضاحي البلد
لضبط الأمر وضم النشر والفكر للتدبير في اختيار من يصلح
للتأمير فبرزوا إليه واتفقت كلمتهم على ابن أخت له يقدمونه

التي قبض عليها بنيسابور إلى كلات في جملة ضيعة فكتب
أبو علي يغرا الحاجب وسائر الأسرى يذكرون له أن الأمير سبكتكين استبد عليهم
وشتمهم وصلبهم رجاهم ووعدهم الإفراج عنهم متى ردت
تلك الفيلة إلى مرابط أمثالها من مناخه وسألوه أن يفعل ذلك تنفيساً
عنهم وتخليصاً لهم فتقدم أبو علي إلى أميرك بردها والإفراج عنها
ونهض هو وفائق على سمت أبيورد مصعدين عن تلك المضايق
فبعث أميرك بتلك الفيول إلى الأمير سبكتكين وكتب إليه بربه
أنه المتقرب بردها المتفرد بالخدمة فيها فاستعمر بذلك رتبته
وأحيط على أبي علي تربته وفي ذكر هذه الواقعة يقول أبو الفتح البستي الكاتب

ألم تر ما أتاه أبو علي ... وكنت أراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت إليه ... رجال يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معقله فقالت ... عليه طوس أشأم من طويس

وسار أبو علي وفائق إلى سواد أبيورد على أن يقصدا كورة نسا فسنح
لفائق أن يعدل إلى سرخس لرأي رآه فخذل أبا علي على المكان
وسار بمن معه من الغلمان فلما سمع أبو علي بمسيره أرسل إليه بأني
غير مفارقك على أية حال تصرفت بنا من إخصاب وإجداب
وإحزان وإسهال وإن ركوب هذا الطريق كان على ما سنح لنا
بادي الرأي من الصواب وإذ قد بدا لك في التدبير ما في ناح رأيك
وها أنا من وراءك فوقف له إلى أن لحق به وسار إلى سرخس

الثالث

الثاني

التراضي

ابن ه

الكاتب

ومنها الى مرو وحين تسامع الامير سبكتكين بخبر عودهما عن سمت ابيورد
نهض على اثرهما واستخلف الامير سيف الدولة على ما فوض اليه من اعمال
نيسابور رضا منه عنه بكفاية امرهما فقصدهما او طاردهما بمرو ثم اخترقا
مفازة امل الى الشط تحجزهما بجدوبة المفازة وصعوبة المجازة
المسابقة واستداد المسالك واستدام المناهل والقيا بها عصا القران
وارسل ابو علي ابا الحسين محمد بن كثير وفايق ابا سعيد عبد الرحمن
بن احمد الفقيه ونديمهما الى بخارا في استعتاب الرضى واسترضا به
واستغاثته الى رعاية حقوق مواليه واوليائه فاما ابو الحسين بن كثير
فانه صرف وراءه على وجه جميل وكتب الى ابي علي في تمنيته وتاميله
ورسم له ان ينحرف الى الجرجانية فيقيم بها الى ان يستانف تدبيره
امره بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه امر باعتقاله ووضع في
الحبس على رسم امثاله وندب من بخارا بعض المسودة بكتاب
الى مامون بن محمد والي الجرجانية يستقدمه بتقرير حاله وذكر ما اتى
من البر في بابه فاستعص فايق لما قوبل به رسوله وعلم ان يعبر
النهر الى ماوراه ملتجيا الى ايلك الخان ومستصرخا اياه ومستعينا
به على ما دهاه واشار على ابي علي بان يساعده ويجمع اليه يده ويساعده
فان الغرض المقصود في طرحه الى الجرجانية تفريق ذات بينهما في
المساعدة والمرافدة والاجتماع على الحادثات باليد الواحدة وان
الذكر غمايه ابدهما من الخلاف على تلك الدولة اضطرار كان
او اختيار لا يوجب الاغضا عن تبعاته والذهول عن نفثات
انيابه وحماته فاختار ابو علي مباعدته على مساعدته ومجانبته على
مقاربته سر الله فيما حكم به من صديع شمله وقطع حبله ووضع رجله
فليس لما خطه الله رافع وليس لامر شاء الله دافع وافترقا عن
مناخهما فاما فايق فعبر النهر الى ماوراه عادلا الى ايلك مستجيرا
اياه وواصلا عروته بعراه فانهض من بخارا على اثره بكتوزون الحاجب
فتصادما بنخرود نسف وولى كل واحد منهما صاحبه ظهره بعد
ان ابلى في اللقا عذره فقبلها ايلك احسن قبول وقراه احسن مقول
ومفعول وضمن له الوفا بامله ورده الى ما استترد عنه من
عمله واما ابو علي فاخطا الطريق وحرم التوفيق فسار متقلا بالجرجانية
من العصيان محلا لما فاته من فرصة البر والاحسان قد حملته
يد القدر بمورد الحيرة والنكد وغمت عليه غياهب الظلما القضا
مذاهب القضا فهو تخبط خبط عشوا مستسبيلا للمقدور مستسلما
لطوارق المحذور والشد في ابو حاتم الجيفي المذكر في مثل حاله بعضهم

اذا اراد الله امرا بامرء وكان ذا راي وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما ياتي به مكروه اسباب القدر
اغراه بالجهل واعمى عينه وسله من عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليعتبر

ثم ورد ابو علي قاصدا سمت الجرجانية الى ان بلغ المسير

به الى هزاراسف وهى قرية تقابل بلد خوارزم من الجانب الغربى
فارسل اليه خوارزم شاه من اقام له نزلا وقدم اليه عذرا ووعده العبور
اليه غدا لمشاهدته ومفاتحته ومفاوضته وقد كمن له زهاء الفى رجل
من افناء عسكره فى خمر الغياض والاجام اغتيالا له جنح الظلام وحكى لى — للجماعه
ابو على الحشنامى احد ثقات ابى على وكان قد نهض فيما مضى من ايامه رسولا
من جهته الى ابى عبد الله خوارزم شاه انه انشده ابياتا لابن المعتز
ورسم له تبليغها الى ابى على على معنى النصيحة وهى

اذا امكنت فرصة فى العدو فلا يبد شغلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا اتاك عدوك من بابها — اى كيف تجئ بعرضها
واياك من ندم بعدها وتاميل اخرى وانى بها — اى وانى تطاق بها

قال فرويتها له وذلك قبل استيحاش ابى عبد الله منه فقبلها منه
بمنة ثم ذهل عنها كان لم يقرع بها قط سمعه ولم يستودعها يوما
ذرعه ولم يعلم انها كانت رمزا من الايام بارتقاب النوائب واتقاء
العواقب ولم يعلم ان للافعال والاعمال جزاء يجزى اربابها وحيا
او بطيئا ومحسنا او مسيئا وغفل لسلامة نيته عن الاحتراس واقتدى — اى وحيا يا دبابها محسنا او مسيئا
بغفلته سائر الناس حتى اذا اكتحل العيون كراها وثقل النوم سراها — نفّه النوم اى اكل
صبحت الافاق بخفق الطبول وغطغطة الخيول واحيط بالقصر الذى
نزله ابو على على قلة او نيل المراد من استنزاله فبادر من حف حوله من
غلمانه للدفاع وتاريث جمرات المصاع وخف بنفسه الى زعيم القوم

يسائله ما خطبك ولماذا حزبك فقال ان خوارزم شاه امرك متقرب
اليه برفق الاذعان دون عنف الضراب والطعان فهو للفتنة اطفى
وللاحنة انفى ولتباع الانتقام اقصر ثم انتهى اذا ابصر فبادر
ابو على الى النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك
قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة خمس وثمانين
وثلثمائة فامر به الى بعض القصور محبوسا معتقلا فيه وشد الطلب
على اصحابه وقواده فاسر منهم الاعيان والاركان وافلت ايلمنكو صاحب
جيشه بمن اتبعه نحو الجرجانية وتورك فى الافراد وخدم القواد من
اقام يومئذ بهزاراسف فابيح دمه فتفرقوا ايدى سبا فى الاقطار كشوارد
الامثال واعتقل الباقون على صغار وخسار الى ان اذن الله فى
خلاصهم بوالى الجرجانية مامون بن محمد وذلك انه لما سمع بنبا ابى على
وما ارتكب منه خوارزم شاه اضطرب قلقا واضطرم حنقا وبات — اى ارتكبه
يرعى النجوم ارقا الى ان استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار يستخفون
ثقال الاعمال ويخوضون مشارع الاهوال ويتقدمون ذرى الجبال — الاحمال اسم — منقادو
ويستنزلون العصم من شعف القلال وسار فيهم ايلمنكو فى خواص ابى على
ورجاله قد اوغرتهم الحفائظ والاحن واحرجتهم النوائب والمحن
فهم يسعون الى الثار ونفى العار ودرك الاوتار فعبروا الى كاث
مدينة خوارزم شاه واحاطوا بها احاطة الاطواق بالاعناق
وناوشوه من كل اوب وحدب فظلت تلفح وجوه رجاله بجمراتها

رجالها

ارثم

حتى اجلتهم عنها مدحورين وجعلتهم في بقية الاسلاب مقهورين وذمروا
على خوارزم شاه في قرارة بيته فاعطاهم بيده ووصل الى ابي علي
فحمل ثقل قيده على كعبيه وبات لشجاه امامًا في رقعة من اديم النهار فصار الامير
منهما اميرا والامير اسيرا وكان ذلك على الله يسيرا وتحمل ابو علي نحو الجرجانية
في احسن حال وانعم شعار وحمل ابو عبد الله على قتب عار بين خزي وعار
فاستقبلهما مامون بن محمد فقابل ابا علي بالاعظام والاجلال وعومل
ابو عبد الله خوارزم شاه من ضروب الاذلال بما يجل عن المقال وانسلخ
مامون بن محمد عن مجهوده في اكبار ابي علي واجلاله ومشاطرته صنوف
امواله واتمام العطايا العامة رجاله حتى انتظمت احوالهم واخلا
بهم احتلالهم وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسًا كانما عمل عليه
صناع صنعًا تزيينًا وتحسينًا وتنضيرًا وتنجيدًا فاحتفى عليه في الترتيب
احتفاء لطف ومسالمة اذ كان قد هجر الشراب وودعه منذ زمان
فلما اخذت الكؤوس مآخذها اقترح عليهما احضار خوارزم شاه
فاحضر يحجل في قيده ولم يتردد في جواب ما سئل عنه وعير به على الاطراق
وسم الارض بالحداق وجلة امره انه امر به فاذريت هامته
عن منكبيه فتدحرجت الى الارض شبيه البيضا كذلك الله يفعل ما يشا
وصفت خوارزم لمامون بن محمد فرتب بها مراسم الخطبة برسمه
وجبى اموالها على حكمه وتابع كتبه الى الرضي متشفعًا في امر ابي علي وسائلا
تدبر امره بما يؤمن وحشته ويجبر خليته فخوطب هو وابو علي في الملتمس
بصحيفة المتلمس رضي بما ينطوي على حقد دفين ووجد في الصدر
دوى وامر ابو علي بالمسير الى خدمة السرير فلاحت له اماني قد قعد
بها جده واصلد عليها زنده فشخص نحو بخارا سائرًا الى مراق دمه بقدمه
وقد اغفلت الايام قلبه عن ذكر فعلاته وزلاته ليلقى قدرًا مقدورا
وليقضي الله امرا كان مفعولا ولما شارف بخارا استقبله الوزير عبد الله
بن عزيز والقواد على طبقاتهم مهنئين ومتبركين ومضى بهم الى الشهلة
فنزل بها واخذ يلثم الارض الى ان بلغ الشدة ورفع الحجاب وسار امامه
الحجاب الى ان وصل الى الرضي فاستوفى ادب الخدمة وابس ذلك كفران
النعمة واستترك بعقبه ايلمنكو في كبار اخوته وقواده حتى اذا نودي
بدابته للخروج من الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والاخرون
في القيود والاصفاد واطلق على الوقوف بالباب ايدي الاولياء والحشم
فطبقوهم بالسلب والنهب وسلخوهم من كل مضيق ودرب وختمت
حال ابي علي بيومه ذلك يوم تطامن فيه صوره واستقام صعره ونضج
له ثمره واعيا على ورده صدره كذلك كفران النعمة لا يرضى الا بسخط صاحبه
واستبداد الزمان عليه بانيابه ونوائبه رحم الله من قال فقد احسن المقال

اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من امره ازينه
واعجب بالعجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يومًا ويبكي سنه

وقد كان الامير سبكتكين منيخا بمرو على اثر ابي علي فلما بلغه ايقاع خوارزم شاه

دجليه
تحمل
يقابل
الواو للحال لا للعطف على انتظمت
منها
بالاحداق
و الله
للعطف
اي راضين
اسم موضع
ونزل
اي نضج ذكر اليوم ثمره
[illegible]
واعجبه

مغني أصح

بأبي علي عبد الله الى نوح فعرّفه بما على جملته في الطاعة وارتياد مصلحة الكافة
الى ان ورد ابو علي بخارا واوقع في بابه بما تقدم ذكره وطلع اثنا ذلك
كتاب الرضي عليه بما يمّم به ايلك من الانحدار عن الاعالي وحيازة ما
في ايدي عماله من اعمال تلك النواحي يسأله تجشم الحفوف في جمهوره
والعبور لكفاية شغله لمتمما للصنيعة عنده في استعادة دولته واستبقاء
ملكه وحوزته فاستشار في ذلك وجوه نصحائه وذوي آرائه فتوزعت الاجوبة
بين تبعيد وتقريب وتخطئة وتصويب فاخذته العزة بالوفاء وهزته الحفيظة
للنداء فعدل عن مشورة النصحاء الى صريمة العزيمة والرأي واقبل على الاستعداد
والاحتشاد وكتب الى ولاة الاطراف وزعماء البلاد بتعجيل الورود
وتقديم الوفود وعجل هو الى العبور قبل تلاحق الجمهور ومضى الى ما بين
كش ونسف فاقام بقرية تدعى ذار (؟) مخيما بها الى ان وصل اليه ولاة كش
الجوزجان والختل والصغانيان وسائر اطراف خراسان وورد عليه
الامير سيف الدولة من نيسابور في هيئة راقت العيون وهيبة راعت
القلوب ورجال يوزن آحادهم بالالوف وافرادهم باضعاف وقد ربّتهم
الحروب في حجورها وارضعتهم التجارب من شطورها فلم يسمع بمعسكر
بما وراء النهر جمع من كبار الملوك واعيان القروم وطبقات الجنود ما
جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك عبورهم للقائه فارسل الى الامير سبكتكين
عدة من شيوخ بابه وثقات اصحابه يذكر انهما اخوان في ذات الله تعالى يذكر
لا ثنيا فيهما على نصرة الاسلام واقتسامهما ديار الترك والهند بالغزو

والانتقام وانهما بحكم مساعيهما في اظهار دين الله واعلاء كلمة الله
اولى بانتقاعات خراسان وما وراء النهر من مستغلين بيته على مآرب
نفسه وشهوات بدنه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما مغمودا
وان اجتماعهما على حضله بما اعود عليهما من ركوب الخطر واجتلاب الضرر
لحيط تخلص الى غيرها وانه لا يستحل في دينه تجريد السيف عن اعداء أن م ابتداء
الله الى وجهه الا اذا اضطره الله اليه ابدا وسامه الدفاع عن نفسه
اعتداء فليختر ايما الامرين رآه من وفاق وافتراق وايتلاف
واختلاف فهو يتسم بناره ويحذو على غراره ورجع اليه ان اعتماد الرضي لقال ضرب نصاله على غرار واصرار على مثال واحد
اياه بتاميله حين خذله ابناء دولته وكفرة انشاء نعمته ليد تم اليه الاغماض
دون حيف يجري عليه وملك يراد انتزاعه من يديه وان تعزيره
بجميع ما يحويه على استغراقه ايام العمر فيه احب اليه من سمة الخذلان الانقاع في الدز
واختيار الاستيثار بالاحيان فليقطع طمعه عن الرباع حول
تلك الرباع او فليأذن بحرب تتحطم فيها متون الصفاح وتتقصد معها
عوالي الرماح وترخص عندها غوالي المهجات والارواح فلما علم ايلك المهج
جده وذاق بلسان الاختبار ما عنده قرع للامر ظنبوبه وشمر للحرب
حيزومه وزمّ احياء الترك بقداح مين فيما بينهم علامات الاستنفار
جيوش تضل البلق في حجراتها (حاشية) ٥٥ تثار اليه الظلم والدهم
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر ⁂ وكتب الامير سبكتكين الى الرضي يستعجله
اللحاق به ليستظهر بهيئته في مناهضة الخصم وفلّ حده وحز جنه

الظلم البهيم والدهم — التزعزع الجيش الكثير — ان الاكم تصطك بحوافرها — كان يرى احياء الترك انهم اذا ارادوا انفاذ قوم بهم سهما ورموا به الأخير الى القوم ليتنفروا ويسلام ذا



عن صدر الملك الى ما وراء النهر واشفق ابن عزير على نفسه من حركته للمهنات التى كانت الحاجة الى الهرب والتباعد من جر الطلب وتنصح الرضى بان الامير سبكتكين وعامة ولاة الاطراف عبروا النهر فى جيش عدة وعتاد وابلغ استظهار واحتشاد وان المحن التى استمرت بك قد نقضتك عن تحمل مثلك ورحلت بزينة الملك عن رحلك فقبيح بك ان تجاوز من حاله اجل من حالك وذا لقمة استظهار من حالك والراى لك ان تستعفيه عن شهادتك بنفسك على ان تجر اليه وجوه القواد فى جماهير الاجناد من اطراف البلاد وتحكمه فما يراه من مسالمة او محاكمة ومكافحة او مصالحة ليكون فيصل الامر بيديه على الوجه الذى يواخذ عليه فكتب الرضى بذلك اليه فعلم ان ذلك من تسويل ابن عزير واحتياله وتمويهه واحتياله وقصده ان يحبط حلية سعيه الذى سعاه فى العبور واستجاشة الجمهور وتحمل الاثقال واستنفاق الاموال فسرب الامير سيف الدولة واخاه بغراجق فى قرابة عشرين الف رجل الى بخارا لازعاجه عن مكانه وسير معهما ابا نصر احمد بن محمد بن ابى زيد لتدارك امر الديوان كان برسمه فلما احس ابن عزير باقبالهم رءاى ليث الموت كاشرا عن نابيه وعقاب العقاب ناشرا جناحيه للانقضاض عليه فابتغى نفقا فى الارض او سلما فى السماء حتى اذا اعياه ما توخاه فزع الى الانحجار ولاذ بكنف الاستتار فولى الرضى ابا نصر بن ابى زيد ما كان يليه وهو الشهاب الثاقب والنقاب الذى هذبته المناقب فاقام بكفايته عماده وقوم منآده وحذف عنه ما كان قد آده ووصفه بابيات ابو الفتح البستى وفى الصدق بها حقه ومنها

فديت ابا نصر المرجى لتفريج كل ظلام مبطل
له قلم حده لا يكل اذا كل فى الحرب سيف بطل
فيوجز لكنه لا يخل ويطنب لكنه لا يمل
وكيف يمل وتوفيق من افاد العقول عليه يمل
يجود فريحته بالبديع عفو الجود القراح المخل
مدق مجلو او الى الكفاة باعلى الصفات مدق مجل

وكتب اليه عند استقرار الوزارة عليه هذه الابيات

ابلغ مقالة كل عاف مجتد ومؤمل فى قصده ان يهتدى
عرج على الشيخ الجليل المرتجى وزر الوزارة احمد بن محمد
فرواؤه ملء العيون وحبه ملء القلوب وسيبه ملء اليد
يفرى امور الملك رايا فيصلا وعزيمة تزرى بكل مهند
ويفيض نائله بسيل زاعب فيقول سائله غرقت قد قد
فائت الدجا الى علاه فانه غوث الورى غيث الصدى بدر الندى
لا زال فى يوم اغر مبشر بسعادة غرا تطلع فى غد
ليغيظ كل معاند ويبيد كل مشهد ويضم كل مبدد

وقد كان الامير سبكتكين قد احتج بابقاء ابن عزير على ابى على وجده

على سبكتكين

في النضال لما يقدره في الايام من التسلح به عليه فلوّح للرضي بميله الى
ما يبعده من نقله الى جنابه فاوجب نزول وصول سيف الدولة اليه اسعافه
به وحمل هو والمنكور في عمارية كانت خاتمة لعمره وقاصمة لظهره
وامر به الامير سبكتكين فنقل الى جرديز في محمل لو راى من قبل مثله في
منامه لعافه ببرد الما على رقة جامه واستعفى عن طيب الحيوة باقي ايامه
معهم واتخذ رقيبا بين نهوض سيف الدولة الى بخارا ايلك في قبايل الترك
واستيناف مسئلة الصلح فاوجب الامير سبكتكين اجابته الى ملتمسه
لقعود الرضي عن مشاهدته ونفوره في امر نهضته واشترط عليه بان
يتزحزح عما دون قطوان فلا يطلق عليه عنانه ولا يسرح اليه عماله
واعوانه على ان يقرر سمرقند على فايق ابتياعا لشفاعته ورعاية لما سلف
في بيت الرضي من حق طاعته وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة
بمشهد الفقها والاعيان من الجانبين وانصرف كل منهما عن وجه
صاحبه وعاد الامير سبكتكين الى بلخ وسار سيف الدولة نحو نيسابور
وهنا للرضي ما كان ممتزجا من امور الاعالي واقبل ابو نصر على مهمات
الوزارة واكثرها شغل الاثارة لتقلص الولايات وقصور الارتفاعات المراد با لاثارة هنا اثارة الاموال
عن الوفا بما كان مثبتا في القديم من وجوه الاطماع والاقامات وجعل
يزجي فيها يوما بيوم ويغسل دما بدم الى ان ثار به بعض غلمانه فقتلوا
به وذلك على راس خمسة اشهر من وزارته فضاق الرضي ذرعا بما دهاه
لاشفاقه من ظن الامير سبكتكين ان هناك قصدا في امره او رضا

بالحادثة به واظهر الاكتياب واستعظم المصاب وبرز من الدار
فصلى على جنازته وامر باقامة التنكيل على القتلة به وانشد في المعنى العوسي فيه يرثيه

قلوب الناس آلمة سقاما ونفس المجد والهة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن تركت بفقدك الدنيا يتيمه

وفيه لبعض اهل العصر

لما ثوى صدر الوزارة احمد وخوت نجوم المجد في مسعوده هوت
اذريت من فرط المصاب مدامعا كالغيث بعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد رأى فرط الجوى والطرف يمزج دمعه بصديده
خفض عليك فقلت قولا زاجرا دعني ابكيه بنسخة جوده اي ابكيه كثيرا

ذكر ابي القسم بن سيمجور اخي ابي علي

وما افضى اليه امره بعد تقاعده عنه ولما انحاز ابو القسم عن اخيه اقام
حجرة الى ان ورد الامير سبكتكين خاستر من نيسابور فنهض اليه متعرضا خاكستر
للقايه وتمهيد حاله في مالايته وولايه فرعى حقه ودفع قدره وقوى
اسره وضمن له ما سره وخطب له الى الرضي ولاية قهستان فاجابه
اليها وامر له بالمنشور عليها وحبى الى ذلك بخلع عرفته يمنة الطاعة
وكسته يمنة العز في الاختلاط بالجماعة فاوى قهستان ساكن الجاش يريد احتلاطه الى القسم بجماعة الرضي
طاهر الرياش اثيث الجناح ممتنع المسرح والمراح الى ان سنح للامير اليمنة البرد اليمني
سبكتكين عبور النهر لتدبير امر الترك فكتب اليه يستنهضه الى مجمع
اركان الدولة واعيانها ليضرب معهم بسهم الغنا في كفاية الامر الجاذب
وممانعة الخصم المغالب تحملته تقوى العواقب وايماء الظن بالنوايب

وطراة عهده بجراحة فيما درج من لباس الهوان وجرع من كاس الذل
والامتهان على ترك المسير والاذلال بعض المعاذير وعلم ان تقاعده
عن اجابته سيؤديه عند فراغه له داء عضالا ويكسبه خطبا لا يطيق
به استقلالا فبادر الى نيسابور مغتنما خلو خراسان عن حماتها
وطابقه ابو نصر بن محمود الحاجب على فعله ورايه فتظاهرا على الاستظهار
بجمع المال واثبات اصناف الرجال وحين سمع الامير سبكتكين
بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة في الانجذاب الى نيسابور وامده
باخيه بغراجق والى هراة لنقض ما ابرم من امرهما وحصد ما نجم من
شرهما فسارا اليها ولم يرض بكثيرها حتى انحط على اثرهما كالشهاب في اثر
العفاريت فلم يرع ابا القسم وابن محمود عن اطلال الجيوش
عليهما فارتحلا مطاا بالهرب وسارا الى اسفرائين متقيين جمر الغضب
وركب الاميران كتافهما يستلانهما سل النعم حتى لفظتهما حدود
خراسان الى تخوم جرجان وامتد الامير سبكتكين الى طوس فاناخ
بها حتى تطاير خبر اقباله وازداد في حفزهما للانهزام واعجالهما
دون المقام وعطف اليه سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما
من تفريغ خراسان عنهما فجددا به العهد وقد كان فخر الدولة
علي بن بويه قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه بلخ على سبيل
الملاطفة بجملة من الثياب وما اليها من العين واللجين على سبيل التناد
اقتناصا لمحبته وصفائه واستخلاصا لرضاه وموافقته فقابله
الامير سبكتكين باضعافه من الالطاف وزاده عليها ثلثة من الفيلة
الخفاف وارسل بها المعروف بعبد الله الكاتب احد ثقاته فمشى
الى فخر الدولة بحسد عليه جدد احياده وغرائض الطرف المقتضبة الى
بلاده فكتب الى الامير سبكتكين يشير الى ان رسوله الحر الشابة وعنوان
ضميره وترجمانه وان فلانا ورد مخالف باطن افعاله ظاهر مقالته وكان
من بعض فصوله انه لو اراد لعلم ان سرير الملك لم يستقر في سرة الارض
الا بغلب غلب واسود سود فخش هذا الكلام في صدره وخدش وجه الحال
التي كان خطبها فخر الدولة الى وده ثم اردف كتابه ذلك بابي القسم
الرسول احد وجوه بابه واصحبه مشافهة مشتملة على ذكر الحال التي يروم
عمارتها في مودته وتحصيل رضاه وموافقته وان الرضى منشرع له بالمراعاة
الوافرة وبذل الحال ببلال المصاهرة لكنه يرى نظام ذلك قوامه بما يوجد
من مواصلته وعمارة جانبه من ذات صدره وساله ان يثق بالاطلاع
له من غلبه والاسعاف بما تحت يدي ملكه وملكه وان ينطوي له
على مثل ما بذله من نفسه ليستحصد المرايرة ويتاكد الاواصر ويستمر
التحالف والتالف ويرتفع التخالف والتجانف فاحسن الامير سبكتكين
اجابته الى ما طلبه والتحف من برسه ما خطبه وصفت الحال بينهما
عن الشوائب وانتفت عن وجوه المقادح والمعايب واستامن
ابو القسم بن سيمجور الى فخر الدولة عند الياس من خراسان فاستدناه
الى الدامغان وقومس وجرجان وفرض له ولمن اشتملت عليه جريدة

من حاشيته ورجاله ما لا يُدرَك عليهم وسنأتي على بقيّة ذكره في موضعه وورد
على الأمير سبكتكين مونس الخادم رسولاً عن الرضي مستشيره فيمن يرشّح
للوزارة لخلوّ مكانها بعد أبي نصر بن أبي زيد عمّن يراعيها ويستقل بأعباء
الكفاية فيها فوكل الاختيار إلى رأيه وأظهر مظاهرة من كان من وزرائه
فاختير أبو المظفر محمد بن ابرهيم البرغشي لها وحُبي بالخلعة والكرامة
فيها وكفل بالأمر كفالة المذّب المجرّب وقام بالتدبير قيام المنجح
المشذّب إلى أن اختطف الرضي ... أجله وعزّ بحيونه أمله وعطف
الأمير سبكتكين بعد ذلك إلى بلخ وعاد سيف الدولة إلى نيسابور وقد كان
أبو الحسين بن أبي علي بن سيمجور مقيما بقاين عند الوقعة بناحية طوس فلما
سمع بانكشاف عسكر أبيه ركب المسافة نحو الري فآواه فخر الدولة وأكرمه
وخلع عليه فضله وكرمه وأجرى له بخمسين ألف درهم مشاهرة تردّ عليه
عند ولاد كل شهر وأضاف إليه من المبارّ والصلات ووجوه الاحتفاء
والكرامات ما تميّز به عن أشكاله رعاية لحق أبيه فيه وتنجحا بحصول مثله
في جملة أوليائه وحملة أياديه فاعتراه سوء القضاء وركب الشقاء بالهرب
من مفترش الراحة ومتوسّد الدعة ومضطجع الرفاهية ومرتفق السلامة
والعافية حتى أزعج بنفسه نجعة النشوز من كورة نيسابور مطاوعة
لهوى له كان يلمّ بها وظنّاً أن استتاره يطوي خبره ويخفي عينه وأثره
إلى أن يقضي من هواه وطره فلم يرعه إلا إحاطة الطلب به من جوانب
مستقرّه فاحترشوه كما يحترش الضبّ من جحره وعجلوا به إلى الحبس
من فوره وحمل بعد ذلك إلى معتقل أبيه إلى أن نفذ محتوم القضاء فيه
فيا له من أمير هُدّ أميره وختم بطابع الشقاء عمره ورحم الله أم المؤمنين
أم سلمة حيث تقول ⁂ لو كان معتصماً من زلّة أحد كانت لعائشة الرتبى على الناس
قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتمّ الذي يقضي على الرا س
وكان أميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الأمير سيف الدولة فلما عنّ له
عبور النهر لتدبّر أمراً لم يرك ذا الاحتياط في الاستيثاق منه فالحق
بأبي علي وذويه إلى أن كان بهم القضاء وحق عليهم الانقضاء كذلك
يفعل ما يشاء ولما استقر الأمير سبكتكين ببلخ منصرفه من طوس
ورد الخبر بنفوذ قضاء الله تعالى في أبي علي ومن كان معه في حلق
الوثاق فاستتبع خبره موت الملوك والعظماء بأطراف خراسان والعراق
في مدة اتصلت كعوب أيامها وتناسقت فرائد نظامها وكأنهم كانوا
على ميعاد وذلك أنه تلا خبره خبر مأمون بن محمد والي الجرجانية في
قتل طائفة من أصحابه في مأدبة صنعها صاحب جيشه له واستحالت
المأدبة مندبة والدعوة مناحة والغناء عويلاً والسرور حزناً
طويلاً وردفه خبر الرضي في مرضة لم تمتدّ فيها أيامه حتى ألمّ به حمامه
وانتقل إلى ترابه بماء شبابه وكان مثله كما قيل ⁂
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العوا ثر
وكانت وفاته يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة

ولقيه كتاب بابيه بالرضى فرحمة الله عليه رحمة تبرد ضريحه وتروح روحه
فقد كان طود الملك زال بزواله وركن من اساسه بزلزاله وتتابعت
المصايب على الامير سبكتكين بعده في تلك المدة بشقيقة له كانت
اعز اهله عليه واولاد صغار وغلمان عراب وهلم جرا الى ان
سقط على الفراش وايس من الانتعاش فتاق الى غزنة استرواحا الى
طيب هوايها واستشفا بنسيم ارضها وماءها فاخذ المقدور عليه
بالمرصد واخترمته يد المنون دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة
ومن العجب العاجب في امره اني حضرته ذات يوم وقد جرى حديث
العلك اجابها وردها فقال وهو يشير الى كاتبه ابي الفتح مثلنا
ايها الشيخ في اختطاف المنايا ارواحنا مثل القطيع يعمد الجزار الى
الضاحيه منها فيطرحها الى الارض ويوثق قوايمها للجزر فلا تزال تقلق
لخلاف العادة وتضطرب خوف الابادة الى ان يقضي الجزار منها وطره
فيحل وثاقها ويخلي اطلاقها فترتاح لما يتاح لها من النجاة ويعاد
اليها من روح الحيوة حتى اذا كانت من قابل عاد الجزار لعادته
فيها فتطفقت لها بين امل ويأس وفترة واستيناس تنظر ان الامر
كما عهدت مارة وتخشى خلاف العادة اخرى الى ان يقع الابراح
عنها فتطفر فرحا بالنجاة وتعود مرحا في النبات فما هي لما الثالثة تسلمها
الجزار الى الجزار فيمر الشفرة على ودجيها اوثق ما كانت بالعادة
وابعدها من المخافة وامنها من الافة كذلك نحن فيما يتعاقب علينا
من الامراض ويستمر بنا من الاوصاب بنا حسن الظن بما يطرق بها
اذا ادلهمت الواعية وسارت بها الناعية فكان بين هذا التمثيل | الرواعيد الصارخة
وبين ان قضي نحبه قدر عقار النخل فقضينا العجب ايا لما سوا بعده
لما املاه المقدور في شانه على لسانه وقد كان قبل وفاته استجد
عمارة الدار المعروفة بسهلاباذ وانفق عليها مالا عظيما فلم يتمتع بسكناها
حتى خذله الرجا وحق عليه القضا وحقق له الانقضا واعتاقها ولده
من بعده فاهملوا امرها حتى تداعت بالخراب وسمعت بعض
الافاضل ينشد وقد اجتاز عليها بعده في مدة يسيرة

عليك سلام الله من منزل قفر فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري
عهدتك منذ شهر جديدا ولم اخل صروف الردى تبلي مغانيك في شهر
فلحا الله دنيا من صبته تاكل اولادها عقوقا وجائحة لا ترعى اصيافها
اذمة وحقوقا والى الله المشتكى من صرف الزمان وريب الحدثان
ورثاه ابو الفتح البستي كاتبه بقوله

قلت اذ مات ناصر الدولة والدين حياه ربه بالكرامه
وتداعت جموعه بافتراق هكذا هكذا تقوم القيامه
وبقوله
توكل على الله في كل ما تحاوله واتخذه وكيلا
ولا يخدعنك زبرج صفا فانمي قليلا واروى غليلا
فان الزمان يذل العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا
الم تر ناصر دين الاله وكان المهيب العظيم الجليلا

عقار النخل اصلاحها ونكضعها تيلا اذا عقر النخل ومضى اربعون يوما شرحا النخل بالثمار عند التعفر بعفر بالكثر

ذلك المثل العربي القديب قد المعتبر انا كل دلك يقال لفرط شغفتي فاني لا ارى لمكانها احسن من العصر

اعدّ الفيول وقاد الخيول وصيّر كل عزيز ذليلا
وخف الملوك به خاضعين وذلّوا اليه رعيلا فرعيلا
فلما تمكن من امره وصار الشرق الا قليلا
واوهمه الغرّان الزمان اذا دامه الله عنه كليلا
اتته المنية مغتاظة وسلّت عليه حساما صقيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال ولم يجد فيل عليه مقيلا

والبعض كان اهل العصر فيه

مضى الامير نصير الدين متشحا في قبره بمساعي اشبهت علما
قد كان مدة ما قد عاش منتصبا لله والدين والاسلام منتقما
كالليث والغيث طبعا ان حمى ورمى والنجم والزهر شكلا ان سما
يا من اسال رقاب الكاشحين دما من بعد فقدك ابكيت العيون دما
لئن اباح صروف الدهر ساحته فانظر الى الملك والاسلام لا جرما
فالدين منثلم والملك منهدم وظل جبل العلى والمجد منثصرما

وارمى

وردف الحادثة به التي بفخر الدولة علي بن بويه وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمايه وكان سبب انقراضه انه فرغ القلعة التي استحدثها على جبل طبرك مرتادا حال الانس واشتهى طرايح من لحم البقر فنحرت بين يديه واحدة وطفق اصحابه يضطهون له من اطايبها وهو ينال منها فاتبعها بعناقيد كرم وقد دارت عليه الكوس بينها ملاءً ولاءً فلم يلبث ان دوى عليه جوفه واتصل الالم صوته الى ان ختم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوي بقوله

اطايب الجزور والبقر خيرهما في تطايبها

هي الدنيا تقول بملأ فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاني اخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتوا اف منك
ولو زهر النجوم ابت رضيه تأبى ان يقول رضيت عنك
فامسى بعد ما فرع البرايا اسير القبر في ضيق وضنك
اتذكر انه لو عاد يوما الى الدنيا تزود ثوب نسك
دعي يا نفس فكرك في ملوك مضوا بل لانقراضك ويك فابكي
فلا يغني هلاك الليث شيا عن الظبي السليب قميص مسك
هي الدنيا اشبهها بشهد يسم وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل بينا نقهقه اذ بكى من بعد ضحك

فاما مامون بن محمد فان الله تعالى كان ولي الامر من بعده وتشايع الناس الى بيعته وعاد الملك به الى بهايه وروعته واما الرضي فقد كان عهد بملكه الى ابنه ابي الحرث منصور بن نوح فلما استشرى به تناصر على شيعته الاولياء الحشم وفرغ بقايا الاموال وخبايا الذخاير والاعلاق في اعطياتهم وتحقيق اطماعهم حتى استوسقت امور الجماعة واتسقت الكلم في الطاعة ونفي ابو المظفر محمد بن ابرهيم على الوزارة واما الامير سبكتكين فقد كان عهد الى ولده اسمعيل

فلما مضى لسبيله

استشرى الهلال اذا علت واستشرى العليل اذا اشتد مرضه

واستخلفه على أعماله وأوصى اليه بامور اولاده وعياله وجمع وجوه حجابه
وقواده على طاعته ومتابعته والرضى بايالته وولايته فلما طرق الناعي به
تبادروا الى عقد البيعة له وامضا الوصية فيه واستقر اسمعيل بعد
قضا الماتم على سرير الامارة وامر بفض الختوم عن ابواب بيت الخزانة وصبّ
الاموال حتى ارضى الرجال واتابع الدولة قال عسكر الديلم اجتمعوا على
ولده الامير مجد الدولة ابى طالب رستم بن على فخر الدولة ففوضوا
الامر اليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبه السلطان بمجد الدولة
وكهف الملة وسياتى بيان حال كل واحد منهم فى موضعه على الاثر
ان شا الله وانشدنى ابو منصور الثعالبى لنفسه فى عجايب هذه السنة
وتبدل احوالها وتفانى امرايها قصيدة منها هذه الابيات

ألم تر مذ عامان املاك عصرنا يصيح بهم للفقد والموت صا ئح
فنوح بن منصور طوته يد الردى على حسرات ضمنتها الجوا نح
ويا بوس منصور وفى يوم سرخس تمزق عنه ملكه فهو طا ئح
وفرق عنه الشمل بالسمل فاغتدى اسيرا ضريرا تبتكيه الجوانح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله ووالى الجبال غودرته الصفا ئح
وصاحب جرجانية فى ندامه ترصده طرف من الحين طا مح
تساقوا كووس الراح ثم تشاربوا كووس المنايا والدما سوا فح
وخوارزمشاه شاه وجه نعيمه وعن له يوم من النحس كا لح
وكان علا فى الارض يخبطها الى ان اطرحته المطاو ح
فعاد صعيدا نائبا من الثرا عصله وعن له طير من الشوم با ر ح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذى براثنه للمشرفين مفا تح
اناخ به من صدمة الدهر كلكل فلم يغن عنه والمقدر سا نح
خيول كامثال السيول سوابح فيول كامثال الجبال سوا ر ح
جيوش اذا اربت على عدد الحصى تغص بها قيعانها والصحا صح
ودارت على صمصام دولة بويه دواير سو قبلهن قوا د ح
وقد جاذ والى الجوزجان قناطر الحيوة فوافته المنايا الطوا ئح
وفايق المجبوب قد جب عمره ففاظ ولم ينذبه فى الارض نا ئح
مضوا فى مدى عامين واختطفتهم عقاب اذا طارت تخر الجوارح
وكان بنو سامان اطواد عزة فاضحت لصرف الدهر وهى ابا طح
اما لك فيهم عبرة مستفادة بلى ان نهج الاعتبار لوا ضح
تسل عن الدنيا ولا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تنا كح
فليس يفى مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تدبرت را جح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا وعندى لها وصف لعمرك صا لح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب شهى اذا استلذذته فهو جا مح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له اسرار سو قبا ئح

ولما افضى امر الامارة الى ابى الحرث منصور بن نوح وهو فى
حداثة البلوغ وينع الشباب وعنفوان مشتعل الحركة ومستنصح
النجابة ومستوضح الاصابة اقام ابا المظفر محمد بن ابرهيم

نبلهن قوادح خ

اراد عليه

ابن عضد الدولة

وزيرا وفوض الملك الى فايق كفالة وتدبيرا وكان عبد الله بن
عزيز اتقى شوكة الامير سيف الدولة عند قصده بخارا بالاصعاد
الى الاعالى فلما انقرضت حيرة الرضى اطمع ابا منصور محمد بن الحسين
الاسبيجابى فى صحابة الجيش بخراسان وحمله على الانجذاب به الى
بخارا مستعينا بايلك الخان على نيل الارب المنشود واصابة الغرض
المقصود فنهض ايلك لمصاحبتهما وسار الى باب سمرقند بهما حتى اذا
اناخ بمرج على طاهر بها اتاه ابو منصور فى خف من غلمانه زايرا فاحتبسه
بعلة الطعام واصحابه بين التخييم والاستجمام فامر به وبابن عزيز
فشدا فى حلق الوثاق وقربا فى قرن الاعتقال وارسل الى فايق
فلما اتاه اجله ورفع محله وخف عن مكانه اكبارا له وضم اليه ثلثة الف
رجل وامره بالمسير الى بخارا على مقدمته فسار على ما رسمه له فلما بلغ ابا الحرث
خبر اقدامه ابهم عليه وجه الصواب وصر عليه رجل الغراب واعجلته
فظاعة الخبر عن التدبير فبادر الى العبور بمن معه من صغير وكبير
ودخل فايق بخارا فبادر الى الباب ولثم حد التراب وجلس مجلس الحجاب
واظهر القلق والابتياع لاخلال ابى الحرث بدار عزه وشرفه ومقر
الماضين من سلفه وجشم مشايخ بخارا اليه فى مسئلته تقديم الاياب
وتعجيل الانقلاب فوثق اذ ذاك به وامر بالكتاب اليه فى
اجماده على طاعته وتقربه فكان مفتتح ما خوطب به فيه من جمل
المخالصة وليك الله زمامها بيده والمناصحة اماما يهديه ويرشده

مسعود وتوحيد وفقته هذه ومحمود تمرقند حيث صرفته تلك
وارتاح ابو الحرث للانصراف حين امن جانب الخلاف وسير قبل صرفه
الراى بكتوزون وهو الموسوم بالحجبة الكبيرة على بابه الى
نيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عايدا وراه
فتلقاه فايق مقيما رسم العبودة ومؤديا فرض الطاعة المجهودة واكتنفا
به الى بخارا فاستقام له ذلك الامر وخمد ذلك الجمر وقد كان
بين فايق وبكتوزون سخيمة واحنة فى الصدور قديمة فاستحلفه
ابو الحرث على الاغماض لهما والاغضا عنهما والعفو عما جرى فى صدره منهما
استثباتا لاقدامهما فى الطاعة واستجماعا لاهوايهما فى المتابعة فاظهر
الانقياد وحلف بما اراد واستقرت امور السالار يه على بكتوزون تجبى
اموال خراسان لابى الحرث من غير منازع ولا مدافع الى ان طارت النعرة
نوابه وجثمت الوحرة على صدره فابتغى من قصد سلطانه وولى نعمته
الى ما عرض به الملك للتلف والدولة للعولة والدهر معاد
لا يرجى عنده وصره ولا يدفع عن وجهه قتره ذكر ما جرى بين الامير ابيه منصور
سيف الدولة وبين اخيه اسمعيل بعد انتصابه فى الامارة
ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل طمح اهل العسكر
الى مال البيعة فامر به واطلق لهم استحقاقهم المعين استصلاحا به
لذات البين ثم الحش القوم عوزا فى عوده ورخاوة فى عنان تدبيره
لحداثة سنه وطراءة شبابه ولاشفاقه على نفسه من جانب اخيه

عزيز وابو منصور

رجل الغراب قال هو مرض
الضراب شديد وقد خشيه ...
رجل الغراب يجعل مؤذيه
للناقة لا يقدر الفصيل
ان يرضع معه واذا ...
على الانسان معا ...
يقال ... علم اجل الغراب

بلغ مطالعة
... احمد محمد
الحموي

وتقصيره وانتزاعه الامر من يده فاستوطؤا مراكب الطمع واستسهلوا
جانب التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات على الرواتب حتى
استغرق ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلت الخزانة عما
يبلغ الاستظهار به فاضطر اسمعيل الى ان يفرغ فيما ينوبه
آنفا من مؤن اطماعهم الى العدة التي مذخورة له معرته فلو بقوا
على جملتهم في التحجب عليه لاسرع تمزق شمل تلك الاموال وتفرق
جمع الاولياء والرجال ولما ورد على الامير سيف الدولة نعي ابيه وقضى ايام
المصيبة فيه بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في تعزيته عن عارض
الرزية واتبعه بابي الحسين الحمولي في اذكاره بحق الكبر وما يجب
له بحكم الزعامة على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين الباصرة
او اعز واليد الباطشة او امر وانه سيبلغ في امره كل ما يهواه ويرضاه
ويتعلق به مناه وان الامير سبكتكين انما افرده بالوصية لاعجال المنية
اياه عن وضعها موضع الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد
المسافة وتقاذف الشقة وان الرأي فيما يحتمله له من توفية حكم
الرياسة ومشاطرته الارث من ذخاير الامارة وافراده بغزنة التي
هي وكر عشيرته وحاميته ومعشش خاصته وعامته على ان يحفظ
عليه مكانه من بلخ وما يليها او ينقله الى نيسابور على ما كان
يدبره من اعمالها ونواحيها فاستشعر اسمعيل ما كتب الله
عليه من النكبة في ايامه حتى كانه يراه رأي العيان

ويدبر من عليه كتاب البرهان فلم يزد على الآباء والالتواء وتعريض
تلك الاموال للاتواء فنشطوا الى الجوزجان ابو الحرث بينهما على
ان يسكن نابض الخلاف ويقف بهما على نقطة العدل والانصاف
واراد كلا منهما على التلاقي فيلم ليشافه كل منهما اخاه بما يقترحه
من مراده ويعتقده من زناده اذ كانت لوجوه المشافهة حرمة يعز
مثلها على ظهر البعاد وفي حالة التحبير والانفراد فاما الامير سيف الدولة
فانه رأى ذلك صوابا واوجب من نفسه اسعافا واطلابا واما اسمعيل
فانه نبا عن الاجابة ولحظ الامر بعين الاسترابة وابى الشيخ بما
يقترح عليه من مال الارث وان كان نادحا كله اهون عليه من ذلك
مراما وايسر محملا والتزاما ذعرا تمكن من نفسه وسرى الى صميم قلبه
وخيفة سالت به في اودية الظنون وثبطته عن ضم القوادم للسكون
وانشدته ذات يوم ابياتا لسيف الدولة الحمداني في اخيه ناصر الدولة
معرضا بالالفة التي هي اوطا مهادا واخصب مرتعا ومرادا ومنى
رضيت لك العليا وان كنت اهلها وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يك بي عنها نكول وانما تغافلت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من ان اكون مصليا اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق
فرجعت عن مقاصدها من ذرعه وطاشت سهامها دون الغرض المقصود
لها من سمعه وبعث الامير سيف الدولة بتدبير ما عراه لاستجابه
الرفق على الخرق والترفق على الحزق وايثار المداراة على الملاجاة

في ديوان العرض على الرسم صح
كانت صح
اى الحفظ من المراسل لكن الفضل وهذا شي يعرفه ارباب الفضل
من توفيه محمود
الالتواء الاهلاك
المراد الكناية
نجا فيت خ
المنصوب
طاشت اى اعوجت
الملاحاة

المعاودة

والمواتاة على المساواة واختياره البر على الجفاء وادخاره الكلى لآخر الدواء حتى اذا غاب نجم المواجدة ورق جلباب الحشمة استعد لاتيان الامر من بابه ورد المنتزع منه الى نصابه وخاطب الامير ابا الحرث بما عن له من المهم الذى لا يسعه غير تلافيه وتمثل كنانة الوسع والطاقة فيه وساء بحق خواص غلمانه ورجاله وتوارد المندوبين لاتباع مثاله الى هراة واستانف بها مكاتبة اسمعيل بين وعد ووعيد وتمنية وتهديد وترجيح بين الياس والامل وتنبيه على موقف الندامة والخجل فلم يغن ذلك منه فتيلا ولم ينقض من قوى عهد عقده سحيلا وتراجعت المكاتبات بينهما حتى جد مزاح الكلام واشتد لفح الخصام واعيا فيصل الامر الا بحد الحسام ودعا الامير سيف الدولة عمه بغراجق الى مساعدته ومرافقته واتباع مصلحة البيت بمتابعته فسارع الى طاعته واقر بالحق عليه في مشايعته واتباع بابه وخف معه الى بست وبها الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين فصادف الامير سيف الدولة منه وليا مطيعا وصفيا الى الانقياد سريعا هوى منه لم يرض بزمام وخطام ومحبة لم تذلك بالبراح والجام فتبرع بالانقياد وتسرع الى المراد وجرى في حلبة الطاعة طلق الجواد ولما سمع الامير اسمعيل برحيل الامير سيف الدولة على جانب غزنة سبقه اليها من جانب بلخ متجردا للممانعة محتشدا للمقارعة والمدافعة وسار الامير سيف الدولة في عمه واخيه وسائر اوليائه ومواليه حتى

اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه من قبل كتب الاعيان من قواد اسمعيل بما لا يد عليه لما عرفوه من وهي امره في الرياسة وضعف يده عن حق السياسة وتردد السفراء بينهما في الاستصلاح وكف عادية الكفاح فابى الله الا ما كان مقدورا وجعل الحق مشهورا والمحق منصورا وانتدب الامير سيف الدولة للحرب فعبى المواكب ورتب الجيوش كواكب وزحف الى القتال في رجال كالرماح او كالنمل الهماج يهشون للقراع هشاشة الاطفال للرضاع ويرتاحون للكفاح ارتياح الهيم للماء القراح **شعر**

سقى الدولة جوهم فكانهم وابوهم سام ابوهم حام

تخذوا الحديد من الحديد معاقلا سكانها الارواح والاجسام

مستشلين الى الحتوف كانما بين الحتوف وبينهم ارحام

اساد موت مخدرات مالها الا الصوارم والقنا آجام

وبرز اسمعيل فيمن شايعه من مواليه وتابعه من رجال ابيه وقلب حصن الصفوف بفيلته العظام كانها اركان يذبل او هضاب شمام ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح الفواتك ودوسا للهام من تحت الترائك وظلت رحى الحرب تعركهم بثفالها وتدور عليهم باثقالها الى ان رمت الشمس بجمرات الظهيرة وقد لاذ بالايمان من سبق وعده وطلع بالاقبال سعده وعندها حمل الامير سيف الدولة بنفسه فتداعت الزحوف وتخاذلت الصفوف وخطبت على منابر الرقاب السيوف وثارت عجاجة اخذت

الغيون عن الاشباح واذهلت النفوس عن الارواح وثنيت الاعناق
بايدى الصفاح واحتجبت الحياة من وقع السلاح وظلت سنابك الخيول
تردى على جثث النفوس وتلعب باكر الرؤس

تجرى الجياد من القتلى على جثث ومن دمايهم يدحضن في وحل
ومن جماجمهم يصعدن في شرف ومن ذوايبهم يعثرن في شكل

فلم ينشب ان اسفر قتامها عن مساقط ابدان تحت ابدان واجساد
فوق هام وهام الآخرون على وجوههم يسحبون طول الارض خوفا
من حر العذاب ودبر الحساب وانحاز اسمعيل الى قلعة غرنة
متحصنا بها في العاجل من مس الطلب الى ان تلطف له الامير سيف
الدوله فاستنزله على امان وحسن ضمان وجاوره بمعروف واحسان

ذكر ما جرى بين ابى القسم السيمجورى وبكتوزون بعد ذلك

وقد كان ابو القسم بن سيمجور انتقل الى جرجان بعد انقراض فخر الدولة على
طاعة ولده فضوى اليه من شذ عنه من عسكر اخيه وموالى ابيه واتصل
به طوايف من ابطال الاكراد والعرب فاشتدت بهم مناكبه واحذت
انيابه ومخالبه وكانت الحسيكة التى ينطوى عليها ما بين بكتوزون تترصده
بالحبايل وترميه بالغوايل ما يسبل الى ابى القسم تحرشه عليه
وتغريه به وتعده ما يليه من قيادة الجيوش متى اجلاه عن مكانه
وجلاه في معرض العجز على سلطانه حتى اشخصه عن جرجان باديا للعين
بالضابر وعارضا للمدى على خطا الفار فكان مثله كما قال ابن هرمة

واني وتركي بذى الاكرمين وقدحي بكفى زنادا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض اخرى جناحا

ففصل عنها قاصدا نيسابور في جماهير اصحابه ممن ضرستهم
وقايع الحروب ونجذتهم قوارع الخطوب ولوحتهم صروف الايام بانيابها
وداستهم احداث الليالى بمناسمها وانفذ ابا على بن ابى القسم المعروف
بالفقيه على مقدمته الى اسفراين وبها بعض قواد بكتوزون فالتقيا
هناك على حومة الحرب وتساقيا كؤس الطعن والضرب وتداركت
الامداد على ابى على فانهزم الجيش الذى بينه وبين صاحبه فجفل عنه اصحاب
بكتوزون منهزمين الى نيسابور وقد اقتسموا بين جريح وكسير وقتيل
واسير وسار ابو القسم سير السحاب تحثه ريح الجنوب حتى اناخ
بظاهر نيسابور مستطيلا بشوكة رجاله وشكة ابطاله فارسل
اليه بكتوزون يعلمه ان الحروب سجال وحسن الظن بعواقبها محال
وانه قرع باب البغى تعرضا للبلا واستيذانا على سوء القضا وانما
يصبر على الكفاح من لم يجد وجها للصلح والصلاح فاما من كان في فسحة
من الراى وبحبوحة من الاختيار فانه ينفس بنفسه عن التغرير بها في
مباشرة القتال ومساورة الابطال ومغامسة الاهوال وان الراى
له الى فهستان ان يتنحى له من الامير ابى الحرث ولانه مراة معها رعاية
لحق خدمته وقدمته وسابق موالاته وادمته فرغب ابو القسم بادب
مستكثر عن الانتصاح منشرة على الصلاح وحملة الادلال

عن

بحال بدر رجاله على التحكم والتحجب والتمنع والتعصب اهاب بعسكره
الى الحرب فاصطلحوا على مساقاة الطعان والضراب ومعاناة الحرب
ببيض الصفاح وزرق الحراب ذاهلين عن مصرع الغرر والثنن
بمطلع الفجر والقلعة وعبى بكتوزون رجاله الفتاك واشبالة الاتراك
ونساير من اظلتهم براية من قواد الامير ابى الحرث والصابرة
المختصين بذمة شعاره فالتقوا قبالة قرية تدعى منجه بظاهر
نيسابور واجتلى ابو القسم منهم بلا نجوما وآفت يكاد تدالحقائق
قروما وا شتبكت الحرب بينهم نقعا بالمناصل وضربا بالمغاول وخرا
باطراف العوامل فاشتغل اصحاب ابى القسم فيهم كالنار فى دقاق
العوسج او يبيس العرفج ضربا هبرا وطعنا نترا ورميا سعرا وطردوا
ميمنتهم على ميسرتهم طردا وزجرا وقهرا وقسرا حتى اذا
ظنوا ان قوادم الهزيمة قد افرجت لهم عن خوافى الغنيمة صك
بكتوزون قلب ابى القسم بجملة ازلقتهم عن المقام واعجلتهم
للانهزام فانصاعوا مخذولين مغلولين يقودهم الخجل ويسوقهم
الخوف والوجل وتبضع منهم ميمنهم على ابى القسم الفقيه احد
اركان ابى على فى ايامه بمشهور رايه وذهابه ومذكور غنائه
ومصابه وعلى عدة من قواده ووجوه سواده ومر ابو القسم فى
شذاذ عسكره هائما على وجهه حتى امتد به الوجيف الى
قهستان وذلك فى شهر ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وكتب بكتوزون

الى بخارا بذكر الفتح وما يسره الله من عسير النجح فسر الجمهور واثلج
الصدور ما خلا فايقا فانه اغتم واهتم وكاد ان يعقد المأتم
وسار ابو القسم بعد ارتياشه وانتعاشه الى بوشنج متحكما فى امر الها واعمالها
فناهضه بكتوزون لانتزاعها من يديه فتوسط السفراء بينهم على وصلة
انعقدت بينهما ورهنه ابو القسم ابنه المعروف بابى سهل فارتفع من
بينهما الخلاف وحصل الاتفاق والائتلاف وعاد ابو القسم الى قهستان
وكر بكتوزون الى نيسابور فى رجب من هذه السنة وجرت بين فايق
وابى المظفر محمد بن ابرهيم البرغشى ملاحاة فى تدبير الاعمال والاموال
فارصده لها ابا الشيوخ وقصده بالمكروه من اكثر الوجوه فلاذ بابى
الحرث من قصده واستامنه على نفسه فآواه داره واذر عليه مبارة
واتاه فايق يسالة تمكينه منه وايثاره به فجبهه بالرد واغلظ
له فى القول فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع الى الترك
والاخلال بكفالة الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فقيئا وافا بقا
عن رايه واستماحوا الامير ابا الحرث حسن عفوه واغضائه وسير
ابو المظفر الى ناحية الجوزجان وسد مكانه بابى القسم البرمكى
فصدقت فيه فراسة المعروف بالمضراب الشاعر البوشنجى حيث يقول

وكنا نذم الزمان ونرثى الوزارة بالبلعمى
فاخرنا العمر حتى انتهت من البلعمى الى البرغشى
وسوف تؤول على ما اراه منه قريبا الى البرمكى

مقاساة

بنجومه

ای علی غضب و تکبر

زمانا ما

وكان ابو القسم هذا موسوما بالفضل الا ان غلب الصفات عليه صفة
البخل وحين ولى الوزارة نافس اوليا ذلك الباب فى اعطياتهم الواجبة
وجراياتهم الراتبة وعارض اطماعهم فى خاصته بتزيد شحاح وجه
على البرد وقاح فلم يرعه الا دبابيس الاتراك تهشم قذاله وترض عظامه
واوصاله ولقد احسن من قال   يقول لى دعبل فى ثوبه جللى لو تمششت ثيابى دعبلا
لا والذى سبك الصهبا من ذهب والكاس ياقوتة ما ساد من بخلا
واستنزل الامير سيف الدولة اخاه اسمعيل من قلعة غزنة على امان
بذله وضمان احمله وجبر له كسر حاله واعاد اليه رونق مابه وجماله
وشحن غزنة بثقاته والكفاة من حماته وانحدر الى بلخ فى عامة
اوليائه وانصاره وقد انتظم له ما انتثر بعد ابيه واستقر عليه ما بقى
فى تلافيه فتغصصت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات
الاعلام من اقياله فكتب الى الامير ابى الحرث بذكر اقباله وحذفه فضل
التشعث كان بناحيته عن باله وانه قايم مقام ابيه فى المحاماة على الدولة
والنضال عن الجملة والاقبال على حقوق ما يعرفه من بركة اصطناع
الرضى واصطفائه وتقديمه على زعماء حشمه واوليائه فارسل ابا الحسن
العلوى الوصى الهمدانى فى تهنيته بمقدمه واظهار التهنى بموطى قدمه
وعقد له على بلخ والترمذ وما وراءها وديار هراة وبست
وما تاخمها ودانا ما وتلطف فى الاعتذار اليه من امر نيسابور
حرصا على ترضيه وكراهة لحرف يكثر الا بعلة تقتضيه
فعلم الامير سيف الدولة ان تلك المناقشة صادرة عن تمويه الحساد
وتلبيس المناوين والاضداد وان دا الحقد ليس له علاج وان صلوة البحح
بحير نافحة الرهجاج فارسل الى الامير ابى الحرث ثقته ابا الحسن
الحمولى بهدايا يضن بمثلها شح النفوس وتضيق عن قدرها رحب
الصدور ورسم له ان يحجب سمعه عن تضريب المضربين وترهيب
المترهبين ويتلطف لاستخلاص سره له واستصفاء محلة قلبه ليرتفع
الحشمة بتاكد العصمة وتستحكم الثقة بان تجتبيه بعرضا خراسان
على حكم الانفة وتدبر امور ولايته فلما ورد بخارا اعرض عما وجد فيه وعرضت
الوزارة عليه لموافقة مورده خلو صدرها عمن يستقل بامرها فكان
مثله كما قيل   خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسودد
واشتغل بالوزارة عن حق السفارة واقبل على الامر بوجه المجد المستبد
يريد شكر ما ينفق عليه النهى وكتمان ما تم عليه الجهر
ولن يصلح العطار ما افسد الدهر   وانشد فى المضراب لنفسه فيه
وكنا نذم الدهر من عزحسكه بيوسفه والمليحى وغيره
الى ان رمانا بالغفارى بعدهم وعاندنا فى عبده وعزيزه
ويا مدد ها نابن عيسى وجوده وفى ابن ابى زيد البخيب وسيره
فلم نرض بالمقدور منهم فامتنا بكل كسيرة فى الورى وعويره
فلما احس الامير سيف الدولة بصورة الحال فى تناقض الاراء
وتخاذل التدابير والاهواء اشراف الملك على الضياع

وتسلم منه مفاتيح الخزاين واحاط بزوايا الاعلاق والدفاين صح

اقباله اقياله عن الدولة

خاص فارسل اليه

ويعرفونه صح

لمولاته خ

سيرة

اعتيا منهم

بمداهنة النصحاء واغتنامهم صلاح انفسهم فى وجوه المكائد بصد
والانجاء عزله المسير الى نيسابور على مان يليه الى جاهيرا ولبابه وموالية
وحين سمع بكتوزون باقباله تزحزح عن نيسابور قصبا اتقاعلى عدته
وعتاده واشفاقا على عدد رجاله واجناده وكتب الى الامير ابى الحرث
بفصوله عن مكانه اخذا بالوثيقة وتحاماة على الحقيقة واحتراسا
من غرة اللقاء بل اختيارا للعزيمة والراى فحمله سكرة الحداثة
ونزقة الصبى والغرارة وقلة النظر في العواقب وعدم الحظ من التجارب
على الانجدار الى خراسان فيما امتد الامكان لمساعدته من
وجوه خاصته وساير حاشيته وسار الى سرخس كالسهم صادرا عن
وتره والسيل سايرا الى منحدره فعلم الامير سيف الدولة ان قصده
اياه من نتايج التغرير وفايل الراى والتدبير ومهانة الناصح والمشير
اذ لم يكن فى منة القوم مقاواته على شدة بأسه وحلاقة على قوة مراسه
اذ لو قد فهم بعض زجرة منه لغادرهم رمادا تذروه العواصف وتقتسمه
الشمايل والجنايب لكنه راى ان يعفى بحفظ الاجرام ويجرى بستر
الاحتشام ويرعى سابق الحق والذمام فخالف طريقه الى مرو الروذ
منعرجا لهم عن نيسابور الى ان يتمكن من انجاعها بنيته تشترك
فى معرفتها القاصية والدانية ويجد على مخالفيه ومناويه تتصورها
الحاضرة والبادية وعطف الى قنطرة زاغول فخيم بها مراعيا
لما يسفر عنه التدبير وينكشف عن حقيقته الضمير وبادر بكتوزون

الى مناخ الامير ابى الحرث وهناك فايق فى قضه وقضيضه ولفه
ولفيفه فلما وصل اليه انكر محله لديه لتقصير فى حق مقدمه فحنق
عليه وشكا الى فايق ما انكره فشكا اليه فوق ما ذكره وتبادلا
بينهما ذكر معايبه وتقاولا خشونة جانبه وحرونة اخلاقه
وضرايبه واغريا اهل العسكر بخلعه والتماس البراحة فى الاستبدال به
فابخروا معهما فى جرير المساعدة حرصا على لذة الاستطراف واغتناما
لنهزة الاستضعاف فاستحضره بكتوزون بعلة اجتماع العسكر
لمهم احتيج الى نظره فيه واشارته بوجه الصواب فى تلافيه حتى
اذا حضره حضره ووكل به من سمل بصره غرا او بخيعة بطليعتى
جيوشه اخشن ما كان بردا جمال وعمودا عتدال وطلعة هلال
ودرعة عزة وجلال ولقد احتشن اليه عند الاستيثام فى كاج حاجات
له ثلث خفاف المؤنة عليه منها صيانة من قامت عنه عن ذل المناظرة
على مال المصادرة نكاية بخلاف حاجته ونقيض مسئلته الهابا
لنايرة الحسرة فى صدره ومضاعفة لثقل المحنة على ظهره فعل الموتوب
بما لا يبقى له ولا يبقيا معه وعهد هو وفايق الى اخيه عبد الملك بن
نوح وهو اصغر منه سنا واضعف ركنا فاقاماه مقامه وسدا
به مكانه وماج الناس بعضهم فى بعض للفتنة الشاغرة والاحوال
المتنافرة ونذر الناس بالامير سيف الدولة انه قد خيم بقنطرة
زاغول فكروا على ادراجهم كاليعافير الراعية ذاعتها الفوارس

يونس الامنا

الى تكفلت وتعهدت بمدامته

مصدر كالبقا

من شغر الكلب ويقال للصنعة الغير شاغرة واصله الرفع

٤٨

حتى انضم فايق الى ... واسل ... الامير سيف الدولة الى ...

واحاطت بها الكلاب النواهش بالتدبير يحرض اليها ما ارتكباه
في ولي النعمة من ازالة الحشمة واضاعة الحق والحرمة غير ناظرين
للدين ولا متحرجين للاسلام والمسلمين ولا مستحيين للاحدوثة الشنعا
على السنة الذاكرين مدى دهر الداهرين وامتدت المراجعة بينهم
في الحادث الكارث ومما تحيلاه عن انتهاز الفرصة فيها واهتبال
الغرة منها تطميعا لفائق عن صاحبها في تجديد الرعاية ومزيد الولاية
وكلا منهم بالاحجام على وجه الاجرام طالبته سعادة الجد بالاقدام
وحرضته للانتقام للدين والاسلام ثم راى ان يزحف عن مناخه
الى ظاهر مرو ليكون لطافة الصلح وجاها او سفاهة السيف
شفاها ولما التاث القوم باقباله دب الفشل في تضاعيف احشائهم
وسرى الوهل في تفاريق اعضائهم واستطار الخوف في مزاج دمائهم
ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر
لنا لنكونن من الخاسرين فابى الله الا ان ينتقم منهم بسيف سيف
الدولة جزاء عن فعلهم الفظيع وخطبهم الشنيع وسعيهم المذموم
عند الجميع فصبه عليهم صب عزالي الغيث بنوء المرزمين عزالته
غيث قطره عيث وغيم حشوه ضيم وسحاب حمله عذاب وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وبرز فائق
وبكتوزون وابو القسم بن سيمجور بفلول جمعهم عبد الملك بن نوح
وبسائر اهل العسكر الى ظاهر مرو مقابلين لعسكر الامير سيف الدولة

يصليان جلادة ويبران بلادة ويقدمان ظاهر العيون ويحجمان
خيفة الحرب الزبون قد ضاقت عليهم الارض بما رحبت وجيوب
الاقطار عليهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة وبوارح الادبار
وجوائح الدمار من كل اوب اليهم محشورة وظل القوم على علم بانهم
يلاقون كل الدمار ويتهافتون تهافت الفراش في النار ويقتلون
الا نضار بسيوف الانصار كما قال الله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار وترددت السفراء بينهم وبين الامير
سيف الدولة في مواضعة على شيء يسلمون معها في العاجل من
شدة باسه ويفتدون بها من مرارة كاسه فاحسن الامير
سيف الدولة اجابتهم الى مواضعتهم على علمه باستبطانهم للختل
والحيلة واستشعاره منهم للختر والخديعة الزاما للحجة وحسما
على الشبهة واعذارا الى الكافة وبراءة من خطة البغي في
دفع المكافاة فما كان الا ان قوضت للرحيل خيامه ونشرت للقفول
اعلامه حتى ثاروا وباشوا القوم على اثره لانتهاب عسكره
يظنون بانفسهم الظنون وانما يتعجلون المنون ويدوسون اذناب
الاراقم لو كانوا يشعرون ولما راى الامير سيف الدولة
ركوبهم مقطعة الضلال واقتحامهم مسبعة الآجال متعلقين
حبوط الرقاب بالحرص الغالب والطمع الكاذب لا يثنيهم حلمهم
عن التسفه والتخبط ولا يحميهم كرامهم عن التهور والتورط

التهافت

اى مجتنبين عن الاثم

ختل عنه امره من

في تجديد لغو تطميعا فكلما

حاشية اخر ابدانهم المهود

الزبن الدفع الزبون الدفوع وهو الصروح

اى ذوقه البلايا اللهم ...

علم ان ذلك امر يراد وقد اخلطه البغي والعناد وايقن ان سرهم بالفساد معمور وان السفينة اذا لم تبنه ما هو ثور وامر بالثائرين فحاش اليهم من جواشن الجيوش من طبقوهم بالبيض الرض واضجعوهم الا من شا الله على صعيد من الارض فاستخار الله تعالى في الكرة على بغاة البشر محاكما اياهم الى البيض القواطع ومبدليا بينات الرماح الشوارع ومتسجلا على الانتصاف منهم بشبها ذات الشور والحوامع واقام ترتب الجيوش قلبا كثهلان وميمنة كرضوى وميسرة كابان وحصن المصاف برزها مايتين من فيلة كرعن الجبال او ذرى السحاب الثقال مغشاة بتجافيف لم يعوز منها غير حدق النواظر وحدايد الانياب الفواقر تهو سياستها عليها بمرهفات كالبروق الخواطف وصفارات كالرعود القواصف وقد نشرت عليها التماثيل السود كانها الاساود والاسود تخيل اضطراب الرياح فيها انها تزحف للالتهام او تنقض لاختطاف الهام وتعالت عليها اطراف العوامل فكانها آجام الشواطى تاويها شياطين الانس فرسانا او عفاريت الترك والهند مردا وشبانا تنض عليهم سابغات داود كصفاح الما تجلوها الشمس سافرة وتنزها الشمال سايرة قد جعلوا الدروع وقاية للاجسام وظاهروا عليها بالقلوب حرصا للانتقام فهم يانسون بمباشرة القتال ومشاورة الابطال واستشارة المنايا عن مرابض الاجال انس العيون بانا سيها الباصرة والقلوب بامانيها الحاضرة ووقف الامير سيف الدولة في القلب بنفسه واخويه نصر واسمعيل ابنى ناصر الدين سبكتكين وعمه بغراجق وكما عناه ابو فراس بقوله

تلونا دوننا باشد منه واثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر تخاطبنا بافواه الريا ح
واروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود للصبا ح
صفوح عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفا ح
فكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجنا ح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيبة وافرة وهيبة حاضرة فكادت الارض تمور والجبال تثور والنهار الباهر يحلولك والفلك الداير يزل ويبرك ونذر القوم باقدامه واقبال الوية واعلامه فقامت عليهم القيامة واستفاضت فيهم الحسرة والندامة واقبل بعضهم على بعض يتلاومون علما بما ارتكبوه من الامر الامر واجتلبوه من الصيلم الاد وحفز بهم جائز الضرورة عن المشورة ففزعوا الى الاحتشاد وبعثوا الى ذكوب الت القواد والافراد وبرزوا من جدران المدينة في افواف واصباغ يوم الزينة ومعهم الكثير مما كانوا في معركة حشرهم من اطراف خراسان وما ورا النهر كل فارس وراجل وحامل عضب وعامل سوى من استبقتهم تلك الدولة من كل بطل بازل وبطل باسل وشجاع مغاير واقاموا الصفوف على الموازاة قلبا كمجتمع الليل وميمنة كمندفع السيل وميسرة مشحونة باشاهب الخيل وماج الفريقان بعضهم في بعض كالجراد

المتبختر ضربًا يزيل الرؤوس عن العواتق ويبين الزنود عن المرافق وطعنًا يهتك ودايع الصدور ويرد مشارع الهموم والسرور ورشقًا يصيب سواد الابصار ويطلب ورا الفقار مضجع الفراد واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتعفرت الجباه وتقطعت الانفاس وتحيرت الفرسان والافراس واغبرت الافاق واحمرت الحماليق والاحداق وخاض الامير سيف الدولة غمرة الحرب يجتذب بالاوهاق مطالع الاعناق ويختطف بالارماح ودايع الارواح ويفض بالاسياف مجامع الاكتاف حتى رويت الارض من نزال الحلوق وعرقت الحوامي نواعر العروق ودامت على حالها في الاحتدام والاصطرام والافتراس بانياب الحمام من حيث استقلت الشمس اكليلا على الجبل الى ان نفضت ورسا على الاصل فاضطرب القوم ضجة من حز المناصل وضيقا بوخز العوالي والعوامل وتداعوا الحملة تكشف عنهم غمة المقتال بفيصل الادبار او الاقبال فطرحوا الميمنة على الميسرة وهم يظنون ورا ذلك ظنونًا ويخطبون من بنات الاماني ابكارا وعونا وابى الله الا ان يعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال ما سنوه حين ركبوا من ولي النعمة ما ركبوه اخفارا للذمة وانكارا للحرمة واذالة للحشمة واضاعة لحق نعمه والهم الامير سيف الدولة ان يزحف اليهم بسواد موقفه فلم يكن الا صدمة واحدة حتى زلت الاقدام عن مقارها وتهافت الرقاب عن مزارها وجعلت تتساقط اشخاص الالوية والمطارد وتبرد النفوس عن ضرب السيوف البوارد واستمرت الهزيمة بالظلمة عند اعتكار الظلام فطاروا بين الاقطار كل مطار وعصفت بهم سافية الدمار والادبار فلم يلتق منهم بعدها اثنان عند تنازل الاقران وتناوب الطعان وذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين وجفل عبد الملك بن نوح الى بخارا ومعه فايق في اتباعه وانتبذ بكتوزون الى نيسابور في اشياعه وابو القسم بن سيمجور الى قهستان وقد صاروا حزق مزق وعادوا شذر مذر واصبح سيف الدولة قد انجز الله جنده واسعد جده على رغم الراغمين جده واعلى يده واورى زنده وساق اليه هدى الملك على غير مهر سوى الشكر ولا صداق سوى الاستحقاق وورث دولة آل سامان وملك ديار خراسان لسنة تسع وثمانين وثلثمائة ورأى ان يعجل بكتوزون وابا القسم السيمجوري عن التجمع ثانيًا والتحدث بالالتقا آنفًا فما تحدر الطوس نحو البحر الاخضر من رجاله وافياله وطار بكتوزون بجناح الهرب الى حدود جرجان وقفي السلطان على اثره بارسلان الجاذب في جحفل يطارده طرد الشهب اشخاص العفاريت حتى نفاه عن تخوم خراسان وولاه السلطان ناحية طوس ودسته بها حين ضم اليه من قواده وسار الى هراة مطالعا لاعمالها ومجددا للعهد باحوالها فلم ينشب بكتوزون حين سمع بانثناء عنانه اليها ان كر الى نيسابور فملكها ثانيًا يرى انه يناضل عن دولة

والشمس صفرا كلون الورس
من قوله

الحرجة الجماعة من الناس والطير
والمزق القطع من الثوب

الضراب

قد حم حمامها وانقضت ايامها وناحت عليها اصداوها وهامها فلم
يرد على ان خشي السلطان كلفة الكر عليه قبل ان اطمانت به قعدته
او جفت على طرفه لبدته فجفل عن نيسابور على سمت ابيورد وشد السلطان
عليه الطلب فركب المفازة الى مرو متشبثا بالرجاء على الحيوة ومستظهرا
بالكفا على النجاة وخلص الى مرو فيمن اعانتهم فراهة المراكب
وقوة الصبر على عثاء تلك المهارب ورام ان يتملكها ويتحصن بها فمانعه
اهلها موالاة للسلطان وتشكرا لما وسعهم من العدل والاحسان
فشن عليهم غارة شعواء وخبطهم بالسيوف خبط عشواء وركب
مفازة آمل حتى عبر النهر الى بخارا ولما خلت خراسان من بكتوزون
واصحابه رتب السلطان ارسلان الجاذب والى طوس الى قهستان
لنفضها عن ابي القسم بن سيمجور اذ كان يظن الظنون في تدبيره ويطمع
في الانتياش عن تحسيره فواقعه بها وطرده الى نواحي طبس عنها وولى
السلطان اخاه الامير نصر بن ناصر الدين سبكتكين قيادة
الجيوش بخراسان ورتبه بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على قديم
الزمان وامتد الى بلخ مستقر ابيه ناصر الدين سبكتكين ولما انتهى السلطان
الى بعض حدود مرو الروذ منصرفه اليها ركب على اسم التصيد في خف
من العدد ومعه اخوه اسمعيل بن ناصر الدين وقايد من قواد ابيه يعرف
بنوشتكين كاتحرج وقد وتره اجتياشه مآل امره على يده لا غيره
اذ كان كاجد اعضائه في الاثبات والاطلاق والاجتياب
والارفاق فثنيا السلطان في هزة الاقتناص اذ جانت منه
التفاتة فاذا به قابضا على قبيعة سيفه يروم انتضاءه
وقد رمى وجه اسمعيل بطرفه يطلب ايماءه وقد لاح للسلطان
انكار اسمعيل عليه بدلايل رمزه وايماضه وشواهد
ابتهاجه وامتعاضه عبر ان استشارته اياه فيما جناه قد فرشت
له بساط التهمة وجرحت منه جارحة الثقة وبادر
السلطان الى مضربه وامر بالاحتياط عليه في وقته وحكم
فيه خواص غلمانه فاخذته السيوف حتى تطايرت اعضاؤه
وتناثرت عليه اوصاله واجزاؤه ثم دعا باسمعيل فاذنى
بغدره وجحد العلم بما ابداه الخاين من خاينة
سره وغدره وجرت محاوضات ومراسلات اقتضى
آخرها ان يستوثق منه لنفسه وملكه اذ كان لا يلتقى
سيفان في غمد ولا يجتمع فحلان في شول وبلغنى ان السلطان
بعد استنزاله اياه عن القلعة بغزنة تبسط منه في بعض مجالس
انسه وباحثه بلسان الاستدراج عند حنا البقاء
عما كان وراء عزمه من معاملته اياه ان لو ملك من امره
ما ملكه هو منه فحملته سلامة صدره ونشوة خمره
على ان قال كان راى فيك ان اوجه بك الى بعض القلاع
موسعا عليك فيما تقترحه من دار وغلة وجواد ورزق

على قدر الكفاية ذاتي فلما ارتاب السلطان عند الحادثة
به عاملة بعين ما نواه وقابله بجنس ما ابداه واستودعه
والى الجوزجان ابا الحرث ممكنا مما يشتهيه ممتعا بمثل
ما كان يتوليه فيه فلله هذا الفعال الذى طرز ديباجة الكرم
وغبر في مساعى ملوك الامم وقد يستغرب هذا الاسجاح
من وجه وان كان لا يستبدع من امثال هناك
عاطفة القربى والرحم ولكن الشان في الاجانب الذين تعلو رقابهم
الاجرام الفادحة والجنايات الفاحشة كيف يسلط
فيهم رايه على هواه ويستبقى الجانى بما جناه فلم يسمع باعف
منه فى الجنايات سيفا ولا احسن على فورة الزلات صبرا
واحتج لهذه الخلة الفاضلة بان الملك الحازم من يسلب الجانى
في حال سخطه ما يمكنه الوفا بعينه او بمثله عند رضاه وجرح المال
يوسى بالتعويض والاخلاف فاما النفوس فليس لها تلافيها تلاف

ذكر الخلع التى افاضها القادر بالله امير المومنين على السلطان محمود بن ناصر الدين

اوجب القادر بالله امير المومنين له
خلعا لم يسمع بمثلها محمولة من دار الخلافة ولقبه فى كتابه يمين الدولة
وامين الملة وولى امير المومنين لقبا كان مصونا فى صدف الشرف
لم تنله قط ايدى الغاصبة على كثرة الطلاب وتنافس الملوك فى
الالقاب [illegible]
لامير المومنين وخليفة رسول رب العالمين وقام بين يديه امرا خراسان
بسماطين مقيمين رسم الخدمة وملتزمين حكم الهيبة وحبسهم
بعد الاذن العام على مجلس الانس وامر لكل منهم ولساير غلمانه
وخاصته ووجوه اوليايه وحاشيته بجانبه توهبه من روايع الخلع
والصلات ونفايس الحبية والكرامات بما لم يسمع لمثله
ملك مثله ولم يف ببعضه ضمير امير واستجابت خراسان
لامره وفرعت منابرها بذكره واتسقت الامور عن اخرها الى كنف
ايالته واستوسقت الاعمال فى ضمن كفالته وفرض على نفسه
في كل عام غزوة فى الهند ينصر بها الدين ويقمع اعدا الله
الملحدين تكتب الله له اجره واحسن نصره كذلك قال الله تعالى
فى محكم خطاب كتابه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
اقدامكم

ذكر انصراف عبد الملك بن نوح الى بخارا

لما وصل عبد الملك بن نوح الى بخارا فى الفل وصحبه فايق وتلاحق
به بكتوزون في اصحابه واوليا عبد الملك فى مضامته طمعوا
انفا فى الاستقلال وتكلفوا لانفسهم بطالع الاقبال وتجددوا
بالاحتشاد لنوايب القتال واخترم من بينهم فايق فى شعبان
سنة تسع وثمانين وثلثماية وهو وجه الزمرة وطراز الحلة وعمدة
الجلة والملقب بعميد الدولة فتمكن الانخزال من صدورهم واسرع
الانحلال فى امورهم وانحدر ايلك الخان الى بخارا يظهر لعبد الملك

معنى هذا في القرى سهل ولكن الشان في الاجانب فانهم نصح عنهم كما نصح عن الاقارب

يعنى يمكنه الرد عليه

الغايصة

واجلسهم

الله صلى

الفل المنهزمون

الزمرة الجماعة

موضع منها او الحكم الشهاب

وسائر اكابره واصاغره بموالاة خداع واحتيال ومماراة استدراج واغتيال وهم يظنون استظهارا على ما هم عليه واحتياطا لما شدّ عزائمهم مغرورين عن واجب الاستبصار والاحتراس عن حبائل الاوتار حتى آنسهم بلطائف برّه واقباله واطمعهم بزخارف اقواله وافعاله وركب اليه بكتوزون وينال تكين الفائق وسائر قواد عبد الملك صباح يوم فلما التأم بهم المجلس امر باعتقالهم والقبض على اصحابهم ودوابهم واستلاب اسلحتهم واسلابهم فلم ينج منهم الفارد الشارد الا م والنادر المبادر وبلغ الخبر عبد الملك فوجد عدته قليلة وجدته كليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير الاستخفاء حيلة ودخل ايلك بخارا يوم الثلثاء العاشر من ذى القعدة سنة تسع وثمانين وثلثمائة ونزل دار الامارة وبث عليه عيون الطلب وطلائع الرغب والرهب حتى ظفر به فحمله الى اوزكند فمات بها وطفئت بقية الشعلة من دولة آل سامان بما وراء النهر واطراف خراسان فصارت كان لم تغن بالامس كداب الدول الماضية فى القرون الخالية ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون

ذكر خروج ابى ابرهيم اسمعيل بن نوح المنتصر

وما جرى بينه وبين ايلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش ابى المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين بخراسان كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك الخان من بخارا قبض على ابى الحرث المخلوع وعبد الملك وابى ابرهيم وابى يعقوب بنى نوح بن منصور الرضى وعلى اعمامهم ابى زكريا وابى سليمن وابى صالح الغازى وغيرهم من الارومة السامانية وامر باعتقالهم ورسم افراد الاخوة منهم فى حجرة على حدة احتياطا لنفسه بتفريق ذات بينهم عن تمكينهم من اقتضاب الحيل واختلاف الاراجيف وارتقاب الفرص فاحتال ابو ابرهيم المنتصر للتملّس من معتقله فى زى جارية كانت تدخل عليهم لمطالعة احوالهم ومراعاة اوقات اقواتهم فكانت حاله فى الخلاص موافقة لحال الكميت حين استغشى ثياب ظلّته وانسل عن غد الاعتقال بمهجته ثم انشا يقول خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والمشلى على ثياب الغانيات وتحتها صريمة ذى اشبهت سلة النصل واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا الى ان ايس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب او الشهاب الثاقب متجردا للانتصار مستعينا بالله على درك الثار وتلاحق به من كان وراء النهر وغابر من بقايا القواد والاجناد السامانية فى اطراف خراسان حتى اجتمع شمله وكثف خيله ورجله وركض ارسلان بالو

الحاجب الى بخارا فبيّت الخانية بها تحت الملاحف وشغلهم بحقائق السيوف
البوارق عن مجاز الاحلام الطوارق وقبض على جعفر تكين وعلى سبعة
عشر نفسا من اعيان القواد الخانية وحملهم فى وثاق الاسر الى الجرجانية
وافلت الباقون بجريعة الاذقان نحو ايلك الخان وركب ارسلان
اكتافهم بعثهم حث الشمال قزع الخريف وطرحهم الى حدود سمرقند
مقتفيا آثارهم وكاسعا ادبارهم ووافى بقنطرة كوهك تكين خان فى
عسكر جرار نايبا عن ايلك الخان فى حراسة سمرقند وما يليها فانتدب
لمناجزته واستعان بالقدر وساير اصحابه على مبادرته فنصب ارسلان
بالوه له وجها وقفا واضرم عليه الارض كفاحا فولاه ظهر الادبار واتقاه
بعوذة الفرار وغنم ارسلان ومن معه اموالهم ورموا بتلك الانفال احوالهم
وعاد ابو ابرهيم المنتصر عند ذلك الى بخارا فاستبشر اهلها بمعاده على مراده
وبلغ ايلك خبره فجمع احابيش الترك وصمد صمده فى العدد الدثر فكر
ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه الاجتياز عند ذلك العبور
الى آمل الشط فوافاها وجباها وضاقت به وبعسكره فركب المفازة
على سمت ابيورد فملكها وسار عنها قاصدا قصبة نيسابور وبها صاحب الجيش
ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين فالتقيا على فضا بين بغاعن وبسخه
قريتين على اربعة فراسخ من نيسابور وذلك يوم الاربعا لليلتين بقيتا
من شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين وثلثماية ودارت عليهما رحى
الحرب يفصلون بالبيض البوارق ما بين الطلا والعواتق ويفرون
مفارق الهام ضرب القدار نقيعة القدام فلما اشتدت وطاة الحرب
على صحبها ومرت كاسها على شربها تكاثفت جموع ابى ابرهيم المنتصر على
اصحاب صاحب الجيش ابى المظفر فاقتضاهم الاحتياط ان يتحيزوا واجانب
جراة انتظارا للمدد واستنزافا للمأمول صنع الله فى الغد نحو ظهور الحيلة
بين ذيول الليل حتى ثابت عليهم لمته بين حدود البوزجان وتمكن المنتصر
من نيسابور وانضم اليه من شذاذ العساكر الجمع الكثير والجم الغفير وبلغ
السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره فاستركب خيله من غزنة ان تربّص
بنهاره ليله وسار سير الجنب يطوى الارض طى السجل للكتب حتى انقض
على نيسابور انقضاض بنى الهوا على بنات الما ولما تسامع المنتصر باقباله
انحدر الى اسفراين فى عامة رجاله وبث اصحابه فى الرساتيق لجباية
اموالها وازاحة اطماع حشمه بها فازعجه الطلب للحاق بشمس المعالى
قابوس بن وشمكير مستصرخا اياه ومومّلا عونه وجدواه فتلقاه بكل
ما تمناه ومهّد له ذراه واعطاه حتى ارضاه وكان مما امر بحمله
اليه صفقة واحدة عشر دواب بمراكب الذهب وثلثون بمراكب الفضة
وثلثون من العتاق الجياد بالبراقع والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب
والفضة وثلثون اخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة احمالا واثقالا تميز
من البسط النادرة والفرش الفاخرة ومن جهر طبرستان وساير الطرايف
المجموعة فى الخزاين بجرجان واضيف الى ذلك الف الف درهم وثلثون
الف دينار وماية وخمسون تختا من الديابيج التسترية والشقلاطونيات

ابيورد م

بخاعن ح

العضدية والحلل الغزية والخزوز الطاقية وسائر الثياب المصرية وأجر
لأهل عسكره بعشر بنياتهم معونة لهم على عوارض حاجاتهم وأشار على المنتصر
بقصد الري إذ كانت معرضة لقصادها بتخاذل أمرائها وتواكل أوليائها
واستيجار الفتنة الإحن بين الذابين عن فنائها أن يهده بولديه
دارا ومنوجهر في جيوش الجيل والديلم ووجوه الأكراد والعرب ليستظهر
باستخلاص تلك الولاية وليكون ما ينوبه من معاودة خراسان عن
ظهر الكفاية فقبل الإشارة وقدم الاستخارة وسار حتى خيم بظاهر
الري فاجتمع أهلها منه بأمر الربيق على أريق وقامت البرمكي أفلاذ
كبدها فاتوا قبالة المنتصر ودس الكفلاء بتلك الدولة إلى ارسلان
بالو وأبي القسم بن سيمجور وغيرهما من أولياء المنتصر بوجه من وجوه اللطائف
والحيل فانخدعوا لتسويلهم وطمعوا في تأميلهم ونصحوا للمنتصر بأن قدر
مثلك ممن تجله ملوك الشرق على جلالة أقدارهم ونفاسة أخطارهم
يجل عن مناواة قوم يدعون فيك قرابة ويفترضون لك طاعة ومهابة
موالاة لمن يجر النار إلى قرصه بالتعويل عليك ومعزاه أن تحترش الأفعى
بيديك فله الغنم إن قدرت وعليك الغرم إن عجزت فلفتوا المنتصر
عن رأيه وزينوا له الملك بخراسان من ورائه فارتحل عن باب
الري يريد الدامغان وانفذ ولدا شمس المعالي عنه عائدين إلى
جرجان تخلص بحم ذلك التدبير وانحل عقد ذلك المقدور وإذا أراد
الله بقوم سوءا فالأمر كله وما لهم من دونه من وال وامتد المنتصر طلقا

إلى نيسابور وبها صاحب الجيش أبو المظفر فانفق من زلة المقدم كالتي
حدثت من قبل فاحتاط بالانحياز إلى الجوزجان ودخل المنتصر نيسابور
ذا أواخر شوال سنة إحدى وتسعين وثلثمائة وبث عماله في جباية الأموال
ومطالبة من ظفر بهم من العمال واستمد صاحب الجيش نصر السلطان
يمين الدولة وأمين الملة فرسم للحاجب الكبير التونتاش والي هراة البدار
إليه في معظم الجنود من شجعان الترك وفرسان الهنود حتى إذا استظهر
بذوي الغنا في حرة الهيجا كر عائدا إلى نيسابور وتلقاهم المنتصر بارسلان
بالو وأبي نصر بن محمود وأبي القسم بن سيمجور فالتقوا على حرب تحطمت
فيها الصفاح المشهورة وتقصدت الرماح المطرورة وغربت عندها
الكواكب المنثورة ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا على أدبارهم
نفورا وكان أمر الله قدرا مقدورا ودخل صاحب الجيش أبو المظفر
نصر بن ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له كالهدي على
زوجها الكفي وأقيمت له النثارات كما تتهاوى النجوم السائرة وتتهادى
الثلوج المتطايرة وركب المنتصر سمت أبيورد والطلب على أثره
حتى وصل إلى جرجان ثم لما تسامع الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير
بمثواه رماه بزها الفين من أنجاد الأكراد فألجأوه إلى الارتحال وأجبروه
من طلب المجال فكر على أدراجه ثانيا في الغي وإثما ترك إلى الري
لطاهر الري وقد كان المنتصر حقد على ارسلان بالو لتسحبه عليه
واشتطاطه في المطالب بين يديه ومنازعته الرأي فيما ينحوه

ومراجعة القول في كل ما تفوه به وانضاف الى ذلك اتهامه اياه
بالتخاذل والتواكل في الحرب التي انهزم فيها عن وجه صاحب الجيش ابي المظفر
نصر بن ناصر الدين لمنافسته على ابي القسم علي بن محمد السيمجوري مكانه من
اختصاصه وايثاره وغيرته على البركة الواقعة به في محله ومقداره
فحمله ما احتشاه من ما الكرب على التشفي باراقة دمه والاستروا
الى انتهاب روحه ففتك به فتكة آنست فتكات الاسلام وشفت
نفسه من لذا العقام وتجمع اهل عسكره لانكار ما فعل واتى لهم
وقد سبق السيف العذل وقام ابو القسم علي بن محمد مصانعا لهم
عن المنتصر بلسان المعتذر حتى خبا التهابهم وسكن هيجهم واضطرابهم
وتوامروا بينهم على قصد سرخس للاستطهار بزعيم اهلها المعروف كان
بالفقيه اذ كان قد رغب المنتصر في ارفاده وانجاده وايثاره بعدده
وعتاده فركبوا المفازة اليها على طريق ابيورد حتى وردوها
وجبوا مالها وارتاشوا بما سمح لهم الزعيم بها وحين علم صاحب
الجيش ابو المظفر اجتماعهم على مضغ الاباطيل بينهم ذلف اليهم
في سراة الكماة لطردهم عن شرعة الطمع وازعاجهم عن حضانة الامل
وواصل السير بالسرى حتى اشرف على سرخس في الهيبة المنشورة والهيبة
الموفورة وبرز المنتصر الى ظاهرها فخيم بازايه واستعد للقايه
وتجاثيا للقتال فاستك سمع الهوا من قرع الحديد بالحديد
ورويت صدور المواضي من موارد الوريد وبلغ كل من الفريقين

غاية الامكان في منازلة الاقران ومناوشة الضراب الطعان مجاحشة
عن حوط الرقاب وتفاديا عن سو الذكر على تناسخ الاحقاب
غير ان قضا الله اغلب وامره انفذ وله الحكم في تبديل الابدال وتصريف
الاحوال ونقل الاملاك من دال الى دال ومن حال الى حال وهبت
لصاحب الجيش ابي المظفر بشمال الاقبال فتمزق مصاف المنتصر عن
هزيمة عوابس الوجوه وحرجى بانياب المكروه ولم ينشب صاحب
الجيش ان اتاه بعض العرب بابي القسم علي بن محمد في قلادة من
الوهق على بقية من الرمق واردف بتوزتاش الحاجب وكان
يراه المنتصر جلدة ما بين العين والحاجب والضمت حبالة الاسر
على معظم ذلك العسكر فحملوا الى غزنة في الاصفاد مقرنين وساد
المنتصر سير المضطر لا يرث وزوا غير اعتساف المسالك وارتكاب
المهالك على جملة لا يميز فيها المملوك عن المالك وذلك يوم الاربعا
لتسع خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وثلثمايه وقفل
صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين وقد اعلى الله كعبه ورفع
قدره واطعمه نصره واطار بين الخافقين ذكره وانشد لي ابو منصور
عبد الملك بن محمد الثعالبي لنفسه فيه يذكر ما اتيح له من هذا الفتح
البارع منظره الشايع خبره ٥٥

تبلجت الايام عن غرة الدهر وحلت باهل البغي قاصمة الظهر
وولى بنو الادبار ادبارهم وقد تحكم فيهم صاحب الدهر بالقهر

فتكة عبد الملك
هلاك الاسلام
بالاشدق وقتله المصعب
بن ... لا بالشام

وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا الى الملك المنصور سيدنا نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره ومن سما بالعليا اولى اولى الامر
فيالك من فتح غدا زينة العلى وواسطة الدنيا وفايدة العصر
اتى الله الا نصره ورفعه على قمة العيوق او هامة البدر
وملكه صدر السرير كانه فلك بالخير او صدره بحرى
لناه
وحق له دون الملوك محاسنا تبر على الشمس المنيرة والقطر
اذا ذكرت فاح الندى بذكرها كما فاح اذكى الند فى منح الجمر
فتى السن كهل العلم والراى والحجى يعم بنى الامال بالنايل الغمر
الحلم خ
له همة لما حسبت علوها حسبت الثريا فى الثرى ابدا يسرى
غدا ذا عيا للمسلمين وناصر اله الله داع قد تكفل بالنصر
الا ايها الملك الذى ترك العدى عباديد بين القتل والكسر والاسر
منفرحين
قدمت قدوم الغيث مقدم تجليت وجه الدهر بالحسن والبشر
اليمن م
مبارك
الست ترى كتب الربيع ورسله تقولون هذاك الربيع على الاثر
نسيم نسيب للحيوة بلطفه تجر ذيول الارض اردية العطر
يهان كيد الريح اى ...
وترب بانفاس الربيع معنبر فيالك من طيب ويالك من نشر
وغيم يحاكى راحتيك كانه على المسك والكافور يهطل بالخمر
فروح بشرب الراح روحك انها التى تبعث من رقعة البيض والسمر
ودم لا فتينا الملك اكمل المنى وفى ارفع العليا وفى اطول العمر
وانشدنى ابو سعيد بن دوست لنفسه فيه

للامير المظفر العالم العادل مينا ابى المظفر نصر
كريم فى شجاعة وسخا فى وفا ودولة مع نصر
ومعالى لو انه رامها تحت نصر يوم تحرى اعتب على بخت نصر
به نقطع الخطوب ونسرى وبه ندفع الكروب ونبرى
وانتبذ الركض بالمنتصر الى محال الاتراك الغزية ولهم صغو الى الدولة
السامانية فاخذتهم المذمة من خذلانه وحركتهم الحمية لعونه على
شانه وتذاكروا بينهم شرف السامانية وما شعروه قديما من بركات
ذلك البيت القديم والكرم العميم وسار مصعدا حتى لحق
بايلك الخان وذلك فى شوال سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وعندها
كلف ايلك للانتصاب من المنتصر جيوش الترك يستغر
فطلب الثار واستعاد النار حتى اناخ بحدود سمرقند وتنادت
الغزية باقدامه وتوامروا بينهم على بياته فجمعوا للركض عليه فخنوا
الخيل تحت الليل حثا كادت لا تنفش الارض بوطى اقدامها ولا
تنفش خ
تشعر النجوم باشخاص الويتها واعلامها حتى اوقعوا به وانتهبوا اجل
سواده وقبضوا على جلة قواده وانقلبوا بما غنموه الى اوطانهم
عند حصول البغية واستاثروا على المنتصر بالاسرى طمعا فى الفدية
ثم بلغ المنتصر تنازعهم الامر بينهم فى موالاتهم ايلك عليه وافراجهم
عن الاسرا تقربا اليه فرابه من ذلك مرامهم ببيته لم تاخذه الارض
معها بقرار ولم تكتحل عينه عندها بغرار فاختار من جريدته
ملتقى مرامهم

ثمانية سبع مائة رجل ركبانا ورجالا خفافا وثقالا وطاف على
المعابر فاذا النهر جامد وآثار الشط في البعد آمد فرشوا النهر
باثبات الارز حتى امكنهم من العبور وتبعه الطلب فمنعهم خطر
المعبر من قصد المنتصر وارسل المنتصر عند قراره بامل رسولا الى
السلطان يمين الدولة يذكره حقوق سلفه عليه واستداد
الامر في انثيال النعم عليه واقدله بحيث يرتبه فيه طاعة له
واخلاصا في هواه واظهر الانقطاع الى كنف قبوله واشباله
والافتقار الى معونته بماله ورجاله وامتد من آمل الشط الى
سواد بر واحترسا عن معرة الترك في العبور على الاطواف والفلك
وارسل الى علي بن ابي جعفر المعروف بخواهر زاده وكان ابوه رجلا
من جملة الرعاع رفعه الزمان في دولة آل سامان يستميحه المعونة
بما يفضل عن سعة يده من مال وسلاح فرد الرسول على عين وجه
الحرية والارتياح لحكم الانسانية ولم يرض بالرد حتى خرج اليه مقاتلا
وبالجفا مقابلا فحمل اصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه جملة
وتسدى مسافة ابيورد حتى وافاها في شهر ربيع الاخر سنة اربع وتسعين وثلثمائة
واوجب السلطان اكرام رسوله وتحقيق ماموله وصله
بصدر من المال يجبر خلته وخاطب ابن خواهر زاده بخدمته
وتقمن مرضاته وترك الانحراف عن مراده فاضطره الامر الى
الاعتذار بما هو منه ~~الاعتذار~~ طاعته وتقديم ~~الاعتذار~~ عن مخالفته حين شاعت سبة البخل

عليه واستطالت شادخة اللوم بحريه وقد كان ابو نصر احمد بن محمود
الحاجب لما تسامع بقدوم راية المنتصر مالاه على صاحبه واظهر
الانقطاع الى جانبه واقام له الخطبة بنسا مظهرا طاعته ومستنفدا
في نصرته جهده واستطاعته ولما احس اهل نسا براي ابي نصر
في اتباع راية الخلاف اشفقوا على نفوسهم من عاقبة الاتهام بموالاته
والاشتراك في جناياته فكاتبوا خوارزم شاه مستمدين عليه فانهض
ابو الفضل الحاجب احد اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة شره
وكفاية امره ومال ابن محمود الى المنتصر فتضافرت العدة وتوافرت
العدة وصدر الى الحبوشان من رستاق استوا وناهضهم ابو الفضل
في رجال خوارزم فاتفق التقاؤهم على الحرب ليلا بمراى من النجوم الشوابك
بحيث لا يدرك الضارب مضروبه ولا يبصر الراكب مركوبه واختلط
الفارس بالراجل والنابل بالنابل وتضاربوا ما بين والمقاتل
وتطاعنوا شكلي ومخلوجة كرك لامين على نابل وتصدع شمل
الفريقين فلما ان صاح الليل صباحه ونفض النجم على الغرب جناحه
فلم يشعر احد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام حتى
استفاض ضوء النهار فاذا ابن محمود قتيل وابن حسام الدولة
ابي العباس تاش الى جنبه صريع وتفرق الباقون عباديد
بين اقطار المهامه والبيد ووقع المنتصر الى اسفراين فمنعه
اهلها حذار المحنة وخيفة الهرج والفتنة فانثنى على ادراجه

امد بلد من بلاد الروم

اليه

اى وعن الهابه

من سير الناقة وهو تقارب خطوها في المشي واتساع خطوها

اى يطلب مرضاته

خوارزم شاه

الشوى

بلغ مطالعة الشريف احمد

في شرذمة من اصحابه يقطع الارض طولاً وعرضاً حتى انتهى الى بعض
حدود سرخس واقام هناك ريثما تلاحق به الفلّ وسار حتى
عبر النهر من ساحل قطلان في شرذمة تحاربا فطلبه وشدّوا
عليه وجوه مهاربه فركب غرّة الرجال في بيات القوم وثبت
بعضهم للبعض جلاداً بالدبابيس والحراب واغماداً للسيوف
في قراب الرقاب فجدّ المنتصر الامر واشتدّ وتجاسر باسه
ولم يلبث وصار القوم الى دبوسية من الصغد مستنجدين حين
بها من الغازية وتعارف الرجال ووقع المنتصر الى ثغر النور من
بخارا وكثر عليهم ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واجتياك — منهاه
واصطلام واجتثاث ومال اليه المعروف بابن علمدار رئيس الفتيان
بسمرقند فاتاه في ثلثة آلف رجل وتقرب اليه مشايخ اهلها بثلثمائة
غلمة على سبيل بين وخدمة ووصلوا بها كرامات تضاهيها وتبارات
تدل على اخلاصهم فيها وتوافى اليه الغزية فاشتعلت جذوته وتراجعت
قوته ولما سمع ايلك الخان باجتماع شوكته واشتداد وطأته
زحف اليه في اجلاب الذكور من ديار الترك واشتبكت الحرب بينهم
بقرية بوزبند من حدود سمرقند حتى تقصّفت النبال وتكسرت — بوزبند
النصال وتحطمت السمر الطوال وخان الخان مقامه وانقضّ عنه
اقوامه فاستقفاه الغزية في طلاب الاسلاب حتى بردت ايديهم — ظفرت
بالسبايا والنهاب والغنائم الرغائب وذلك في شعبان سنة اربع وتسعين وثلثمائة

[illegible]

وعاود الخان ارض الترك فضمّ النشر ونادى بحشر ثم كرّ على ثاره وبثّ
على المنتصر شرر ناره ووافق اقباله تراجع الغزية الى اوطانهم بما نهبوه
على عادتهم في كل ما غنموه واستانف الحرب على فضا بين دزك — قريتين
وخاوس من بنر وشنة واستامن المعروف كان بالحسن بن
طاق الى الخان في زهاء خمسة آلف رجل من رفقائه عند تقاد
جمرة المصاع واشتداد زوات القراع واضطر المنتصر الى الانهزام
وحكّم الخان في عسكره سيوف الانتقام حتى رويت الارض من
دمائهم وشبعت النسور من اشلائهم وسار المنتصر الى شط
جيحون فعبر على الجمد لعدم السفائن وخلو المعابر ومضى
الى اندخوذ من ارض الجوزجان مختبئاً من ركضة الخان
وامر باستياق الدواب الراعية بها واقتسامها بين اهل
جملته وركب المفازة الى قنطرة زاغول ولما بلغ السلطان
يمين الدولة خبره ابرع الاصدار الى بلخ لاعجاله عن تفاقم تعاظم
امره واستفحاله واتبعه بفريغون بن محمد في اربعين قائداً
من قواده لطرد سواده وحصد نباده فاعجزهم المنتصر
وسار الى الجنابذ من قهستان ضرورة اذ كانت جيوب الآفاق
عليه مزرورة بحيث انه شهرت عليه السيوف واني المر من
احدقت به الحتوف وزلف اليه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين
سبكتكين في طغانجوق والى سرخس وارسلان الجاذب

والى طوس يحثون الظهور فى الطلب ويبرقون علالتها بين الركض
والخبب ففاتهم الى جومند ومنها الى بسطام فرهاه شمس المعالى
قابوس بن وشمكير بزهاء الفين من الاكراد الشاهجانية فازعجوه عنها
الى بيار باجعا باللوم على من لقند الانحدار ولما ضاقت عليه
المذاهب واحاطت به المعاطب بادر الى كورة نسا بدار من
لا يمكث بداره لا يوطى الارض جنب قرار وتلقاه ابن سرخك
الساماني بكتاب يزين له الانفصال اليه لمضامنته على ايلك
الخان موازرة وموالاة ومطابقة للخان عليه ومواطاة فنازعته
نفسه تقديم اجابته طمعا فى وفايه وتاميلا لعونه على ذمايه فركب
الخطار وسار حتى اذا بلغ بير جاد من مفازة آمل سبقه خيله المخاطرة
الى الشط فوافق ذلك جمود جيحون فاغتنموا امفا ارته خلاصا
مما منوا به من مكابدة الاسفار وعدم الاستقرار ووصل سهر
الليل بداب النهار وتشاوروا فى العود الى سليمان الحاجب صاحب
حاجبى ايلك الخان فعبروا اليها وعرفوه ان الساماني بالقرب
وان المحن قد طحطحته والحوادث قد طحنته فهو حلسة الطامع
وثمرة الطالب وطعمة الانياب والمخالب فلم يشعر ابو ابرهيم
المنتصر الا بالخيل مطلة عليه فطاردهم ساعة ثم ولاهم ظهر
الفرار وقبض على اخويه وحاضنتهما برباط بشرى وحملوا ونا صنتها
الى اوزكند اسرى واحل المنتصر هربه حلة ابن بهيج نهبت ؟
الاعرابي من جملة العرب السيارة فى تلك المفازة ليقضى الله كانوا قطاع الطرق
امرا كان مفعولا وكان ابو عبد الله الماهروى بندارا من جهة السلطان المعروف
يمين الدولة فيهم وقد كان اوصاهم بالقعود له بكل مرصد واذكا
العيون عليه عند كل منهل ومورد فلما لبس الليل جلدة الغبش وعرض الغس القطاة
على النجوم جيش الحبش وثب اهل تلك الحلة على المنتصر جهلا وغباوة
وقساوة وشقاوة فاخمدوا اجش مقدمه واحلوا للارض حرام دمه
وكانما عناه ابو تمام بقوله حيث يقول ۵۵

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه الهنا التمر
فاثبت فى مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردايه فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانى رايت الكريم الحر ليس له عمر

ثم نقل قالبه الى قرية ماغ مرغ من رودبا بارزم ودفن بها فى شهر ربيع زنم لعرب حام
الاول سنه خمس وتسعين وثلثمايه وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة
خبره فامر بالقبض على البندار واذاقه حر الانكال وشن الغارة واذاقه ؟
على حلة بن بهيج الاعرابي خاصة وعلى ساير العرب السيارة عامة
وصار جمرة السامان رمادا تذروه الرياح وكان الله على كل
شى مقتدرا

ذكر الامرا الشامانية ومصادراتهم

من حيث نجمت دولتهم الى ان ورثها السلطان يمين الدولة وامين الملة

كان ملك آل سامان بما وراء النهر وساير بلاد خراسان بما
ينضاف اليها في الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان
وطبرستان والري الى حدود اصبهان مائة سنة وستين وستة
اشهر وعشرة ايام فاولهم ابو ابرهيم اسمعيل بن احمد وهو الذي قبض
على عمرو بن الليث بناحية بلخ يوم الثلثا للنصف من شهر ربيع الاول
سنة سبع وثمانين ومائتين وولي خراسان ثمان سنين ومضى لسبيله
ببخارا ليلة الثلثا لاربع عشرة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين منعوتا
بالعدل والرافة موسوما بطاعة الخلافة وقام بعده ابو نصر احمد
بن اسمعيل فملك ست سنين وثلثة اشهر وفتك به نفر من
غلمانه بفربر ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة احدى وثلثمائة
وكان مقتديا بابيه في ايثار النصفة واختيار الاحدوثة الحسنة
اقتدا الابنا بالآبا في اختيار افضل الشيم واتباع احمد السير الى
ان طوت الدنيا صحايف ايامه كعادتها في الذين خلوا من
قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وسد مسده
ابنه الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلثين سنة وثلثة وثلثين
يوما رفيع النجاد قوي العماد ورى الزناد زكي المراد وتوفي
ليلة الخميس لثلث بقين من رجب سنة احدى وثلثين وثلثمائة وتلاه
في ارث الملك نوح بن نصر وهو الحميد فملك اثنى عشرة سنة

وثلثة اشهر وسبعة ايام وتوفي ببخارا يوم الثلثا لاحدى عشرة ليلة
بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه عبد الملك
بن نوح فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت به دابته
فسقط الى الارض سقطة حمل منها ميتا وذلك عشي يوم الخميس لاحدى
عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة وخلفه في الولاية اخوه
منصور بن نوح خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفي ببخارا يوم الثلثا
لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وولي امره نوح بن منصور
احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر وتوفي يوم الجمعة لثلث عشرة ليلة
خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة وملك بعده ابو الحرث
منصور بن نوح سنة وسبعة اشهر فاعتقله بكتوزون بسرخس يوم
الاربعا لاثنتي عشرة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع
اخوه عبد الملك بن نوح فما استقرت قدمه في الولاية حتى خرجت
على يد السلطان يمين الدولة دعامته وشالت نعامته فطار
الى بخارا وقبض ايلك الخان عليه وانتزع ولايتها من يديه
فكانت مدة امره ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما ثم اخوه المنتصر
ابو ابرهيم اسمعيل بن نوح وذلك حدثان ما ولي السلطان كور
خراسان واقبل بعد ذلك يزداد في اسباب العلا جده وجده
ويتضاعف في رقاب الاعدا قده وقده فما يفتر له ثغر الا عن
ثغر مفتوح وصقع ممنوح ودليل على هامات الاعواد مرفوع

[illegible]

وبابٌ الى مضايق المنى والآمال مشروع

ذكر الاحوال التى جمعت الامير ناصر الدين وخلف بن احمد والى سجستان

من خلافٍ مرّةً ووفاقٍ اخرى وما جرى بعد ذلك من الطوايل والتراث
التى ثنت عنان السلطان يمين الدولة اليه وعطفت به الى انتزاع الملك
من يديه وما جرى خلال ذلك من وقايعه فى الهند الى ان اشتبّت
له ما اراد فى امره بعون الله ونصره قد سبق فى اول هذا الكتاب ذكر
الامير خلف بن احمد فيما آتاه السديد منصور بن نوح من رده الى بيته واظهاره
على خصمه الى ان تهادت رجوم الفتن بخراسان ففرّغه اشتغالُ
ولاتها باذيالها منها للاستجمام والارتباع والاستظهار بما تخرجه ارض
سجستان من صنوف الارتفاع حتى اتسع نطاق همته لطلب الفضول
والزيادات ومنازعة القروم والسادات ولما تصدّى ناصر الدين
سبكتكين لمواقعة ملك الهند حين توزّدجودا الاسلام على ما
نطق بشرحه صدر هذا الكتاب اغتنم خلف بن احمد انتقاض بيت
عن الحفظة وخلوّها عن الشحنة فاسرى اليها من اقتاض بيضتها
واقتضّ عذرتها وحرّف كلمة الدعوة عنها وغمس يده فى اموالها
تجبّاها وجمعها فادّعاها فلما افلح الله تعالى ناصر الدين على الكافر اللعين
عطف العنان الى بُست مستخلصًا من غدره مخنقطًا من سوء
حفاظه فاتقاه اصحاب خلف بن احمد بظهور الفار واعقاب
الادبار والصغار وهمّ ناصر الدين سبكتكين بمناهضته واستنكار
الله فى مناجزته فارسل اليه خلف من يتأوّل عليه فى ذلك البعث
بمحافظته على حكم الموالاة فى حفظ ولايته ويتضمّن تصحيح ما صار
فى جبايته ويتبرّع بزيادة تقوم مقام الارش عن جنايته تفاديًا عن
ثقل وطاته على ايماله وتصوّنًا عن عورة الامتحاج فى قتاله فتغافى
ناصر الدين عن جرّ غدره كفًّا لليد الا فتداد واكتفاءً منه بذلك الاعتذار
وكان مثله كما قال ابو تمام ليس الغبىّ بسيدٍ فى قومه لكن سيّد قومه المتغابى
ثم طالبه بتصحيح المال حتى اداه وارتهن به بعض بضاعة وكانت
الحال بينهما من بعد قايمة على جملة المسالمة الى ان حدث من امر
ابى على بن سيمجور فى الجولة التى اتفقت له بباب نيسابور كما سبق
شرحه فاظهر تقربًا الى ناصر الدين بمساعدته على خصمه ومرافدته
بنفسه وساير اهل جملته امتنانًا عليه بظاهر المظاهرة واضمارًا
للتشفّى من ابى على بمعونته الحاضرة وقوّته الباهرة اذ كان ابو على
قد وتره بقصد حصاره وغزوه فى عقر داره واقتساره ميسور
انصاره وصحبه الى نوشنج فى جمهور اشياعه واتباعه ثم طفقه
بها ناصر الدين سبكتكين صيانة له عن كلفة السفر والقى
عليه من خطة الخطر وسار الى طوس لمواقعة ابى على وطلب
الثائر المنيم عنده حتى اذا طرده ونفض عن شغل تلك الحرب
يده ردّ الى خلف بن احمد اصحابه منقلين بالنعم الباهرة موشحين
بالخلع الفاخرة تقدمهم المراكب والجنايب وتركهم النجايب والرغايب

جمع مطلب

معلا منهم طالبه ارث حقد وعداوة

انقاده

خلوّ ج انتقاض

التحية ج

قاض البيضة وانقضّها اى شقّها

وممكره

ان سبب ذلك البعث محافظة ج

كرده

المتغابى

نشر الحال الى المكاشفة التى بين ابى على ومحمود باب نيسابور

الثائر المنيم الذى اذا ادركه الطالب رضى به ونام

فعادوا فأتنوا بالذى كان اهله ولو سكتوا اثنت عليه الحقايب

فصفت لذلك شريعة الحال بينهما عن قذى المواراة وتجلت عن
عمى مرض المداجحة والمداجاة الى ان عبر ناصر الدين سبكتكين النهر
الى ماوراه لمدافعة ايلك الخان عن ولاية الرضى برفق المناصحة
او خرق المكافحة ثم اقتضته صورة الحال مسامحته ببعض تلك
البلاد على ان يسلم منه سايرها ويامن عيث العيث باديها وحاضرها
وترامت اليه اثنا ذلك مكاتبة خلف بن احمد ايلك الخان يرهقا
من غربه ومغريا اياه بحربه طمعا فى بست ونواحيها وغزنة
وما يليها وانضافت اليه بلاغات وقوارص برقت له من جانبه فى
امر ابى على واظهار الندامة على ما سبق من عونه عليه والافصاح
على رؤس الاشهاد به معرضا بان اجتياح الملوك شوم واستباحة
البيوتات لوم وضعف فى الراى معلوم فطار الغضب بناصر الدين
كل مطار وجدت له نخوة الاقتدار بالبدار الى ارض سجستان لاطفا
الغليل وشفا الرا بالترحيل فثناه كاتبه ابو الفتح على بن محمد البستى
عما نواها بالقول الرفيق والراى المؤيد بالتوفيق ورش بما تلطف
على ذلك الحريق واراه ان بعض البلاغات زور وان القايل كالقايل
موزور وان قلوب الرجال وحوش نافرة وطيور فى بحار الجو سابحة
فما يستمكن منها الا باعمال الحيلة فى نصب الحبايل وتكمين الجوارح ورمى
البنادق وبث الحبوب والمطاعم ثم لا تسلم البتة من افلاتها من حبالة

الصايد القانص وايساً لها من شرك الصايد كذلك القلوب لا تصاد
الا باشراك الصنايع والعواطف ولا تنقاد الا بازمة الايادى والعوارف
ولا تستعاد الا بابتذال التوالد والطوارف ثم الكلمة الجافية تهيج
ودايعها وتطير واقعها وتكدر عليها مشارعها وتلا عليه قول الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم قرر هاله حتى نزل عن
ظهر التعجل الى ارض التمهل وانشدنى ابو الفتح رحمه الله نسخ ما
دار بينه وبين ناصر الدين لنفسه ٥٥

اذا شيت ان تصطاد حب اخى لب وتملك منه حوزة القلب والخلب
فاشرك له فى الخير الذى قد رزقته وادخله بالاحسان فى شرك الحب
الم تر طير الجو تهوى مسفة لحب كقطر من ذرى الجو منصب
كذلك لا يصطاد ذو الراى والحجى بحبات حبات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن احمد بعد ذلك متنصلا عما عزى اليه ومتبريا
بما نعم عليه فعفا ناصر الدين عما حك فى صدره من امره واغمض
له عما استراحه من تقليب قلبه وتدبير غدره وثبت باقى عمره على مداراته
وملاطفته الى ان اتاه اليقين من ربه فانتقل الى جوار رحمته
وعفوه وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة حله جبوة الزمانة
بالطهارة الشاملة فاستنشد قول القايل فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى
تجهز لاخرى مثلها فكان قد يتم اثرها فى نفسه حبر تقتبا

لمكان الفرصة في الايقاع به والاستشفاء منه الى ان حدث
بملك خراسان ما نفى الاطراف عن غرات الخلاف وسليم الآفاق
من غرات الشقاق وقد كان خلف بن احمد عند قيام السلطان
واستصفا المملكة قد بعث ابنه طاهرا الى قهستان فملكها
ثم عن منها الى فوشنج فاستولى عليها وكانت هراة وفوشنج برسم
بغراجق اخي ناصر الدين سبكتكين فلما وضع الله عن السلطان اوزار
تلك الملاحم اتاه عمه يستاذنه في طرد المتغلب عن ولايته وتل
ما جد من جد نكايته فاذن له فيه حتى شارف فوشنج تلقاه
طاهر بن خلف بمن والاه من العديد تحت الحديد فتناوشا الحرب قدا
للهام من خطوط المفارق وقطا للاجسام من خصور المناطق
واستقفا للارواح باسنة الرماح واختلاء للرؤس بسيوف كسيوف
الزوبعي ثم حمل بعضهم على بعض فذهبت المياسر بالمياسر والميامن
بالميامن وانفل طاهر من بين يديه هزيما واتبعه بغراجق يحث
منه طلبا وقد كان قبل ان شمر للحرب اصاب كوشا نام عن سورتها
طرف الحي وكدرت عليه شريعة النجا واستيقظ بها عين الطعن
والضرب يتعاون عليه نالان من كابر وبابر حتى عقل بهما عن
وثيقة التحزم وعما ذهل منهما عن بصيرة التحفظ والتحرز فغزا
بنفسه في اتباع جمعه اغترارا بجناح عسكره فلم يشعر الا ابن
خلف قد كر عليه بضربة اقعصته قتيلا وترك للوقت اليد وقطف

علاوة اخذ عليه واقتسمت الهزيمة كلا الفريقين فلم يعرف الغالب من المغلوب
والسالب من المسلوب خلا ابن خلف فانه قفى اثارهم فلم يمن بردهم
الى محله فورد الناعي الى السلطان فناله من الغم لفقد العم ما ينال الوالد
لعدم واحده والولد لافتقاد صنو والده واستدل بما اتفق لابن خلف
على احداق الشقا به وبامه واطباق البلا عليه وعلى من يليه وحدس ان
البقرة تبحث عن المدية بروقيها والنملة يقضي عليها نبات جناحيها
ولو عقل الفراش لما غشي ما غاش الى ضوء نار ولا تهافت في جمر ع
بوار وسارت العرب في اخبارها امثالا وللاعاجم في ايامها المثل
قالوا اذا اجل جاءت منيته اطاف بالبير حتى يهلك الجمال
وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثماية الى خلف بن احمد وهو محجز
بحصار اصبهبذ قلعة بينها وبين النجوم قاب قوسين بل قيد
سهمين تجوز عن مراماتها الاصابة وتجاوز دون مبانيها الاطيار
فحاصره بها ممنوعا عن فسحة الاحتيال ممنوا باشد الاضطراب
مجوعا براحة القرار ولذة الغرار حتى تحيف الروع روعه ودع
الروح بوجهه فاستشعر الخضوع والطاعة واظهر الخشوع والضراعة
وسال سوال المستكين ان ينفس من خناقه ويمهل من حبل ارهاقه
على ان يفتدي بماية الف دينار وبما يليق بها من خدمة ونثار وتحف
ومبار فاجابه السلطان الى ما استدعاه ووكل به من اقتضاه
المال حتى استوفاه وغادره كما هو في ابهاب الحصار وخناق الوثاق

وفي نفسه قصد سجستان لكنه احب ان يجعل غزوة في الهند مقدمة
لما نواه وصدقة بين يدى نجواه تبركا بما يجرى على يده من ارتفاع
راية الدين واتساع ساحة اليقين وانارة كلمة الصدق واعارة قوة
الحق فتوغل بلاد الهند متوكلا على الله الذى هداه بنوره وقضى
له بالعز في مقدوره وبالنجح في تصاريف اموره حتى انتهى الى مدينة
برشور فخيم بظاهرها وبلغه اجترا عدو الله ملك الهند جيبال على
لقايه واستعجاله الفنا بمجاورة فنايه فاستعرض الخيول من ابنا جريدته
وساير الغزاة والمطوعة في جملته واختار للجهاد خمسة عشر الف
عنان من فحول الرجال وقروم الابطال وحظر ان يختلط بهم من
رذالة الاحشاد وبهرجة الانتقاد حتى اذا خلص عددهم على الانتخاب
واختلاطهم بجنان الضراغم واسود الغاب دلف بهم الى قتال اللعين
بقلوب كالهضاب ثابتة وفروع صبر على دوح الاخلاص نابتة
واقبل الكافر الفاجر في اثنى عشر الف فارس وثلثين الف راجل
وثلثماية فيل تان الارض من وطى اطرافها وتخف عن ثقل اخفافها
حتى اناخ قبالة السلطان متطاولا بعدده مطاولا بقوة باعه
ويده ويظن كثرة الجموع تطوى كتاب الله طيا او تغنى من امر الله شيا
ولو درس الجاهل كتاب الله لقرا كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله
فادبر الكافر بمكانه جانحا الى المطاولة ومتحرزا بالمدافعة والمراوغة
انتظارا لمن وراه من اوشاب الجيوش واوباش القبايل والشعوب

فاعجله السلطان عما حكم به من تقديم المطاولة وتاخير المقاتلة وبسط
عليه ايدى اولياء الله فاوسعوهم حربا ونهبا ومثقا ورشقا وحزا
ووخزا وحتا وبحثا حتى اضطر الى الدفاع ووصل نار القراع فاصطفقت
عند ذلك الخيول وخفقت الطبول وزحفت الفيول واقبل بعضهم
على البعض يصول وترامت النبال على الحصل ترامى ولدان الاصايل
بالخشل وتلالات متون القواضب تلالو برق الغيم جنح الغياهب
وفارت ينابيع الدما كما فاضت مجادح الانوا وتكاثر اولياء الله على
جماهير المدابير يؤزونهم ازا ويحثونهم رقصا وحمزا فلم ينتصف النهار
الا وقد انتصف المسلمون من اعدا الله المشركين وحكموا السيوف في زهاء
خمسة الاف رجل فبسطوهم على العرا واطعموهم سباع الارض وطيور
الهوا وجدل على صعيد المعركة خمسة عشر فيلا معزوزات العراقيب باطراف
المشاشيب مجزوزات الخراطيم باسياف اللهاميم واحيط بعدو الله
جيبال وبنيه وحفدته ونى اخيه وذوى الصيت من رهطه وذويه
فسيقوا بحبايل القسر والاسر الى السلطان كما تساق المجرمون الى
النيران وجوه عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان فمن
مكتوف الى الظهر قهرا ومسحوب على الخد جرا ومضروب على الوريد صبرا
وحل مقلد جيبال عن نظيم مرصع بفرايد الدرر والجواهر الزهر
واليواقيت الحمر بما قوم ماتى الف دينار واصيب اضعافها في
اعناق المقتسمين من قرابته بين قتيل واسير والمطعمين شذر ضيع ونسر

اعادة 2 الى استعمال قوة الحق
بوشنور
كبيات
جمع الحلق والدرية سيا انقطع من معظم الدار
من البطول المنقح
المشق الزعة في الطعن
المجادح جمع مجدح تزعم انه كانت العرب
لقد استسقت
الخشل المقل اليابس والحنك
الهموم واللهموم وهو الجواد من الناس والخيل
جمع الخزامة وهى حلقة من شعر تجعل وتر المعدد تشد فيها الزمام
الدال الكثيف

ونفّل الله اولياه ما فات جدّ الاحصا وطاو حلب الحصر والاستقصا
واغنمهم خمس مايه الف راس من روقة العبيد والاما وآب السلطان
بمن معه من الاوليا الى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين ظافرين شاكرين
لله رب العالمين وفتح الله على السلطان من ديار الهند ارضا
تتصاك بلاد خراسان في جنبها طولا وعرضا ووافقت هذه الوقعة
الباهر اثرها السايرة في الآفاق خبرها يوم الخميس الثامن من المحرم
سنه اثنتين وتسعين وثلثمايه ولما وضعت هذه الحروب اجمالها
وحطت عن الظهور اثقالها احب ان يصرف حجبه وراه ليراه بنوه
وذووه في شعاب الغار واسباب الحصا الحيار وتستطير هيبة الاسلام
في ديار الكفار فوافقه على خمسين راسا من خفاف الامائل وارتهن
ابنا وحافدا له على الوفا بها على الكمال وعاد الكافر وراه حتى اذا استقر
مكانه كاتب ابنه اندبال وشاهيته وراء سيحون يشكو اليه
ما عراه من الفاقرة الكبرى والداهية العظمى ويساله ميو المتلحف
يحلف ان يرد عنه الضمان باعز وهان فساق اليه تلك
الفيول وصرف الرسول وسيفت جملتها الى السلطان فامر بالافراج
عن تلك الرهاين وكشع ادبارهم بحو تلك المداين وجد شاندبال
بان اباه قد لبس بردة الخزي وعض على جذم المهرم وقد طلع عليه
نسر الاسر ودبران الادبار دعوته عوا الامتحان وشالت به شولة
الخذلان فقد حان ان يلقى حينه ويتقاضى عليه الزمان دينه

ومن سنتهم المطاعة فيهم ان من حصل في ايدى الثابتة ومن المسلمين اسيرا
لم ينعقد لمن بعد رياسة ولم يستتم له زعامة وسياسة ولما راى
جيبال حصوله بين قيد المهرم وقيد المذلة آثر النار على العار والمنية
على الدنية فبدا بشعره فحلق ثم تحامل على النار حتى احترق ولما استتبت
للسلطان ما اراد وانقاد له ما اقتاد ارتاح لغزوة اخرى بطرز
بها ديباجة مقامه ويعلم بجمالها عذبات اعلامه فمال نحو بهتند فضرب
عليها بكلكل الاقتدار حتى افتتحها صغرا واعتاض منها معد العسر يسرا
وبلغه لياذ طوايف من الهنود بشعاب تلك الاعلام واستتارهم
بخمر الغياض والآجام متحدثين بالتحزب للفساد والتالب على
العناد فاغزاهم جيشا يدوخ مجالهم ويفرق قبل الوصول اوصالهم
فولغت فيهم السيوف حتى رويت من رشاش دمايهم وصليت
من مخالطة احشايهم واشلايهم وتهارب من سلم على ظباتها
كالاوعال في رؤوس تلك الجبال يرون الكواكب ظهرا والمنايا سودا
وحمرا وذاقوا وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وانقلبت رايات
السلطان الى غزنة خافقة بالنجح التابع والفتح الرابع والحول
المتين والنصر المستبين وقد اشرق وجه الاسلام وابتسم ثغر
الايمان وانشرح صدر الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة وقد كان
خلف بن احمد عند انصراف راية السلطان عن وجهه عهد الى ولده
طاهر في اعمال سجستان واسند اليه امورها ايثارا على نفسه

له

وهبة للكريمة الملك اليه قبل وقته وتثبيتا لمعنى ملكه قبل استحقاقه
اياها بارثه تعريضا للسلطان باستعفائه عن الملك واقباله على
النسك واعتياضه تواضع العبادة عن ترفع السيادة ليقطع
بخروج الامر عن يده طمعه عن قصده وجهده فلما تنفست المدة
على ما رآه نطقت شواهد الجحود فى اختياره وبدت نواجذ العقوق
من ثنى آثاره فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى اعماه عما نواه فيه
ثم تمارض فى الحصار المذكور واستدعى ابنه لقبول الوصية وتسلم
الودايع الخفية فغفل عن سر التدبير وتدبر العقاب المكير
واقبل اقبال طرفة بن العبد على خطة الضيم من ضرب الجيد
او جز الوريد وقد كان خلف بن احمد قد كمن له مقانب من
جيشه فاحاطوا به احاطة خيل الزبا بجذيمة الوضاح الى ان حصل
فى معتقله وحبس فى مكمن اجله وبقى فى السجن على حاله الى ان اخرجت
جنازته محالا عليه فى قتل نفسه والجناية على روحه ودمه
ولما سمع طاهر بن زيد صاحب جيش خلف بن احمد وساير القواد
بسجستان ما جرى فى امر طاهر دخلت فى طاعته ضمايرهم
ونغلت فى موالاته سرايرهم وانتقضت خوف الاسوة فيه مرايرهم
وضبطوا تلك المدينة على طاعة السلطان ومشايعته وارسلوا اليه
بما اوجبوه من التمسك بحبل الطاعة والتنسك بدين الجماعة وسالوا
انهاض من يتولى تسلم الناحية منهم ليبتدروا الى بابه ويتعطروا

بلثم ترابه فبعث السلطان ما سالوه وجزاهم الخير على ما فعلوه واقيمت
الدعوة للسلطان بها فى سنة ثلث وتسعين وثلثمائة ولما فتح الله رتاجها بسجستان
وسهل انفراجها عزم على قصد خلف وحسم دايه وكفاية الخاصة والعامة
عوادى نكره ودهايه وهو يومئذ فى حصار الطاق ومن صفته
انه ذو سبعة اسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان وثيقة الاركان
يحيط به خندق بعيد القعر فسيح العرض منيع المخاض لا يعبر الا
من طريق ضيق على جسر يطرح عند الحاجة اليه ويرفع وقت الاستغنا
عنه فعسكر السلطان حواليه محيطا به من جوانبه احاطة المحيط بنقطة
المركز وجعل يستفرغ بالاراء وجه الحيلة فى طم ذلك الخندق وكبسه
ليستدق على الفارس والراجل خوضه وعبوره وكانت حوالى معسكره
منابت اثل وطرفا ذوات اجتماع والتفاف فعرض على اهل
عسكره خاصتهم وعامتهم فارسهم وراجلهم عضد ما يمكنهم عضده
منها اضغاثا وحزما تملا عرض الخندق ليستتب ظهر المجال والمخترق
وبادر الناس اليه فلم تزل شمس النهار على التكبيد حتى اعرض
عرض المخاضة من جانب باب الحصار للركوب وثار اليه عند
ذلك الخيول وتبعها الفيول ومانع اصحاب خلف بن احمد من شرفات
الحصار بقذفات الاحجار واستحلت الحرب بينهم ترمى بشرر
كالقصر وتحمى على القطرات بالفرسان والعسكر فزحف الفيل العظيم
الى باب الحصار فاقتلعه بنابيه وزج به فى الهوا وانحط الى الارض

خصلتى الضبع

استدق استتب

استقام

من جالق وقتل من اصحاب خلف الجم الغفير ولجا الباقون على اطراف
الحاجز الى السور وذمر عسكر السلطان على الحصار وتماسك اصحاب
خلف فوق شرفات السور الآخر مناضلين عنها باحجار المجانيق واطراف
الحراب والمزاريق واطلع خلف بن احمد عند اشتداد الخطب على
ملتقى الفريقين فراى هول المطلع من تموج الفضا بعفاريت
الاجناد على شياطين الجياد وتطاير النبال كرجل الجراد وترامى الجراب
كمر الى السحاب وفيح الدما كسيح السما وعاين الفيل قد اهوى
الى بعض اصحابه بخرطومه فرمى به فى الهوا قاب رمحين ثم تلقاه
بنابيه واقبل على الاخرين يدوسهم بمنسميه ثم انحى على الباب على
الباب بمنكبيه فزعزعه بعضادتيه واقتلعه بصفائح الحديد
عليه فاستطار عند ذلك قلبه وجاش جاشه وارتاع روعه واضطره
هول المقام وفزع الاصطلام الى طلب الامان واستغاثة السلطان
فكف عنه يد الاحراج ووضع عنه سوط الانتقام كرما غذاه الله
بدره واطراه بنشوة خمره واقبل خلف بن احمد على بذلة الجبابرة
حتى استوذن له على السلطان فدخل واهوى الى الارض بشيبته
البيضا متعززا ببذل الخدمة وغشى البساط من نسج الجواهر والفرايد
بما كسف النهار وخطف الابصار نثارا ينوب عنه فى شكر
ما اذاقه من برد العفو والرحمة وجاه من حر بهم الروح
والمهجة فتكرم السلطان بالرفع من قدره وضم يده عند

التقريب الى صدره تناسيا لما سبق ... من هناته ومعاتبا
عما قدم من ذحوله وتراته وحكمه فى احتمال ما احب من ذخاير بلاده
وذخاير حصاده وحيزه فى المقام حيث شا من ديار مماليكه وامصاره
فاختار ارض الجوزجان استرواحا الى نسيم هوايها واستعذابا لنمير
مايها واستباقا فى مراتع الصيود حول ارجايها وامر السلطان بتسييره
اليها فى هيئة ذوى الهيبة معافا بلباس الصيانة عن عورة المهانة
فاقام بها قرابة اربع سنين فى ظل الترفيه وساعدته القناعة بما هو
فيه ثم انهى الى السلطان مراطنة بينه وبين ايلك الخان بملطفات
يسيرها اليه ورسالات اغراه بها عليه فاقتضاه الاحتياط نقله
الى جرديز اتقا عليه من صدق ما اضيف اليه واستتماما
للصنيعة لديه واحتراسا مما يلجا اليه من ابطال ذلك الافضال
وتكدير ذلك الغدير فبقى هناك على جملته الى ان حقت عليه القضية
واخترمته المنية وذلك فى رجب سنة تسع وتسعين وثلثماية وامر السلطان
بحفظ جميع ما تخلف عنه على ولده ابى حفص وتقريره فى بلده وتمكينه
من خدمته وانشدنى ابو منصور الثعالبى لنفسه فيه حين رمى امره وصفرت
من ذا الذى لا يذل الدهر صعبته ولا تلين يد الايام صعدته
اما ترى خلفا شيخ الملوك غدا مملوك من فتح العذرا بلدته
وكان بالامس ملكا لا نظير له فاليوم فى الاسر لا يعتاش اسرته
وكان خلف بن احمد معتنى بذا الجناب من اطراف البلاد لسماحة كف

الداخلين (اى دخلوا على الحصار)
الحاجز ٤ — الحاجر الحاجز وما يمسك من سقية الوادى
فى زعزعه ٤
بذلة الجايزة ٤
امن
فاخر
ابقاء
اتقا ٤
تحقيق اه
عن الملك بلده
سلطان

وغزارة سيبه وافضاله على اهل العلم وحزبه وقد مدح على السنة
الشعراء والعلماء بما هو سائر وذكره في الارض طائر وكان قد جمع العلماء
على تصنيف كتاب في تفسير كتاب الله تعالى ثم لم يغادر فيه حرفا
من اقاويل المفسرين وتاويل المتاولين ونكت المذكرين
واتبع ذلك بوجوه القراآت وعلل النحو والتصريف وعلامات
التذكير والتانيث ووشحها بما رواه عن الثقات الاثبات
من الحديث وبلغني انه انفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونته
على جمعه وتصنيفه عشرين الف دينار ونسختها بنيسابور موجودة
في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد صبر
الناسخ الا ان يتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة واخبرني ابو الفتح
البستي رحمه الله قال كنت عملت فيه ثلثة ابيات من شعر فقصدت
لتبليغها اياه لكنها سارت على السنة الرواة اليه فلم اشعر الا بصرة
منها ثلثمائة دينار اتحفني بها على يد بعض ثقاته صلة على ما قلته
وعملته والابيات هذه ٥٥ خلف بن احمد احمد الاخلاف اربى بسودده على

خلف بن احمد في الحقيقة واحد لكنه مرب على الآلاف

اضحى لآل الليث اعلام الورى مثل النبي لآل عبد مناف

فقلت له قربت من هذه الصورة حديث ابرهيم بن هلال الصابي
وذلك ان رسولا لسيف الدولة كان قدم بلدة السلام فطلب
شيئا من شعره عن لسان صاحبه فدافعه الى ان ازف ارتحاله
واتاه عند الوداع ملحا عليه في تنجيزه فاعطاه عجالة الوقت قوله
ان كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لواني حالف بغموسها لغريم دين ما اراد مزيدا
فلما عاد الرسول الى الحضرة حمل اليه صرة فيها ثلثمائة دينار باسمه
وللشيخ ابي الفتح البستي فيه ايضا يمدحه ٥٥
من كان يبغي علو الذكر والشرفا او يرتجي عطف دهر قد نبا وجفا
او كان يامل عند الله منزلة تنيله قرب الابرار والزلفا
او كان يطلب دينا يستقيم به ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا
او كان ينشد مما فاته خلفا فليخدم الملك العدل الرضي خلفا
الوارث العدل والعليا من سلف حثوا بعليائهم في وجه من سلفا
والمؤثر القصد في انحاء سودده فاز اذ اعطى آثر السرفا
اذا التوى عنق ولى حكومته سيفا اذا ما اقتضى حقا له انتصفا
والسيف ابلغ للاعناق موعظة كم من حليف جفاه حده الصلفا
وان بدا كلف في وجه مكرمة جلى بلا كلف عن وجهه الكلفا
دهاه يصرف عمن يستجير به صرف الزمان اذا ما نابه صرفا
اذا اقشعر زمان من جدوبته اغنى الورى وكفى جودا له وكفا
بسخطه يرجع الافلاك خائفة والشمس حائرة والبدر منكسفا
يرى التوقف في يوم وغى وندى وجها وان عز راي تشكل وقفا

حرف

الاسلاف

باب المحمد الجامع لاصحاب الحديث

القطيف عرض العنق

الكلف جمع الكلفة

لله نصل ضيَّع انامله اذا دخلن شحيها بعد ما نحفا
يهين امواله كي يستفيد بها عزا تورث اعقابه الشرفا
واكرم الكوم في اجواله هدف ان لم يكن ماله من دونه هدفا
لا يلحق الواصف المطري معانيه وان يكن سابقا في كل ما وصفا

وانشدني الاستاذ الجليل بديع الزمان ابو الفضل الهمذاني قصيدته التي يمدح بها خلف بن احمد واولها

سما الدجى ما هذه الحدق النجل اصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل
لك الله من عزم اجوب جيوبه كاني في اجفان عين الردى كحل

ومنها يذكر اباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن وطنه ودوهره

يذكرني قرب العراق وبعده لذلك الله لا يسليهما الا اهل
حننته الترك عني واضنته غيبتي وعيهدك به كالليث حوجوه عبل
اذا ورد الحجاج لاقي رفاقهم بعوار في دمع منها انهل والسجل
يسائلهم كيف ابنه ابن داره الام انتحى لم يعد ما ذا له شغل
اضاف به حال اطال له يدا اخر نقص اقدمه فضل
يقولون وافي حضرة الملك الذي له الكنف المامول والنائل الجزل
فقيل له طرف وحلت له حبي وخير له قصر وذل له نزل
وفاضت عليه مطرة خلفية بها للعوادي عن ولايتها عزل
يذكرهم بالله الا صدقتم لدي اجد ما تقولون ام هزل
طوبنا للضيافة الملوك وانما يمثلك من امثالهم مثلنا يسلو
ولما بلونا كم تلونا مديحكم فيا طيب ما نبلو ويا حسن ما نتلو
فدى لك من ابنا دهرك من غدا لا قوله علم ولا فعله عدل
ويا ملكا ادنى مناقبه العلى وايسر ما فيه السماحة والبذل
هو البدر الا انه البحر زاخرا سوى انه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما ترى وان نحن حدثنا به دفع العقل
فقولا لبوشام المكارم باسمه ليهنك ان لم تبق مكرمة غفل
وجارك افراد الملوك الى المدى وحقا لقد اعجزتهم ولك الخصل
بيانك من عمرو بن يعقوب محتد لذي الاصل مفخور ابعد كذي النسل

وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي بيتين ذكر انهما مكتوبان على جدار داره

من سره ان يرى الفردوس عالية فلينظرن الى ايوان كيوان
او سره ان يرى الرضوان عن كثب بلا عيانه فلينظر الى الباني

ثم وصفت سجستان للسلطان فهدات عيون الفتن وسقطت نجوم الاحن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن التعصب والتحزب وانخفضت ابصارهم دون التوثب والتغلب ورجع السلطان الى غزنة باهر الامر على الظفر والنصر قد صنع الله له فيما رامه وسدد نحو المراد سهامه وشهره بافتراع المدينة العذرا واستصفا المملكة الغرا واطلاع ذروة الرجا وادراع لامة العز والعلا وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه من قصيدة في فتح سجستان

سعدت بغرة وجهك الايام وتزينت ببقايك الاعوام

وتبرجت بك في المعالي متعبا بها الافهام والاوهام
ولقد فرشت مهاد عدلك فاغتدت شوارد الاساد والارام
واقتض سيف علاك كل مدينة يبكي عليها للاباير حيتا م
هذي ذريح استغلقت وتمنعت وكانها الا عليك حرام — زرنج اسم حصار
ففتحتها وابحتها ومنحتها نفرا هم لفنايك الخدام
وتحدثت والايام تنشد في الورى بيتا تجيد نشيده الايام
قد جا نصر الله والفتح الذي ترمي بكتبه وصفها الاقلام
باجل اجوالك واعظم ميمن واتم اقبال يليه دوام — وايمن مقدم ح

ورحم الله البديع ابا الفضل الهمذاني حيث يقول في السلطان يمين الدولة وامين الملة — الى الصبر على ويه الكاتب

تعالى الله ما شاء وزاد الله ايماني أأفريدون في التاج ام الاسكندر الثاني
ام الرجعة قد عادت الينا بسليمان اظلت شمس محمود على انجم سامان
وامسى آل بهرام عبيدا لابن خاقان اذا ما ركب الفيل لحرب او لميدان
رأت عيناك سلطانا على منكب شيطان فمن واسطة الهند الى ساحة جرجان
ومن قاصية السند الى اقصى خراسان على مقتبل العمر وفي مفتتح الشان
فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان فما يعرب بالمغرب عن طاعته اثنان — فوما عنده
لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان ايا والي بغداد ويا صاحب غمدان
تأمل مادي فيل على سبعة اركان يقلبن اساطين ويلعبن بثعبان
عليهن تجافيف تشهرن بالوان ويأجوج ومأجوج من الجند بموجان

واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجي الحاجب احد
الحشم من قواد ناصر الدين سبكتكين فحسنت في السياسة سيرته
واشتدت في الرفق بالبري والعنف على المريب بصيرته ثم ان طوايف
من نجوم الفتنة ورجوم الشر والعصبية البطرتهم رفاهة العيش
ورفاغة الامن وفسحة الجال وسعة المجال فتحدثوا بينهم بتقدم من
يعصمهم على العصيان ويؤمهم في الخروج على السلطان تعرضا للبلا
وتحككا بالشقاء واجترا على سوء القضاء فابرزوا صفحة الخلاف واخترطوا
نصل الشر من الغلاف فلما راى السلطان انتقاض سجستان على
خلفايه وامنايه بادر اليها في عشرة آلاف رجل من نخب العسكر
ومعه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين والتونتاش الحاجب
وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي زعيم العرب وحصر المردة
العتاة في حصار ارك ووكل جنود عسكره بجوانب الاسوار وافضل
بينهم مجال ذلك الحصار ونشبت الحرب بعد العصر من يوم الجمعة للنصف
من ذي الحجة سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وخاض السجزية غمرتها متوازرين
على المدافعة ومتضافرين على الممانعة والمقارعة حتى اذا اومنهم
السلاح واثخنتهم الجراح لاذوا بالانجحار والاعتصام بسور الحصار
وظهر اوليا السلطان على بعض جوانب السور في ظلمة الديجور فنادوا
بشعار الملك المنصور فانهزم الفجار وتملك عليهم الحصار وبسطت
ايدي القتل والضرب على من نفضتهم الدور ولفظتهم المساكن والستور
فمن رؤوس منبوذة واعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة ودما

على الارض مصبوبة وتمام الآخرون على وجوههم يتساقطون من كسح الادبار
في آباره ويلوذون من ضرب الاخاديع بالمخادع ويفزعون من شن
الغارات الى المغارات والطلب يقطع دابرهم ويلحق بالاول آخرهم
حتى خلت سجستان من عيث شرارهم وسلمت من بث شرارهم وفتح
الله تلك المملكة على السلطان فتحا ثانيا وملكا ثانيا لم تسمع الايام
بمثله فتحا في غلوّ الظلام واستفاضت هيبة السلطان في اهل سجستان
حتى نامت لياليهم عن دبيب العقارب وصرير الجنادب وانشد بعض اهل العصر على تقفية النص

يا ايها الملك الذي زند المعالي يقتدح ... لا زال ثغرك باسما من اجل ثغر تفتتح

وانشدني ابو منصور الثعالبي في هذا الفتح الشهير والنجح الكبير

يا خاتم الملك ويا قاهر الاملاك بين الاخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للارض متوكل على النجح
راياته تنطق بالنصر بل تكاد تتلو كتب الفتح
كم اثر في الدين اثرته يقصر عنه اثر الصبح
وكم علا للملك شيدتها تثني عليها السن المدح
فاسعد بايامك واستغرق الاعدا بين الكبح والذبح
ودم رفيعا عالي القدح ممتنع الملك على القدح

ثم جعل السلطان سجستان طعمة لاخيه صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن
ناصر الدين سبكتكين مضافة الى نيسابور وناهيك بهما ولاية في بلاد الشرق
فنصب للخلافة عليها ابا منصور نصر بن اسحق ووكل بها تدبيره

ورضي لها تقديمه وتاخيره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية
واتقان السياسة وانعام الحراسة قيام من عدّله الزمان بثقافه
وزينه الكمال باوصافه وعاد السلطان الى الالحاح على استئناف الجد في غزو
الهند على ما سنذكره من بعد في موضعه باذن الله وعونه

ذكر شمس المعالي وانتقاله الى مملكته بعون الله ونصرته بعد طول التقلب في التغرب

قد كان الامير شمس المعالي اقام بخراسان ثماني عشرة سنة مصابرا للدهر
على نوائبه وتصرف حالاته لم تغمز يد الحادثات قناته ولم تقرع صرف
النائبات صفاته ولم تنقص دوائر الايام مروته ولم تنقض على اختلاف
احوالها حبوته ولم يبق من اصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم يضرب
بسهم في نوافله ولم يرجع الى حظ من عطاياه وفواضله ولم يخدمه احد
من ذوي الحشمة بسلام الا حظي منه بانعام واحسان واجنبه
الوان وافراس مطهمة جياد فعلى الاكتاف خلعه ولباسه وتحت
الافخاذ مراكبه وافراسه وحشو البيوت بدره واكياسه وقد كان
آل سامان يهمون برده الى مملكته حيازة لقصب السبق في ادالته على خصمه
واعادة ملكه الى يده فيقطعهم نوائب الخطوب من كل وجه عليهم عن
اصابة اغراضهم في امره والهمته بصيرة التجارب مداراة المحنة
حتى ينتهي زمانها وينقضي على الاقبال بحرانها اذ كان الاضطراب
في المحن كالاضطراب في حبل الخناق لا يزداد صاحبه على نفسه
حركة الا ازداد اختناقا وهلكة ومما يضاف الى شعره قوله في ابان محنته

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر تعلو فوقه جيف ويستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت ايدي الزمان بنا ومسّنا من توالي بؤسه الضرر
ففي السما نجوم غير ذي عدد وليس يكسف الا الشمس والقمر
ولما وطي ناصر الدين سبكتكين عراص خراسان كا قدره الظفر بابي علي
بن سيمجور على كورها ابتهاج للطاعة وما سحة على نصرته واعلائه ثم
اتفق له من الانقلاب الى بلخ ما حال بينه وبين مراده فتغر مدة على
جملته الى ان انقرض امر ابي علي وخوي نجم الشغل به وانحدر الى
طوس في طلب اخيه ابي القسم السيمجوري تجدد عند ذلك شمس المعالي
عهده ولاطف كل منهما صاحبه بما لا يفي به بيان ولا يتسع له حسبان
ولا حسبان وجرى ذكر فخر الدولة صاحب الري واستظهاره ببدر بن
حسنويه صاحب الاكراد ذا الفوارس الانجاد فاراد ناصر الدين
سبكتكين ان يستظهر عليهم بكماة المشرق ورماة الحدق من
كتايب الاتراك الخانية فارسل حاجبه الكبير التونتاش الى ايلك الخان
يتنجز حكم الحال التي تصادقا عليها بما ورآ النهر من الاتحاد في الوداد
والاشتراك في الاملاك بامداده بعشرة آلاف رجل من نخب رجاله
وشهب ابطاله وصرف شمس المعالي وراه على ميعاد معاودته وخرج
ناصر الدين الى بلخ مستعد اللامر ومنتظر الوصول العدد الدثر
فاستاثر الله به قبل ان عاد الرسول وتحيّن المسايل فخبط عليه

ما صنع وصوح دونه نبت ما زرع وتوسط وجوه الناس بين السلطان
يمين الدولة وامين الملة وبين شمس المعالي في اسعاده ورده الى
معاده على مال يقضي به حق عنايته ويضاهي حسن بلائه في تحقيق
رجائه وتمحيق مكايد اعدائه فلم يظهر الوفا به لغاية شهرين من قراره
بجرجان اذ كان يحيل بكل ما يلتزمه على ما يدرّ له من اجلابها
وتحصل من احلافها وانه يتحاشى بديا انتقال الملك اليه خبط
رعيته بالحيف والعسف والالحا عليهم بمبرد الحرق والنسف
فاعجل السلطان يمين الدولة وامين الملة ما اهمه من ارث ابيه
وشغل الخاطر بناحيته عن تقديم اظهاره وتعجيل رده الى داره
فاستمهله ريثما يكفي ما امامه وينفض الشغل بازاءه وسار
الى غزنة حتى يسر الله له افتتاحها وداوى على يده جراحها وكان
ابو القسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر الدولة لسبيله انحاز الى
جرجان متغلبا عليها وكاتب شمس المعالي قابوس بن وشمكير في
الاستبداد اليها ليقوم بتسليمها اليه وتقريرها في يديه فسار على سمت
الدو غد حتى وافى جرجان وابو القسم باسترآباذ وقد جمع من الترك
ابو العباس فيروزان بن الحسن في جماهير من قواد الديلم والاكراد
وقد كان اطمع ابو القسم من بخارا في ولاية قهستان وهراة
وامر بمعاودة خراسان للاعتضاد به والاستظهار بعدته
وعدده فجرد عزمه للانصراف وضرب تلك المواعيد بالاخلاف

عن جانبه بما يحمله من المذخور بخراسان من حشمه لنصرته واستقبل منه
على ما يحب تقديمه وسار نحو اسفراين وانقلب شمس المعالي قابوس بن
وشمكير الى نيسابور على جرة الذيل استيناء بالوقت الى مقتطف الحاصل
الرجاء ومنخرف الامل وتربصا بما تحوته رحم الليالي من جنين المقدور
في ادالة الميسور على المعسور ولما دارت امور آل سامان محلولة النظام
منحلة العراقى والاوذام لا تزداد على الرقع الا خرقا وعلى الرتق الا فتقا
محض الراي فيما يقيم له ما يلابسه ويحوش عليه ابد ملكه فكانت زبدة
محضه ان سرب الاصبهبذ شهريار بن شروين الى جبل شهريار
لاستصفايه فسار نحوه تحت لوايه وعلى الجبل يومئذ رستم بن المرزبان
خال الامير ابي طالب رستم بن فخر الدولة صاحب الري فتشاهدا
للقتال على رسمهم في الاحتراس بالتراس وادراع لباس البأس وشد عليهم
الاصبهبذ شدة شردتهم بين المهامه والدكادك واقحمتهم لهوات
لهوات المعاطب والمهالك واصاب منهم غنيمة جسيمة بعد
ان قتل منهم مقتلة عظيمة واقام الخطبة بالجبل على شمس المعالي
قابوس بن وشمكير وكان باي بن سعيد احد اعيان الجيل وشجعانهم
مقيما عند الاصبهبذ بارتية في طوايف من اضرابه مشايعا لهم في
ظاهر الامر وناظرا الى موالاة قابوس بن وشمكير من نقاب السر واتفق
ان نصر بن الحسن بن فيروزان لفظته الاضاقة بناحية الديلم الى
حدود الاستنداريه فطمع في مغالبتهم عليها ومزاحمتهم فيها فقذف نفسه
من حجرات ابنايها بمن طرده عنها وقبض على خاله ابي الفضل
اصبهبذ كلاذ فبعث الى ان دفع وما يل بعد ذلك باي بن
سعيد نصرا فتساعدا على قصد آمل وبها ابو العباس الحاجب في زها الفين
من عسكر الري فاجلياه عنها هزيما تقفوه الصفاح وهشيما تذروه
الرياح وطير باي بن سعيد عند ذلك كتبه الى شمس المعالي بذكر
الفتح الذي اتيح له على شعار موالاته واستشعار طاعته وما لاته
وانتضح باستطلاع راياته ففصل عن نيسابور سايرا نحو جرجان
وتحيز باي بن سعيد عن مضامته الى استراباذ مجاهرا باستعتاب
صاحبه وتجمع اليه من ابنا الجيل من يسلك شعب هواه ويستلم
ركن طاعته ورضاه وكتب شمس المعالي الى الاصبهبذ بالانضمام
الى باي بن سعيد وجمع اليد الى يده فيما قدم واخر والشد على عضده
فيما اورد واصدر ففعل ما امر وساعد ابو العباس فيروزان بن الحسن
بشبابها وهو مقيم بجرجان فمهد لكفاية امرهما واخماد ما التهب من
جمرهما فواقعاه بباب استراباذ وقعة انشت فيها حدود القواطع
من حديد المدارع ومزارق الزانات من مفارق الهامات وكادت
الهزيمة تستمر باصحاب باي لولا انقلاب الاكراد والعرب في عسكر
الديلم عليهم ببيض الظبى وزرق العوالي منادين بشعار شمس
المعالي فانهزم ابو العباس فيروزان بن الحسن فيمن معه وركب
لطلب اكتافهم فاسر هو وزها عشرين نفرا من وجوه القواد

الحاصل

بمعنى

مجد الدولة

بابي

على

المراد بالاضاقة ضيق الطلب ذهاب المال

كلاذ حتى

مساعدا

اظهاره

كان هم

في جملته وابرى نفيثة الفل نحو جرجان وقد تقدم اليها قابوس بن وشمكير سيالار
بن خركاش احد اقاربه فوافى انهزامهم اليها الطلالة عليها وتسامع
الفل به فقطعوا اذنه وجويلا وضلوا فلا يستطيعون سبيلا واضطروا
الى استيناف الهزيمة مرنجا على قرح وملجا فوق جرح وخوطب
شمس المعالي قابوس بن وشمكير بخبر الفتح وما هيأه الله له من
عظيم النجح فسار الى جرجان وقد شرح الله صدره وجلا عن الكسوف بدره
ونسخ باليسر عسيره وزاد على القدر قدره ودخلها في شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائه
ولبعض كتاب اهل العصر فيه عند زفاف الملك اليه قصيدة اولها ٥٥

المجد ما لم يعنه الجد عنقاء مغرب ... وللجد ما لم يرتد الصبر خوابر
وللكرهم اذا الايام ذلن به عن المنى بثبات النفس اعذار
كم فاضل وجنون المجون له حيفا على جنبك اللاوا جرار
وكم جريح قريح القلب ذي غير وكم قتيل وما للسيف اثار
وكم فتى بلا جرم وخاينة وكم غني وللايام ادوار
سير تبرح ودوب غير منتصر من نصب العيون ودون الغيب استار
من كان يخبر حال الدهر دايرة لم ينبه عن عيان الحال اخبار
فانما حاصل الايام مختبرا جدرا اصم عن التحقيق نزار
تنجى الزمان على من لا اصطبار له وانما الذي في الصبر صبار
فاصبر هديت فان الصبر منجحة ومن وراء ظلام الليل اسفار
والدهر ذو غير احواله نوب عسر ويسر واحلاء وامرار
والبدر يلحقه التمحيق منتقصا وبعده بصبا التم نوار
والنار في خلل الحيدان كامنة وسقطها باقتداح الزند سيار
والحب يطبع كالصمصام ثم له من صيقل الدهر جلاء وشهار
هذا كشمس المعالي في سيادته له مع الفلك الدوار اخبار
اعطاه من غرر الامال ما قصرت عن نيل امثالها في الدهر اعمار
ملكا وعزا وعيشا رافغا وعلا ودولة ضمنها نصر واظفار
لما كساه دروع العز ضافية ولم يجد منه غير الشكر مختار
لذاك نشر عليه كي تجربه بالصبر والصبر للاحرار مسبار
حتى اذا ما قضى من سبره وطرا وللامور نهايات واطوار
امسى يعاوده ما اضيع من خفر وخده بدم التشوير مورار
فالان خادمه والعز صاحبه والراي رايته والخلق انصار
فربت نضى حيوة العالمين به كانه الشمس والاعياد اعمار
باح الكرام الى وكاب نايله كانه الليل والاحرار اطيار
له المعالي سما والندى شهب والمجد سارية والجود امطار
علاه كالليل والمصباح همته ونعله الجود والامال سمار
نراه تنهزم الاموال عن يده مثل انهزام العدى عنه اذا ثاروا
ويحذره الدهر فناص لهمته فالجود بانله والصيد احرار
حياه بوقاح السيف ممتزج وعدله في حزون الباس سيار
نذكر نداه الى الفردوس منقلب ووقع سطوته في جبره النار

فرجا حالا عن الاستيناف
والعامل اضطروا تقديره مشبهها بفرج
يريد بالعض نفسه
اي ولكريم اعذار بثبات النفس في المكاره
جانية
اي جنايته
اي اسير
وذا لكال المستكن في تقديره حاصل
مختبرا حال عن جدر
زفار زاد الزيادة الحاصل
جمع نوبة
منتصفا
اي يصدا
اي لا احيان في المشرق والمغرب وما تدور عليه الفلك
اعطاه لما كساه
حال عن الشكر اي مختارا شمس المعالي تقديره مختارا او عن الضمير المستكن فيه
خاص فالدهر
الساريه واحدة السواري وهي السحاب
نذكر يديه
عطاه

يوم الهياج صفاح البيض ظللته والجو من لهب الطعنات صهبا ر
يغامس الحرب والأرواح راقية الى التراقي وطرف الموت نظار
كرش من دفع الاعناق قسطلها اذ نقعها بحوامي الخيل ثوار
تبادرت انجم الافلاك سطوته اذا الزماح من الارواح تمتار
فمن في ذمة الاصوا آنسة وهن من ظلمة الظلما نقار
للمشتري بينها في الحضر منطقة يبغي رضاه وللمريخ زنار
كفته روعته امرا بمصلحة فما يدور على المحظور دوار
وقد افاض على الطلما هيبته فما يضر حذار الناس ضرار
ان السلامة ان لو البهمت نطقت يا رب انك من سيفه جار
يا ايها الملك الميمون طايره ومن نداه بفيض اليم زخار
ان الزمان عروس ما لها ابدا بسوى خصالك مشاط وعطار
البخل عندك في وجه الندى كلف نعم وفي غرة الاقبال ادبار
ترمي العدى من بنات الكيد صائبة وان رموا خانت المرمى اوتار
كان ما قد رموا من لعن طالمة وما رميت به وحي واقدار
تحمى وتلتهب الاوتار دامية كانما احمت الاوتار اوتار
اذا في نعم تفضي الى نعم ما طاف حول فنا البيت عمار
مستغنيا بسرور غير منقرض حتى تفوق نجود الارض اغوار
ولابي بكر محمد بن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي فيه من
قصيدة مدحه بها وقت مقامه بنيسابور ٥٥

قامت تودعني بالادمع السجم والصمت بين بلهم منها وبين فم
البين اخرسها والبين انطقها وهذه حالة في الناس كلهم
قد طالما انهزمت عنا الشيوف فلا تجار بينا بجيش الورد والعنم
وقد خلعت لجام الاتباع فلا تلقى سوالفنا في ذمة الحكم
لم يبق في الارض شي اهاب له فهل اهاب انكسار الجفن ذي السقم
استغفر الله من قولي بل اهاب شمس المعالي امة الامم
كان لحظك من سيف الامير ومن جسم الفضا ومن عزمي ومن كلمي
قال الامير لاخلاق الكرام فتى بحيث كنت بما زالت على نعم
وقال للعلم والآداب لا تردا الا على فما فاها بلا ولم
القايل القول لو فاه الزمان به صارت لياليه اياما بلا ظلم
والفاعل الفعلة الغرا لو مزجت بالنار لم يك للنيران من حمم
لا تجعلن بمضروب المال من يده فقد تجف ضروع العارض السجم
قد يجرز البحر بعد المد منغرقة وينزل الجدب وكر الاجدل القطم
فلا يغرنك ان الدهر جاربه قد يغدر السيف يوم الروع بالبهم
الآن اذ عذت بجمشه وقابلته صباحا اوجه النعم
ترنو اليه فتخفي شخص منقبض لها حشه وتغضي طرف محتشم
اذا دعت نحوه ساقا نهت قدما والحر يذهب بين الساق والقدم
جبرى تقربها حال وتبعدها كذاك يكون رجوع الابق السدم
وله من قصيدة اخرى يقول في تشبيهها ٥٥
فه

شموس لهن الخدر والبيت مغرب فطالعها للبين والهجر غارب
ولكنها شمس المعالي خلافها مشارقه ليست لهن مغارب
وما القبو الشمس الا وقد ازوروا فانك شمس والملوك كواكب
اقول لزوار الامير ترجلوا فمن زاره من راجل فهو راكب
وان زاره الفرسان كنت كفيلهم بان ترجعوا الخيل فهم جنايب
الا ابلغا عني الامير رسالة على انى على الدهر عاتب
الى كم يحمل المرء مثلك بلدة بها منبر فيه لغيرك خاطب
عليك بهذا السيف فاقض ديونه فللسيف دين عند كفك واجب
ولا تقعدن تغضي الجفون على القذى وفي الارض مركوب ورمح وصاحب
غريمك هذا الدهر فالزمه بحزم فلن توقظ الغرام الا المطالب
وانت ابن عم السيف بل انت عمه وكيف تخاف الاقربين الاقارب
اليس ابوكم وشمكير وجده زيار ومرداويج عمه منها سبب
تحركك بنا اما لواء ومنبر واما حسام كالعقيقة قاضب
وللقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه من قصيدة اولها
امبرك خيال الهاجر المتجنب ومجرى دموع الزاير المتطرب
سالتك بالدهر الذي صرت بعده تذكى بناظري من بعد ما كانت
اعني على عين اذا ما وعدتها بقربك قالت للدموع تاهبي
ولما تداعت للغروب شموسهم وقمنا لتوديع الحبيب المغرب
تلقين اطراف السجوف بمشرق لهن واطراف الخدور بمغرب
فما يبرز الا بين دمع مضيع ولا قمن الا فوق قلب معذب
كان فوادي فرن قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتاشب
تمام براه المالك ابرع حادث الى حتفه والقرن اخوف مغطب
يفض العدى اطراقة قبل عزمه ويطرقهم رعبا ولم يتاهب
وزرق على سمر تظل اذا هوت تلاحظ اعقاب الشهاب المذنب
ترفعن عن طيش الرماح وزلة السهام وتقصير الحسام المجرب
يخزن ظباب السيف ثم وصلنها اليهن من سمر الرماح بالكعب
فلن مناك السهم من مستبعد وعن مقام السيف من متقرب
فتى ما تلاقت همتان بصدره ولا يشهد الخلى برأى مشعب
له الهمة العليا والمنصب الذي تبتعد الجوز الجاظ متعب
اذا بعض اطراف الرجال تقاصرت عن المجد الفوه كريم التقلب
يناجيهم من وشمكير بمنكب ومن سلف الاصبهبذين بمنكب
ويذهب من مجد وعز ومفخر باثار مرداويج في كل مذهب
وما خلصت للمرء مسعاة والد اذا لم يقابله بخالص مهذب
كلا طرفيه يرجع الطرف خاسيا اذا ما سما عن كل خرق مجرب
يحوز معالي اردشير بخاله ويعلو الرتبي عن شاو سابان بالاب
ولما انتهت الزيمة بالقوم الى الكرى على حملة الاكتساب ودلة الاقتياد
وسبة القتل والابعاد قطع عليهم سياط العزل والتعنيف
وملئت عيونهم من نفثات التعيير والتشوير وقد كان

ابو علي الحسن بن احمد بن حمولة على الوزارة فاختار عشرة آلاف رجل
من بهم الديلم وفتاك الاتراك ونجب العرب وافراد الاكراد وشباب
بهم في منوچهر بن قابوس وبيستون بن تيجاسب وكيشان بن فيروزان
وبشاموج بن اخت عظيم الديلم وموسى الحاجب وشابور بن كردوية
وابو العباس بن جاني وعبد الملك بن ماكان وهولاء دونات الجيل
والديلم حتى اظل اجل شهرياد وبلغ شمس المعالي اقباله فاستضم
اطرافه واستجمر شهرياد استعداد الموافقة وتنجز الوعد الله
في نصرته وتثبيت وطاته واستتمام ما اعاده اليه من نعمته وجاذب
ابو علي بن حمولة ثمالاه نصر بن الحسن بن فيروزان شمس المعالي قابوس
بن وشمكير وانقطاعه الى جانبه فواصله بكتبه نافثا في عقده
فاتلا في ذروته نافخا بسحره في سحره وملقيا اليه ان القرابة الوشيجة
بين ابي طالب فخر الدولة وبينه لو صادفت منه حكمها في الاشفاق
على دولته والانتداب لنصرته لكان احق الناس بسياسة اجناده
وزعامة ممالكه وبلاده وانه الآن متى سلك طريق الخدمة وجانب
جانب التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يعدم مما يهواه من ترتيب
وترجيب وتنويل وتخويل وتفخيم وتقديم واذن له في الانتقال الى
قومس الى ان يدبر امره بمقتضاه فارتاح نصر لما شامه من
تلك العقيقه ووثق به على الحقيقة وسار نحو سادية ثم قرض الجادة
ذات اليسار وترك ذات اليمين متمايلا طالبا الآذار حتى
اذا حاذى رقعة قومس اذاع في اصحابه رايه في طاعة ابي طالب
وانه ما عاش رهين خدمته ونصير دعوته فاختلفت عليه كلمتهم حين
افصح بتدبيره وباح بسر ضميره فمن فريق رجع الى الاسبهبد ارتيه وفريق
الى جرجان يطلب الامان ورحل نصر في الباقين حتى اناخ
بقومس وسال ابا علي بن حمولة تمكينه من بعض القلاع ليحصن فيه
عياله واثقاله فمكنه من حصار جومند فاستوطنه واودعه
ماله ومن معه ولما امن ابو علي شره وعادته توجه نحو سادية
على قصد جرجان فلما اطاف به ابرى منوچهر بن شمس المعالي
قابوس بن وشمكير الى ابيه عائذا بالله من عقوقه وكفران
ما فرض الله عليه من حقوقه فارتاب ابو علي بيستون بن تيجاسب
لاشتراكهما في نسبة الجيل وارومة ذلك القبيل واشفق من صغوه
اليه في خدمة شمس المعالي وحمله اياه على معاودة سدته
واهتبال الغرة في مراجعة جملته فاخذ بالحيطة في اعتقاله
ورده الى الري في وثاقه وامتد الى ظاهر جرجان مما يلي قبر الداعي
فعسكر به وتواصى اهل الحفاظ والحمية والانفة الابية من انصار
اصحاب شمس المعالي بالتأيد في التجالد والتبايع في التقاتل
والتماسك عند التعارك وشدوا احيازيمهم للقراع وقرعوا
ظنابيبهم للمصاع وناصبوهم الحرب طرفي الصباح والرواح
لا يسامون وقع الصفاح ولا يالمون لذع الجراح حتى عبر شهران



كيوم واحد في مغامسة الكريهة بين تكلف وبديهة ومنى عسكر جرجان
ضيقة لانقطاع الميرة والمواد عنهم فاستعصموا بالنفوس الشريفة
وتغذوا تلك الايام بالطلع الخفيفة موثرين شرف المقام على شبع
الطعام وبرد الهجاجة على سد الجاعة واصاب الاخرين مثل
تلك الضيقة فانتقلوا من الفضاء بعض التداعي الى جانب جمراباذ
التماسا للعلوفات من جهة جناشك فتداركت عليهم الامطار
حتى اعوزتهم الاستيار وماجت عليهم الارض بالطوفان فتساقطت
الخيام وساخت القوايم والاقدام وعندها برز انصار شمس المعالي
قابوس بن وشمكير واهل الجنايق من وراء الخنادق وانجوا بار
الوغى كضراوة القشاعم ودواهية الاراقم وثبت بعضهم للبعض جلادا
من مطلع الفلق الى مسقط الشفق محكمين متون الصوارم في
شئون الجماجم وذوابل الصعاد في مناهل الاكباد وزرق الذابات
في سود المهجات حتى اذا ذلك قدم العصر اتى امر الله بالنصر فحمل
الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب ثار ولا نافخ نار وابر
من عظمايهم اسفهسلار بن كوبكليج وزربيقول وجستان بن اشكلى
واخوه وجيد بن سالار ومحمدان وهشوذان واشتملت المعركة على الف
وثلثماية رجل ممن اضجعتهم الحتوف وبطحتهم على الارض السيوف
وافا الله على الجيل غنايم لا يستوعبها بيان ولا تستغربها بنان
ثم راى شمس المعالي ان يوعز بمداواة الجرحى والفكاك عن الاسرى
وصرفهم وبرهم بالخلع والكرامات الاجنبية والصلات شكرا
لنعمة الله فيما اولاه واكبارا لقدر منته في تحقيق ما رجاه وانشدني
ابو منصور الثعالبي ابياتا له في ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله تعالى في سلك
ايامه والحق الذي اقره منه في نصابه وهي

الفتح منتظم والدهر مبتسم وملك شمس المعالي كله نعم
والعدل منبسط والحق مبتهج والشعب ملتئم والجور مصطلم
القت مقاليدها الدنيا الى ملك ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالي وغيث المترفين ومن به يليق العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو البدر التمام هو الصمصام والقلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه قهرا ويرجو نداءه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره كأن علياه من دنياه تنتظم
والماء من جوده المأمول منسكب والنار من بأسه المرهوب مضطرم
والارض من صدره والريح من يده والروض من خلقه للخلق يبتسم
الله جارك يا من جار حضرته يلقى السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا وعاشر الفتح منشورا له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به امسى واصبح بالرحمن يعتصم
ابل الجديدين والعمر الجديد ودم للملك تخدمك التوفيق والقسم

وانشدني الفاضل ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي في ذلك
لتعصين شمس المعالي قابوسا فمن عصى قابوس لاقى بوسا

نعم ولما بلغ ابو علي بن حمولة تومهن منهزمة عن تلك المعركة ارسل الى نصر بن الحسن
بن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به ليتعاضدا على لمّ شعث الهزيمة
وسدّ ما جاش من مجر تلك الكشفة القبيحة ثم اعجلته المطالب
عن التلوّم والتوقف فاوجف نحو الري واتاه نصر فلم يلحقه فاستوطن
بسمنان وتابع كتبه الى ابي طالب مجد الدولة رستم بن علي فخر الدولة
مستمدّا وشمر لتلافي الخلل مجدا فتراخت المدة على استيناف امداده
واقتبال معونته وانجاده ثم امدّ بابن بكتكين الحاجب في زهاء سبعمائة من
شجعان الغلمان فقوي بهم وتكثر بمكانهم ورماه شمس المعالي
بباتي بن سعيد في رجال من الجيل وكتب الى الاصبهبذ شهريار بن شروين
لمعونتهم وازاحة علته فصمد صمد نصر مرخيا عنان التهغط ومغمضا
جفون التيقظ وقد كان نصر سدّ الطرق على ابنا بها ستر الخبرة
وسحبا لذيل الكتمان على اثره فاتفقت ان افة باتي عليه على حين تقطع
من رجاله وتفرق من اكثر اصحابه فتناوشا الحرب ساعة
ونصر مستعد وامره في القراع جد ثم اضطر باتي الى الانقلاب
على ادراج الخيبة وفشت الهزيمة فيمن تلاحق به وتراخى عنه من ذنابي
عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر ما اعتدّ به نصر في مساعيه
عند ابي طالب فغسل به وجه حاله وجلا عليه صفحة اقباله
وانهض عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة ابي طالب
في ثلثة آلاف رجل مددا لنصر وعقدت له الاصبهبذية على
جبل شهريار فتلقاه نصر الى دنباوند وساعده على صعوده وامتلاك
حدوده ولجأ الاصبهبذ شهريار الى سارية وبها منوجهر بن شمس المعالي
معتصما بعقوته ومعتصما بعروته فاصاب اهل قزوين غلاء عم بلاؤه
وشمل الكافة داؤه وسببه بسط الايدي بالغارات وانتهاب
ما اوعند الرعايا للارماق من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف
عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل فلم ينشب الاصبهبذ
عند انقلابه ان ركض على رستم فاجلاه عنها الى حد الري منكوبا
منكوبا ومخذولا مفلولا فصفت له ناحيته وانحسمت عنه شذاة نصر
وعاديته وقد كان ابو نصر بن محمود الحاجب قد الجاه بعض المحن التي
دهته الى خدمة شمس المعالي فمهّد له كنفه وحكم في اصطناعه
شرفه ووالى الصنايع والرغايب اليه وملأ من الاموال يديه
وسهل ركوب المطالب عليه ثم رماه في وجه نصر بن الحسن لمزاح العلة
بعدد الكفاية من ذوي البسالة والنكاية فخف اليه بحاشيته
ووجه على الجادات صليب واحرق عليه الارض حربا بكرا على يده
وعوانا على ايدي اعوانه ومدده ثم حمل على جموعه حملة شرّدتهم
كل مشرّد وطردتهم بين اعين البيد كل مطّرد وعلق في حبالة الاسر
جستان بن الداعي وابن هندو وغيرهما من اعيان القواد واصطف
على جدالة الحرب من القتلى ما شبعت به الضباع بل سمنت عليه
الوحوش الجياع فانهزم نصر من بين يديه الى سمنان وكان نصر

على جلالة بيته وفخامة عشيرته ورهطه مغرما بالظلم مغرى بالحيف
والمغشم ووافقت ولايته مدرجة الحجيج وزوار بيت الله العظيم
وزمزم والحطيم فشملهم عنته في كل سنة من المطالبات المختلفة
والمعاملات المجحفة حتى انتشرت عنه سوء احدوثته وحبط عليه جمال
تلك الجملة الموروثة ولعل عتاب الزمان له صدى ضجيج الحجيج عنه
بالاستغاثة في حالتي الوقوف والافاضة ووافاه نصر الري بكتبه
في الاستنفاد والاستنهاض من صرعة العثار فمدله في طول التطويل
بانواع التعليل التاجيل مواعيد كما اخلفت سراب المهمه القفر
فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب
وشمس المعالي قد تصالحا على احتيال تحصيله والظفر به فساقطا
وضاق بالامر ذرعا ونمي اليه ايضا ان بعض قواد السلطان يمين
الدولة وامين الملة وكان يعرف بارسلان هندوبچه والى قهستان
قد اوقع بابي القسم السيمجوري واجلاه عنها الى الجنابذ فاعتز
المسير اليه على مظاهرته والتحصن بمرافقته ومضافرته وجعل
يحطب في حبله ويفتل في ذروته بحيله وختله ويزين له قصد الري
معه لاستلاكها على ابي طالب ايهاما لتغلل النيات في طاعته
ودخل الاهواء في مشايعته فاغتر ابو القسم بتغريره وانجر في
جريرة وسار الى حوار الري فتلقاه من رعاع الكتائب من غص
بهم لهوات تلك المخارم والمسارب ولما راى ابو القسم ان الامر

جد والطريق منسد خنس وراءه ناكصا على البنان ومنخزلا لعارض الحرمان
وبلغ شمس المعالي قابوس بن وشمكير انصرافه مع نصر عن وجه الري فقذفهما
بعصابات الاكراد من كل جانب ودحرهم عن حدود مملكته على
عذاب واصب ولما رايا ان الارض تلفظهم يمينا وشمالا وتنفيهم
جنوبا وشمالا توامرا قصد السلطان يمين الدولة وامين الملة مستامنين
اليه ومستعديين على الزمان بالمثول بين يديه فيما الحضرة وتوشحا
بجمال خدمته فاما ابو القسم فهرب على ما سبق ذكره الى ان اودعه
الحبس ابره واما نصر فاقام على الخدمة مدة الى ان امر السلطان
باقطاعه بيار وجرمنقطعة له فنهض اليها وابت عليه همته القناعة
بها فلم يزل يضطرب في حبالة الى ان خرج من الري وحمل
منها الى قلعة استوناوند فجعلت عليه حصيرا وساء ذلك مصيرا
ووكل بعد ذلك شمس المعالي بحوالي القلاع فيما بين جرجان واستراباذ وما
من احاط بهم احاطة الخلخال بخدمة البعير حتى افتتحها غيلة
ومكيدة ومراعاة لحقوق الاجلام ستسلام والتسليم وكيدة
فصفت له تلك الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها
بما اعجز من بدا لاحقاب فيها واتفق بعد ذلك اخلاد الاصبهبذ
بجبل شهريار الى جانب المجانبة في طاعة شمس المعالي قابوس وادعاءه
الامر لنفسه اعتزازا بما اجتمع له من الوفر والتف عليه من العدد
الدثر والعسكر المجر فرمى من جانب الري بابي علي رستم

بن المرزبان خال ابى طالب فى صناديد الديلم وفيهم بيستون بن تجاسب المقبوض عليه من قبل التظنى بموالاة صاحبه قابوس فنصب له الحرب قراعا ومصاعا وثقافا وكانت عاقبة امره ان كسر وابير وفاذى ابو على رستم بمكانه بشعار شمس المعالى لوحشة كان استشعرها من اهل الرى واقام الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر طاعته وشرح ما فتح الله له على يده وهاجر ابو حرب بيستون بن تجاسب الى ارضه المقدسة من فنا صاحبه وولى نعمته فانشرح صدره وقرت بالاياب عينه وطاب بالاحباب والايناس عيشه لولم يعجله عن الحيوة حينه وانضافت مملكة الجبل بأسرها الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالى منوجهر ابنه من لو عاش الى زمانه لم يرى عليه جوارى مفاخره ورجع اليه خلى آثاره ومآثره وانفتحت عليه بعدها الروبان وشالوس وما وراها من حدود الاستنداريه فصارت ولاية تشرق بنور العدل والاحسان وتبتسم عن ثغور الامن والامان وواصل شمس المعالى السلطان يمين الدولة وامين الملة بكتبه ورسله فى عقد وثيقة يتحصن بها من صروف النوايب ويستظهر بها على وجوه المطالب وقدم بين يدى نجواه من انواع المقرب والمبار ما خرج عن الحد والمقدار حتى تأكدت العصمة وتأدبت العقدة واستحكمت الالفة واستحكمت الثقة وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل البحر وديار الديلم والجبل بحكم الحال المتسجة كأحدى ممالكه التى يحتكم عليها آمرا وناهيا

وينبسط فيها حاضرا وباديا ولله شمس المعالى فى همة لدين المجرة مجراها وفى بحار الكرم مجريها ومرسيها فلم يسمع فى شيوخ الملوك باشرف منه قيمة واو [illegible] دمه واكرم شيمة واصدق بارقة مشيمة واوفر عقلا وتحصيلا واظهر جملة وتفصيلا واغذى للنفس بعفاف الحكمة واجزى للبدن بكفاف الطعمة قد فطم النفس عن رضاع الملاهى فلا يعرف اللهو ما هو ولا البطالة ما هى علما منه بأن الملك واللهو ضدان وان ليس للبقاء بهما يدان ولقد احسن ابو الفتح البستى الكاتب هذا الباب

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس فى الميزان هابطة لما غدا برج نجم اللهو والطرب

نعم ولا اجرى على انصاف الرعية واخذ باطراف العدل فى القضية وابرع فى الآداب والحكم واجمع بين ذبابة السيف وذلاقة القلم ورسايله موجودة فى البلاد عند الافراد لكنى اكتفى منها بلمعة من بوارق بيانه وزهرة من حدايق احسانه اذ كان فى تصفحها ما يغنى عن الكثر فى هذا المكان بها فمنها رسالة انشاها فى الترجيح بين صحابة النبى عليه ورضى عنهم يعقب رسايله القديمة وهى بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان اصعب الامور واشرفها بين الجمهور هو الخروج بالنبوة والاستعلا على الخلق بهذه الدعوة لانه تقليب الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق فى قلادة غير معهودة ومخاطبة الخلق عن الخالق الذى لا يدركه ابصار الخلايق

وقد اعتلى نبينا عليه ذروة هذا الشرف وجاد لمن سلف
من الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين خير الخلف وفاز بمزية هذا الذكر
العظيم واذاق العرب لذة النعم ونقلهم الى الثروة والغنى
من الفقر والفاقة واباحهم من رعي الجمال والناقة ولبس وراه لابتغا
العلى امد ولما فوق السما للسمو مصعد ثم ضبط الامر بعده عيه
على نظامه واقامته في قوامه وهذا ما تولاه ابو بكر رض حين ودع
عمره من غير ان سلم الى احد امره فانه قام به قيام ثابت القلب
مستقل بمقاومة الخطب غير مفكر في راد ولا مبال بمعاداة
معاد حتى جرم الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض بان يلم ببيضة
الشريعة ثلم ولا ان يتغير من احكامها حكم فلقب خليفة رسول الله
لاتبدابه بحياطة دين الله ثم تحصين حوزة الاسلام من عوارض
الفساد وعادية الاعدا والاضداد والمجاهدة في استضافة دبابر
المخالفين الى جانب الاسلام ومجامع المسلمين وهو ما اتاه عمر رض
لما آل اليه الامر فانه صرف جهده الى الجهاد وقصر وكده على افتتاح
البلاد حتى اتسع نطاق هذه الملة وخضعت الرقاب لاهل هذه
القبلة فلقب امير المومنين اذ كان نعم العون لرسول رب العالمين وتدرع
التي عليه من الامر الاعظم والشان الافخم واطفا لهيب كل ملتهب على
بغيهم من ابي لهب والتام بسعي الشيخين شعب الامرين الاخرين وبلغ
من الاحكام مبلغا ليس فيه مستزاد ولا يشينه بياض غرته سواد

ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين ممهد ومراعاة بنا مشيد فلم يقدروا
على القيام به واجتهدوا في اجابه ولما انت الخلافة عثمان بن عفان رض
كان منه ما كان من تبديل زي الملك عن النسك بزينة الملك وتغير
سيرة الايمة حين توسع في النعمة حتى اجتنى ثمرة ما جنى وتيه به
شوما اتى ولما عادت الى علي بن ابي طالب رض هاجت الرياح من كل جانب
وبدت الاوابد وتبدلت العقايد وتحول الامرا الى من تمكن المغالبة ودول
القتال والمجاذبة ووقعت الخلافة في الخلاف وبرز الشر من الغلاف
وبقي علي رض على اضطراب لايهدا وفي مداواة دا لا يبرا مع شجاعته المشهورة
ومآثره المالوفة وانتهى امره الى ما انتهى حتى جرى عليه وعلى عقبه ما جرى
فلينظر اذا كان الامر كذلك اهولا بالمتوج احق ام اوليك مضى القوم واثارهم
في الاسلام كالشمس في الاشتهار والهبا في الانتشار وصنيعهم صائح
بحي على الفلاح وليس بايدي الخصما سوى السفاهة والصياح
وقرات توقيعا له الى بعض الافاضل يستقدمه حضرته ليتوخي مبرته
مجالك لمن سمت به همته الى قصد من يغلو عنده قيمته ان تكون على غيره
غر جبته وليت من سواه زيادته وجبته فاما خطه فخطة المحاسن
فسمه ان شيت وشيا محوكا او تبرا مسبوكا او درا مفصلا او سحرا
محصلا وكان اسمعيل بن عباد اذا قرا خطه يقول هذا خط قابوس ام جناح
طاوس فهو كما قال المتنبي في خطه من كل قلب شهوة
حتى كان مداده الاهوا ولكل عين قرة في قربه حتى كان مغيبه الاقذا

ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان وبين ايلك الخان من التواصل والتظاهر والتعاقد على التعاون والتناصر الى ان خلعت بهجة البشر وكشرت عن انياب المنكر

قد كان ايلك الخان لما ملك السلطان خراسان على الغدرة بآل سامان
اغتنم تطهير ما ورا النهر من كل منتسب الى تلك الارومة ومتشبث
بشعب تلك الجرثومة فلم يدع هناك ذا ظفر الا قلمه ولا ذا جناح الا اجتاحه
واصطلمه ثم كاتب السلطان مهنيا بما ذخر الله له من خالصة الملك
وصافية الملك وظاهره اليه من ظاهرة العز وباطنة الصنع ومعتدا
لنفسه بقطعة من عنقود دجاجة ملاوة على صفقة اقباله وعلاوة
على جاهه وجلاله وتردد السفرا بينهما في وصلة تبل رحم الحال وتوكد
اسباب المودة والاتصال وتحمي جريم الحقد في الجانبين وترفع بستر
الحشمة في ذات البين وتؤدي ربقة الاختلاط الى الامتزاج وقربة
الاشتراك الى الامتشاج فتصير النفوس واحدة والسواعد على
وجوه مصالحهما متساعدة وانهض السلطان عند ما همه كان
بنيسابور في طلب المنتصر ابي ابرهيم الساماني ابا الطيب سهل
بن محمد بن سليمان الصعلوكي امام اهل الحديث بها رسولا الى ايلك
الخان وضم اليه طغانجق والي سرخس في خطبة كريمته عليه ونقلها
في صحبته اليه واصحبه ما عدا الحد والعد من سبائك العقيان
ويواقيت البهرمان وعقائل الدرر والمرجان وتخوت الوشي والحبر ونوادر

البدو والحضر وصواني الذهب مملوة من بيضات العنبر واواني
الفضة منضودة بتمامات الكافور وغير ذلك من شارات الهنود وقطاع
العود وذكور النصول واناث الفيول تحت جلاجل مغشاة بذوات
النعائج من الوان الديابيج منطقة بعضها ببعض تخطف العيون بريقها
وتصطحب على الاقتاب معاليقها وعناق ضوامر كالقداح تخد خدود
متون الصفاح وغرب كنجوم الصباح وقوائم كالمنجرف الرماح وسنابك
كفلق الصفاح في مراكب كانما حلي بعضها في قطع عقيق او شعل حريق
وحلي سائرها بنجوم الثريا والنثرة وبنات نعش من ورا المجرة
وقرن ذلك كله باموال على سبيل الالطاف تغبر ذوائب الاوصاف
فسار الامام ابو الطيب سهل بن محمد الى ايلك الخان بما ينقل كريمة
وحمل من بحر الترك الى ايران درة يتيمة فطلع على ايلك واهل
بيته طلوع الحميم طاب ايابه بعد ان طال اغترابه والحبيب لطف
اعتابه بعد ان تقدم هجره واجتنابه اعظاما منهم لقدره ووفادته
عن باب السلطان في ذلك المهم من الشان ثم لفضله في نفسه فهو
الامام المقدم والصدر المحتشم ومن لا يقرن الجد باسمه ضريب
له في ابواب الفضائل وخصوصا في خلافيات المسائل واقام باوزكند
الى ان فرغ من امر الزفاف وازمعت عليه في الانصراف فعاد على جناح
النجاح مصحوبا بمجلوبات الترك من نقر المعادن ونوافج المسك وفره
المراكب وعيس الركائب ودود الوصفا والوصائف وبيض

جمع العدو و هو جميع رجال الشر
رحمه
المغرم حجر ... رحمهم

من ... البحر

البزاة وسود الاوباب ونصب الختو واحجار اليشب وطرايف الصين
واتحدت الحال بينهما اتحادا اشترك فيه المراتع والنعم واستحكم فيه
الصنايع والحرم وبقيت على جملتها في التاجد والتاكد الى ان نزغ
الشيطان بينهما فتغلت الضماير ودخنت السراير وانحلت تلك
القوى والمراير وتولى السيف تدبير ذلك الوصال بحل معقوده
وفصل ممدوده وسياتي الشرح على الوقايع التي جرت بين السلطان
وبين ايلك الخان في موضعها على الاثر ان شا الله فاما الان فاني
اشير الى نبذ من محاسن هذا الشيخ المتقير والكافي الامر بالتدبير
واتبعه بذكر رجالات خراسان من اعيان رعايا السلطان يمين
الدولة وامين الملة ووجوه الفضل من اوليائه الذين لم ينظم اطرابهم
زمان واحد في سلك ملك فمن منثور كلامه قوله من تصدر قبل اوانه
فقد تصدى لهوانه يشير الى قول منصور الفقيه
الكلب اعلى منه رتبة وهو النهاية في الخساسة ممن ينازع في الرياسة قبل اوقات الرياسة
وقوله العقل اطيب عيش والجهل اغلب جيش وقوله اذا كان
رضى الخلق معسورا لا يدرك فان ميسوره لا يترك وقوله انما تحتاج
الى الاخوان العشرة لزمان العسرة وقوله من تغافل عنك مع علمه
بحاجتك الى عونه وتوفيره طلب عليك علة اذا عاتبته على تقصيره
كانه الم بقول القايل تنوف لناس يا ابن ابي واتى فهم تبع الحاجة والرجا
الم تر مظهرين على عتبا وكانوا امس اخوان الصفا
بليت نكبة فغدوا وراحوا على اشد اسباب البلا
ابت اقدارهم ان ينصروني بمال او بجاه او براء
وخافوا ان يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفاء

ولبعض اهل العصر فيه

كلام الامام امام الكلام وفوه يفوه بحر النظام
مزاج معانيه في نظمها مزاج المدام بماء الغمام

الا ايها الشيخ الامام ومن به تبلج افق الدهر عن فلق البشر
لين كنت في الدنيا اتت وشاجها عيانا فان الدر في صدف البحر
ولم يحوك الدنيا لانك دونها ولكن ابت الا التي تحصن بالقشر
وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما صين نور العين بالجفن والشفر

ومن اعيان رعايا السلطان بنيسابور ابو نصر احمد بن علي بن اسمعيل
الميكالي وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته فضلا
موفورا وادبا مشهورا وعزا معقودا وما لا ممدودا وبابا كالركن
مشادا او حرما كالحرم مغادا او ذهنا يشق الليل البهيم نهارا
ونظرا يستشف استار المطامع ويستكشف اسرار الضماير وشعرا
نقي الشيم والجوهر ذكي المسك والعنبر رضي المورد والمصدر فمنه قوله
يا في العلى والمجد والاحسان والفضل والمعروف والكرم بان
لبس لنا مشيدا لك شيده مثل لبنا نشاد بالاحسان
البر اكرم ما حويته حقيبة والشكر اكرم ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولى عمره كفل الثنا له بعمر ثان
نول

المختار المكلم كالمراد
فتلة

ما نصر الا من الله

الا ابو الكرم
كما الذخر

فاما كتابته فالسحر الحلال والعذب الزلال فهى تتحلى بما تحويه من لطف
العبارة وحسن الاستعارة ومعسول الاشارة والبشارة برياض
منشأ الحضارة ومن منثور كلامه رسايل مما كتب به الى شمس المعالى
قابوس بن وشمكير امراء كاتبه بسم الله الرحمن الرحيم
كتب العبد وحاله فيما يخدمه مولاه من شرف اقباله ورضاه
ويفيضه عليه من ملابس فضله ونعماه حال من تقبل عليه دنياه
ويسعد فى ظل دولته باولاه واخراه والحمد لله رب العالمين
وقد وصل كتاب الامير متوشحا بدرر خطابه وغرر اعجابه وبدايع
بره وافضاله وروايع انعامه واشباله فيما اكرمنى به من عز
العبادة والتسمية من حلل الفوز والسعادة وشرفنى به من التهنية
عن العافية المستفادة فاوصل عزا يبقى على الايام اثره ولا يخلو عن
الزمان ذكره ومفخره وفهم العبد فهم من آنس منه رشدا
واقتبس من انباه قوة وايدا وسجد لله شكرا على ما افاضه
عليه من حلل السلامة ومد عليه من ظلال الفضل والكرامة
ورغب اليه فى اسباغ العوارف عليه وصرف المحاذر عنه فاما ما اهل
الامير المجيد له من تشريف كتابه ولطيف خطابه ورقاه اليه
من درجة العبادة اولا ومرتبة التهنية ثانيا وانفاذ القاصد
به ثالثا فان ذلك من نتايج همته العالية ودواعى شيمته الزاكية
التى تحنو على اوليايه وخدمه وتعطفه على اعتنا نعمه فليس لى فى

مقابلة ما اولاه ومعارضة ما كساه الا الشكر بديمه والتشريف به
والرغبة الى الله مخلصا فى اطالة بقايه وادامة عزه وعلايه
وانهاضه بمواجب خدمته ومعرفة قدر نعمته ومنته ورحمته هذا
ولو ملك العبد فى مقابلة هذه النعمة على جلالة قدرها ونباهة
خطرها ذكرها غير بذل المهجة والقربة فى الطاعة واستنفاد
الوسع والطاقة غاية لبلغها تقربا الى حقوقه بما يقتضيها ويؤدى
شرط العبودية فيها وحكم على نفسه بالعجز والتقصير معها واذ لم
جرم المراد فما يتمسك الا بالرغبة الى الله فى ان يتولى من مكافاته
بما لا يبلغه الايدى ولا تفى به الاجنحة والسلام فهذا هو الكلام
الذى ليس به عثار ولا عليه غبار قد ولى المفضل تحبيره وملك
العقل رسمه وتصويره والقليل منه على الكثير دليل وكلام الجليل
لقدره جليل لا بل قليل منك يكفينى ولكن قليلك لا يقال له قليل
وقد اكثر الشعراء فى مدحه لكنى اثبت ابياتا للخوارزمى فيه من قصيدة
ذقت المنام الى طيف خياله لو ان طيفا كان من ابداله
لو ان هذا الجود يشكر لم يدع شكر الامير وقد غدا من آله
وله حلوم لو تقسم لو رست ما زال كاهله على جباله
وخلايق لو انهن كواكب اضحى السمى فى الضوء شر هلاله
لا يكشف الالحاح نايله ولا يسول امر ينهاه عن اساله
الوفر عند نواله والنيل عند سؤاله والموت عند صياله

وتعالى الله مقاله وشماله كيمينه ويمينه كشماله
تنجح الآمال في امثاله فتفرق الاموال في آماله
لا علم الا عزة في عزه لا جود الا جاله من جاله
يبيح البديهة ليس يمسك لفظه فكانما الفاظه من ماله
وكانما عزماته وسيوفه من جدّهن خلقن من اقباله
متبسم في الخطب تحسب انه من حسنه متلثم بفعاله

وله ايضا من قصيدة اولها

تلك الديار فربية الاحقاب صنعت بهيني صنع سبا كهائي
والى الامير ابن الامير تواهقت بزجي الركاب برازجي الركاب
لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه وغدوا الحاجهم غدو غراب
والفجر يطرف والظلام كانه ضلالات عتب في خلال عتاب
طلبوا امرا افعاله محبوبة ونواله فرضي بغير حساب
غدت المدائح وهي اسما له ولغيره اضحين كالالقاب
والمكرمات كثيرة الخطاب الا انها تاتي على الخطاب
متبسم الحجاب مكتنف العدى متردي النديم مجانف الحساب
شيم ارق من الهوى والذ من خطا العذو بردوته بصواب
وعزائم لو كن يوما اسهما لتقذف في الايام غير نوائب
ماضية الحركات الا انها بادية الاقدام والالهاب
تخطرن بين سياسة ورياسة ويتهن بين مثوبة وعقاب
قد اصبحت الفاظه طور الثنى وقواكب الاسماع والالباب
واذا اجللت له جنابا واجد اجل المؤمل منك الف جناب

وممّا آل ميكال الاكارم ابو الطمحان القيني

واني من القوم الذين هم هم اذا مات منا سيد قام صاحبه
نجوم سما كلما غاب كوكب بدا كوكب يأوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منا حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومما يعدّ من مفاخره نجيبان له ابو الفضل وابو ابرهيم عبيد الله واسمعيل ابنا احمد كل منهما بدر في صنيعه وعلايه وبحر في تياره ونهايه غير ان ابا الفضل ابرع في لطايف الادب وانظم لقلائد العرب وقد سبا له من النظم والنثر ما يزري حبره بوشي صنعا او زهره بروض شهيا ومن فصول كلامه وصل كتاب الشيخ فاذعنت القلوب لفضله بالاعتراف واختلفت الالسنة في تشبيهه ببدايع الاوصاف فمن مدع انه دقيقة الوصل ورقيقة الوصل ومتخيل انه عقد النحر وعقد السحر وقايل هو سلاف العنقود ونظم العقود فاما انا فتركت التمثيل وسلكت التحصيل وقلت هو سما فضل جادت بصوب الحكم ووشي طبع حاكه سن القلم ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم وايضا وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع ورَيط الوشي الصنيع ملقبته بحلية الاحسان والابداع وحلية النواظر والاسماع

حفار

ومسن الخواطر والطباع وصيقل الافكار والالباب وعيار المعارف
والاداب واجتليت منه تميمة فضل ويتيمة مجد وتميمة عقد ولطيمة
عطر وغنيمة من يجلو صفحة العهد ويجيل قدح الانس ويجلي عن
ثمد التشكر كلام اعذب من قطرات المطر واعبق من فتات المسك
والعنبر يزري بنور الخمايل وقد عطرتها انفاس الشمايل ومن منثور
الفاظه اخلاقك قد اخذت من الورد عرفه ومن النبت عبقه
اخلاق من المسك لولا فارته ومن الورد لولا مرارته والماء لولا اسراعه
الى الكبد والروض لولا حاجته الى المطر وجهه البدر
لولا محاقه والمشتري لولا احتراقه هو عائد من انعور اكابر من
العلا وله الشرف اليفاع والامر المطاع والعرض المصون والمال المضاع
وله النوال السكب والراي العضب وفيه الآباء المر والكرم
العذب هو اوحد البشر وثاني المطر وثالث الشمس والقمر المفنى
على دهر الحداثة اذ غصن شبابي غض وريق ونقل سنراى عض
وريق النعمة بريق مهرها الشكر وثوب صوانه البشر النعمة عنده
تكتسي من لومه اطمارا وتشكى غربة واسارا ولي المعزوز برسيف
من الرعب ناحلو وتجري مع الريح في طلق دارت رحى الحرب بين
اعمار تناح ودما تستباح واجسام تطاح وارواح تستفي بها
الرياح فالسيوف للهامات دامغة والرماح في الاكباد والغة ومن نظمه قوله
لقد بات عني بدر الدجى لصدوده وكل احشاي في برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدي صبرا على ما كواكبه وقوله
ضاق ذرعي في هوى قمر القلب وما شعرا
ليت اجفاني به سعدت مرئى الجفن الذي فترا وقوله
تفرق قلبي في هواه فعنده فريق وعندي شعبة وفريق
اذا ظميت نفسي اقول اسقني فان لم يكن راح لديك فريق وقوله
انكرت من ادمعي تترى سواكبها على جفوني هلا ابكي سواك بها وقوله
ان لي في الهوى لسانا كتوما وفوادا يخفي جريح جواه
غير اني اخاف دمعي عليه ستراه يفشي الذي ستراه
لنا صديق ان راى مهفهفا الاطفه فان يكن في دهرنا ذو ابنة لاطفه وقوله
لا تصبحن بالحيوة ذا ثقة فكل نفس للمنون ذايقة وقوله
وكل غني يتيه به غني فمرتجع بموت او زوال
وهب جدي زوى لي الارض طرا اليس الموت يزوي ما زوى لي
ومن اعيان رعايا السلطان بناحية طبرستان كانت
نيسابور داره وقراره ومعتقد ضياعه وعقاره ابو جعفر محمد بن
موسى بن احمد بن القسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح
عمودا وقد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم وكتابهم والتقط
محاسنهم وآدابهم فالفاظه ينابيع العلوم واقواله مرابيع
العقول ومجالسه حدايق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل

المرابيع الناقة التي تنتج في الربيع

فلم تبق تتمة خطاب ولا كريمة صواب ولا غرة حكمة ولا درة نكتة
ولا طرفة حكاية ولا فقرة رواية الا وهي غرضة خاطره وثمرة هاجسه
ونصب تذكره ومثال تصوره لا تصدأ صفيحة حفظه ولا تدرس
صحيفة ذكره ولا تكسف بدور معارفه ولا تنزف بحر لطايفه ثم
هو واحد خراسان من بين الاشراف العلوية في قوة الحال وسعة
المجال واتساع رقعة الضياع والارتفاع قدرا الارتفاع واشتداد
باع العز وامتداد شعاع الجاه والقدر وقد كتبت عنه من نوادر
الاخبار والاشعار ما حكيت بعضه في كتابي الموسوم بلطايف
الآداب وساورد الان مما قاله وقيل فيه ابانة عن غرر معاليه فمن شعره قوله
وشادن وجهه بالحسن مخطوط وخده بمداد الخال منقوط
ثناه قد جمع الضدين في قرن فالخصر مختصر والردف مبسوط
ومن قوله [redacted]
قد بت غزالي فهو يشكي حقيقة لذ به عيشي اذا نابني هم
جميل محياه كالدعص ردفه لطيف سجاياه وليس له خصم
وقد اكثر الشعراء والادباء فيه فمن ذلك قول ابي الفتح البستي الكاتب فيه
انا للسيد الشريف غلام حيث ما كان فليبلغ سلامي
واذا كنت للشريف غلاما فانا الحر والزمان غلامي
ولابي الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني
انا في اعتقادي للتشيع رافضي في ولايك وان اشتغلت بهواك فلست اغفل عن اواليك

يا عقد منتظم النبوة بيت مختلف الملايك يا ابن العواطم والعواتك والترايك والارايك
انا حايك ان لم اكن عبدا لعبدك وابن حايك
ولبعض اهل العصر فيه
عيد البرية عيد المهرجان اتى اهلا بعيد اتى عيد يحييه
العيد لا لا وه يبقى الى امد وعيدنا دايم الا لا باقيه
لا زال سيدنا في ظل دولته وظله دايما تمتد ايديه
محكما في رقاب الارض قدرته تجني له ثمر الاقبال جانيه
اعشاره المجد والبشرى جلايبه خراجه الدهر والدنيا جواليه
وبنى بنيسابور دارا فتنافس اهل الفضل في ذكرها ووصف شرفها
وسناها فمن ذلك قول بديع الزمان الهمذاني
دار قسمت عراصها تحكي الاباطح والرصافة بين المروة والنبوة والخلافة والضيافة
فيها المصاحف والمعارف والسوالف والسلافة لا زلت يا دار الكرام مصونة من كل آفة
ومنها لابي عبد الله العلكاني الغواص
يا دار سعد قد علت شرفاتها بنيت شبيهة قبلة للنايبي
لورود وفد او لكشف ملمة او بذل مال او ادارة كايب
ومن افاضل العلوية ابو البركات علي بن الحسين بن علي بن جعفر بن محمد وهو الملقب
بالديباج المدفون بجرجان بن جعفر بن محمد الصادق وهو الباقر بن علي زين العابدين
بن الحسين الشهيد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين
نسب توارث كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب
وقد جمع الله له بين ديباجتي النظم والنثر فنثره منثور الرياض جادتها

السحايب ونظم منظوم العقود لا زانتها النحور والترايب فمن نثره فصل
لدا احب ان تكون مكاتبتي للامير ايها البر تبرع وبكرا لم تفترع وبكرا
وسيابية لا تركب ولا تحلب فلا اشوبها بادب ولا اتسبب اليها بسبب
فعل من لا يشين ولا طمع ولا يشوب دعواه عنت ولا طبع على ان الاضطرار
يعذر في وجد الاختيار والعذر فيه مقبول عند ذوي الاخطار والاجرار
وفلان يمتّ بحق الجوار ولقد نشر جرايد شكره واظهر بحسن النشر خبايا
بره فملا الارض ثناء والسما دعا وعادة الامير ان يحيي الامال ويسترق
الاحرار بالاموال فليجعل متكرما هذا الامل محظوظا ولا يجعله محظوظا
ان شا الله وله ايضا رقعتي هذه وانا عايد معود وقاصد
بالزيارة مقصود اخاطب اخواني بما احاطب واكاتب اصدقائي
بما اكاتب بساري وقدرة وارضي دجلة تتناثني الحمى ولا تفارق في الشكوى
نفسي نفسان ونفسي نفسان كان الحول شاطرني فصوله فنلت عزته
وحوله فالربيع بين عيني حينئذ والصيف كامن بين صدري
وحلقومي وما عرفت لعلتي هذه سببا الا اني رايت نفس الحرية
متشكية فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكرم والكمال
متاذية فاحتملت عنها اذاها وقلت متمثلا لا متمثلا
ويعود سيدنا وسيدي غيرنا ليت التشكي كان بالعواد ثم ذكرت ما اعد
الله تعالى للعباد من ثواب العلة في المعاد فاستصغرت عند ذلك
ما استعظمته وسهلت مسلكي وان استوعرته وقلت سبحان الله ثم تلك

المنسية من العلة واعطي لسيدنا بها امانا من القلة واعمى عنه ناظر
الزمان ولا طرق الى فنايه طوارق الحدثان وتمنيت اني واصلت
عدوي برواجي في زيارة الشيخ مشاهدا للجلال واقبالا نحو البر
والاجلال لكن حيل بين العير والنزوان وعلى جانبي هذه فاني استريح
الى حسن سلامته واحصل لنفسي به استتمامه ومنه وله ايده الله
باهدايه الي يدا ودمه ورايه في انجاني به موفق ان شا الله ثم من نظمه قوله
واغيد يسحب بالالحاظ عينه حلي في تثنيه من البان املود ا
سلخت بذكراه عن الصبح ليلة اسامره والكاس والناي والعودا
وكتب الى ابي بكر الخوارزمي
ترى النجم الجوزا والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا
لين كان ذنبي اني اغتلبت فذلك ذنب صغير صغير
وان كان يجري من اجله فذلك ظلم كبير كبير
صدود دلك عني صدود الحيوة وصب سواك يسير يسير
وله في وصف اللقانق الكفيف
فزرني قليلا تجد شاكرا لديه القليل كثير كثير
فان كنت تهوي اليوم اكل اللقانق فبادر الى امثال جيد الغرانق
الى جامع اللذات طيبا وجودة قضى حقه طاه بصنعة حاذق
تراه على السفود عند صلابه كزنجية زينت بحلي المخانق
فبعض تدلى كالوشاح وبعضه منوط عليه في محل المناطق
فارج لقيتا الحزن حاجة امري وفي شرط الود غير ماذق
ومن اعاصر اضرابهم القاضي القاضي ابو القسم علي بن الحسن الداودي

بهراة وهو عندي من يستحق له ان يقال فيه ما قال الصاحب لبعض من كان

يوالیه لولا ان قدرة الله عندي جنس واحد لقلت ليس في القدرة وجود

مثله في كماله وفضله جاوز السبعين وناهز الثمانين واجد الايام خطوطها

منثورا ومنظوما وثاني الغمام معقولا ومعلوما شب للعلم خادما

وشاب على الفضل مخدوما ثمر منثور كلامه فصل له من كتاب

وصلت ملطفة الشيخ فلطفت لغليل بردته ووجد بصنع الارتياح

وبرد بخبر سلامته التي نسيمها عندي نسيم الجنان والوسيلة الى

السلوان وله فصل كيف لا اعتد بصنع الله لي في نخيلة

وده وعقيلة عهده وقد بلغني الله اخا حين عز الاخا وعدم

من بين الاوداء الوفا وكاد لا يصدق في جوده رايد ولا يظفر بهما

مضل ولا ناشد واصبحت المصافاة مخاتلة ومخاترة والمخالصة

مكاثرة ومناجزة وقد كان المتحابون في الله اقل من القليل والاسلام

عليه دون الشبيبة وهو في بردته القشيبية وله فصل من كتاب

كلامي في مخاطبة الشيخ مائل انعكاس شعاع الناظر وبرد الفوارة

ما الغمام الماطر على المذهب الذي ذكره علي بن الجهم في صفة الفوارة

ترد على المزن ما انسبلت على الارض من صوب امطارها

وله من فصل كان كل مخلص من مجالسه للانس مرزوقا وللازدياد

مشوقا فكان مرويا مظميا وموقدا مطفيا ومما انشدت من قلايد شعره

وان كانت كالحصى تمثيلا تجل عن الاحصا جملة وتفصيلا قوله

رُبما قصّر الصديق المقدّم عن حقوق بهن لا نستقل

ولين غدا نايل وصفائي ودادي وخلة لا يفل

ابح سترا على حصارة برى هتك ستر الصديق ليس بحل وقوله

قالوا اترتق في الامور فانه نجح ومرتقي الذرى بالابساس

ولقد رفقت فما حظيت بطايل ما ينفع الابساس بالايباس وقوله

واخلاق كاطراف الزجاج رفقت بهن رفقك بالزجاج

الى ان عدن لي زبدا بشهد كذاك يكون عاقبة العلاج وقوله في مرثية الشيخ ابي سليمان الخطابي

انظروا كيف تخمد الانوار انظروا كيف تسقط الاقمار

هكذي هكذي تزول الرواسي هكذي في الثرى تغيض البحار

اجد الدين والمروة والفضل ومنه يشيمها الاقدار

مات من لم يكن لدنياه فيك نجاة ولا عليه اقتدار

ملي معقرة اليه حداجا وهو دون افترارها فرارا وقد وصف الموفق السني فضله في ابيات له

ابا القسم استعبدت ودي بنابل تلاه بلا من لبرك طارف

واضعفت شكري حين ضاعفت انعما وقد يضعف النبت الندي المتضاعف

اتاني كتاب منك فيه طرايف تقبل من اطرافهن الطرايف

صحيفة احساب تخر لحسنها سجودا اذا ما لاحظتها الصحايف

تواصلني منها شباب مساعد وطال الغنى منها زمان مساعف

واصبح منها عاذلا وهو عاسف وعادت رخاد يحه وهي عاصف

ومن اعيان نجوم الدولة ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي

الكاتب بن الكاتب والنقاب بن المناقب والمنجب بن الشجاب والبدر بن الشهاب
والنار التي لا تخمدها المذاكاة والسيف الذي لا يألف القراب مضاء
والسعد الذي يلي ويبدأ لسما ذكاء ونما فغبطا برد تلميذ افادته والمشتري
مشتري سعادته وتأتيب النجم عبيد دهايه وشارق الشمس خادم
ذائبه وروايه خدم ابوه ابو طاهر حسام الدولة ابا العباس تاش على
ديوان اسراره بارعا في الصناعة صناعا في البراعة مطوقا الفصل
القول مرموقا بعين الطول يناضل اسمعيل بن عباد فيخرق عليه قرطاس
الادب ويساجله بملأ الدلو الى عقد الكرب مصعب لا المصعبي يضاهيه
ولا الموصلي يباهيه ولا الفارسي يدانيه ولا البستي يسح بعض مساعيه
يجانس انجم النثرة نثره ويناسب شعرى المجرة شعره ومما يلحق عنه قوله
لحسام دولته وصاحب جيشه وحاجب سدته ابي العباس
قد جمع في هذا البيت خصايص اوصافه وضم الى واسطة المدح اقاصي
اطرافه ذا الاعلى نبوة الاعجاز برهان الاختصار والايجاز واراد
الله سعادة هذا الفضل فهداه نهج ابيه وغذاه موقف التشبيه
فلما نمو الاشبال على طيب التربة والما ليس نمو الفاهة والفخامة لكن
نمو هلال الظلم وشبوب النار فوق العلم وصفا الجوهر مرتسمة على
القدم واختص بخدمة الامير الاجل ابي سعيد التونتاش خوارزم شاه
اذ هو تاج الحجاب وناظر عين الباب فاغذاه بمنه حتى لبس الملك
فضفاضا وغني عن السواد وان كان عليه بياضا وانتقل

باستقلاله عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة وعن حضيض الخدمة
الى يفاع التركة في الامارة فلم يبرك من ابنا جنسه في البلاغة اثنان
وساد حتى اعيان من بني عبد المدان مداني فمما وقع الي من
نسج قلمه وجري كلمه من كتاب خاطب به بعض اخوانه لعل الدهقان
يظنني اوثر مساعدة الزمان بمباعدة الاخوان وادنى من صدر
الوزارة بقلب كالحجارة فلم ينل المراتب جلالا لا للعضد قطاعا للاواصر
والعهود وكلا اني ما ازددت الا ازددت للصديق اصطناعا ولا اتاك
على الايام رتبة الا ازددت الى الاخوان قربة غيرك من يصلفه الزمان
ويبدله السلطان ويذم عهدة الاخوان على اني مهما نسيت عهدا
او تناسيت وقلعت اخية الوفا دون من آخيت فلست انسى عهده
ولا ارضى بقطيعته وهجره اني وقد قيدني باياديه الزهر واسترقني
بمعاليه الغر فما ارتاد به بديلا ولا املك عنه تحويلا اعاذني الله
مما يفيت من صدوده ولا سلبني طيب الايثار بمنه وجوده
وهذا القدر كل مبلغ القدرة ذلك وللمميز البارع متى قصد الانصاف
في المدح والتقريظ مجال فهو الآن اعيان رعايا السلطان في الفضل
الواسع والادب الجامع وذوي النعم من فرسان الشعارة والخطابة
واعلام البراعة والدراية من توجب ذكرهم عن الغرض المقصود من
هذا الكتاب ولم استقر اسامي المذكورين الا انهم بالاضافة الى
ساير اعيان البلاد افراد في ارتفاع المراتب واتساع الخطوط

والرغايب واضطراب الصيت في الآفاق وصوغ الايادي قلائد للاعناق
وسنعود الى ذكر السلطان يمين الدولة وامين الملة ووقايعه التي رضيتها
حدود الظباة وان سخطتها نفوس العداة فننتهي كل وقعة الى وقتها ويومها
ونلحق شرح حالها بقومها الى ان نوفي الكلام حقه من الاشباع في الحروب
التي جرت بين السلطان وبين ايلك الخان ان شاء الله وهو ولي التوفيق

ذكر غزوة بهاطية

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان وسكن له
نابضها اناخ عنه عارضها وتاج لغزوة بهاطية بجر الجحافل مستوعبين
بشعار الهداة الثقات ورايات الحماة الكماة حتى عبر سيحون وجاز الملتان
الى مدينة بهاطية فالفاها ذات سور تزل عن متونها اجنحة النسور
وقد احاط به خندق كالبحر المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط
وهي مشحونة بالات الوقم من عدة وعديد ومعول من حديد
وكل فيل كشيطان مريد وعظيمهم يوميذ المعروف ببجيرا قد استخفته
العزة باخونة يده للبروز من ورا السور مهولا باعداد رجاله واتخاص
افياله ومتطاولا بباع الامداد على قتاله وحصبا السلطان عليه نار الحرب
ثلثة ايام بلياليها يرميه بالصواعق بين ظبي السيوف البوارق ونقذه
بالشهب اللوامع من شبا الرماح الشوارع وواصلها عليهم صبيحة الرابع
بضرب يطير الحواجب عن العيون ويزيل القبايل عن الشوون ويشق ودايع
الاجساد مناخل بل مناخر قد انفرجت عروقها واعيت على الشكر
ثبوتها حتى اذا توجهت الشمس قمة النهار اهاب بالشد على الكفار

فتجاوبت نغم التكبير استنزالا لنصر الله وتنجزا لصادق وعد الله وحمل اولياء
الله على ذوي الافك والشرك حملة كشفت صفوفهم وارغمت بالذل
انوفهم واقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب باليدين ويعقد البراجم
بنصلين ويسفي طا الكفر من كوس الحين ومكن عليهم في تلك الشدة
الواحدة عدة من الفيلة التي كان يعدها الكافر حصونا لقلبه
ويعدها سكونا لقلبه وتماوج الفريقان في غمار تلك الحملة بين نقف
ينثر ادمغة الهام وطعن يرف حشاشة الاجسام فاعلى الله راية
السلطان براية الدين والايمان واهب ريح النصر نحوها واعاد
شدة الجيش نحوا فولى المشركون نحو المدينة اعتصاما بسورها
وانحيازا في دورها فاعجلهم الطلب عن الاحتياط وتملك عليهم
مداخل الحصار وتعاون ابناء العسكر على سد خنادقه وهدم
ناييده وتظافروا على تفسيح مضايقه وتفتيح مغالقه وقد كان
بجيرا حين علت مراجل الحرب واحتدمت مناجل الطعن والضرب
احس بالهون والعطب وشام برق الويل والحرب فانحدر في عصابة
من رجاله للاحتماء ببعض الغياض والاستناد الى شعف
تلك الجبال فسرب السلطان كتيبة من خواصه في طلبهم فاحاطوا
بهم احاطة الازرار بالاعناق وحكموا فيهم حدود البوارق الرقاق
فلما راى بجيرا ما دهاه عمد الى خنجر في حجزته فاتكا به حجاب صدره
وانتقل الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة جزاء لمن كان كفر

من نبض العرق اذا ضرب

وتولى وجه الاولى لا صام ولا صلى ولا سبح ربه الاعلى ثم واقبل عسكر
السلطان فقتلوا المقاتلة وغنموا الاموال الحاصلة وخص السلطان
مائة وعشرين راسا من الفيلة بما يضاهيها من ذخائر الاموال والاسلحة
ملكا عز على غيره مناله وملكا نطقل على حلقه جلاله واقام بهاطية
الى ان طهرها من انجاس الانجاس واذناب اولئك الانكاس ونصب بها
من يعلم جملة الدين سنن الاسلام ويبين لهم طرق الحلال والحرام
ثم كر الى غزنة موفور العلا منصور اللوا عالي الراى سائر الجد على
خط الاستوا الا انه وافق منصرفه هوامى امطار وطوامى انهار
وتوابع جبال وروابع انداد وامثالها فاستغرق الغرق جل اثقاله
وشمل التفرق جملة من رجاله ووقاه الله افة تلك المسافة ومهالك
تلك المسالك وهو يتولى الصالحين وقد كان ابو الفتح البستي ينكر حركات
السلطان بنفسه فى تلك المقاصد براى يستمليه عن عطارد
وحقا لقد كان يقول ما تستهديه العقول ولكن اذا جاء بهرام والسيف
الحسام والبطش والابرام فقد سقط الكلام وبطلت الصحائف
والاقلام وانشدني ابو الفتح البستي لنفسه فى هذا الباب
الا ابلغ السلطان عنى نصيحة نشيعها ذرات تحسنك
تجاوزت اوج الشمس قدرا ورفعة وذلك فخر لكن من قد تملكوا
فما حركات منتجات قديمها ثان فاوج الشمس لا يتحرك
وهذه مسلة تنازعها الاوائل فمنهم من جعل لاوج الشمس حركة كسائر
حركات الاوجات فاما المحققون فقد انكروه ببراهين هندسية واشكال
برهانية

ذكر غزوة الملتان

قد بلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة
حال والى الملتان ابى الفتوح فى خبث نحلته ودخل دخلته وقبح
اعتقاده وقبح الحاده ودعائه الى مثل ذلك اهل بلاده فانف للدين
من مقارته على فظاعة سره وشناعة امره واستخار الله تعالى
الخائر فى قصده لاستتابته والتقرب بحكم الله فى الايقاع بهذا امر بهم
الاطراف ولف الزيول وجمع الخيول الى الخيول تصوى اليه من مطوعة
المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل واكرمهم باحدى الحسنيين
فى الازل وثار بهم نحو الملتان عند موج الربيع بسيول الانوا وسيح
الانهار بفضول الانوا وامتناع سيحون واخواتها على ركابها واستصعاب
على اصحابها فكتب السلطان الى اندبال عظيم الهند ان يطرق له فى
مملكته الى مقصده فتمنع وتمرد واخذته العزة بالاثم فابى وتبلد وراى
السلطان غرة الراى فى ذهبة ذلك الخطب ان يبدأ به على عزم جابه فيذيق
صليفه وينيح غريفه ويمرق لفيفه وعنيفه جامعا بين غزوتين وقاطعا
حبلى الجنسين فبسط عليه ايدى القتل والايثاق والنهب والارهاق
والهدم والاحراق يطرده من مضيق الى مضيق ويتبعه من طريق الى
طريق طاويا عليه بلاده بطى السجل حتى هرب شريدا الى ان ضحت الفنا
من هتك جلوف الزروع وسكرت الظبى من رشف علق الاحشاء والضلوع
وركب اثره فى اغوار دياره واعماق رباعه يتحسس دمات السهول

ويقصص الماء عن ويعرى عن حليته جو وحوش الجو بين ضيق المداخل
وتجب المغاور حتى اضمرته نواحي قشمير ولما سمع ابو الفتوح والي الملتان
بما جرى من امر عظيم الهند وهو الوجه الرفيع والسيد المنيع والسيف
الصنيع قاس باعه بشبره وذراعه بفتره وايقن ان ذرى الجبال الاطواد
بهضبات القوى ودقق البراة لا تشال ببغاث الطيور تحمل اثقال امواله
على ظهور فيلته الى سرنديب واخلى الملتان للسلطان يفعل فيها ما يشاء
تثنى العنان اليها مستعينا بالله تع على من الحد في دينه او حدث
بتوهينه فاذا اهلها في ضلالهم يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون
فضرب عليهم بجران المحاصرة وكلكل المناجزة حزا للغلاصم وبتكا
للايدي من المعاصم وايصادا لهم بالمفاقرات القواصم حتى افتتحها
عنوة وسحنها عقابا وسطوة والزمهم عشرين الف الف درهم
يرحضون بها درن استعصائهم ويذودون عن انفسهم هجنة
استنزائهم وابائهم وعبر ذكره بما اتاه من نصرة الدين واثارة معالم
اليقين عرض البحر الى ديارات مصر حتى درست مقاماته
التي لم يرو مثلها عن ذي القرنين الى حيث انتهى من امر السدين
وارتعدت فرايص الهند والسند واخواتها حذار بطشته
وانتقامه وخفقت بها بحوى الالحاد وطمست صوى الغي والفساد
فلله ابو تمام حيث يقول شعر

كرمت غزوتاك بالاسهم الحلل دقاق والخطب غير دقيق
حين لا حلبة الليالي تخترا ولا وجه شتوة بطليق
ان اياما لحسان من الروم لحمر الصبوح حمر الغبوق
معلمات كانها بالدم المهراق ايام النحر والتشريق

ذكر غزوة عسكر ايلك الخان

قد كانت الحال في الالفة
تايمة بين السلطان وبين ايلك الخان الى ان دبت عقارب
الفساد في ذات البين فاضطرب الحبل الشاكر واشتعل الجمر
الخامد ورأى ايلك الخان فرصة المجاهرة بسر المكاشرة
حتى اذا صمد السلطان صمد الملتان وغادرت نحو تلك البلاد
راياته وخفت عن اعيان رجاله لا بانه سرب سوباشي تكين
صاحب جيشه واخذ ابابه الى كور خراسان في معظم اجناده
وشحن بلخ بجعفرتكين وعدة من قواده وكان والي طوس ارسلان
الجاذب مقيما بهراة ماموريا بالاحتياز لحضرته متى نجم ناجم عناد او نعق
ناعق بفساد فاسرع الانقلاب اليها اخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال
وتربصا بالحمل غاية القفال وورد سوباشي تكين هراة فاستوطنها
وبعث الحسين بن نصر لجباية الديوان بنيسابور فرتب العمال
ولجأ الاستخراج وما لهم كثير من اعيان خراسان لاستخاخر
السلطان من جانب الملتان وتمالت الالسنة اهواء القلوب ونوازع
النفوس اخابيث ذوي وارا جيف غرور وابى الوزير ابو العباس

الوجيه والسيد
الفتر ما بين السبابة والابهام
بحر حر اوحال
والعناد
اي انحاز

الفضل بن احمد بالاحتياط على الطرق بين غزنة وحدود الباميان
وبنجهير وسدّها بحماة الرجال على حصانة مداخلها وصعوبة مراكبها
وطير التذبر الى السلطان بما انبثّ فى اطراف خراسان من حيات
العداة وعقارب الغواة فاعجلته بديهة البلاغ عن استتمامه
واز عجته غلبة الحمية عن مقامه فركب ركوب العاصف اكتاف الجمام
المفارغ يطوى الارض طىّ المهارق بين ايضاع وايجاف واهتدا
واعتساف وبين سهولة ظراب وسهوب وشعاب حتى القى عصى
القراب بغزنة واقام العطا لابناء دولته وانشا جملته وملأ ايديهم
بالعطايا والرغائب واناخ طلبهم ع المطايا والركايب واستنفر الاتراك
الخلجية اجلابين الظهور والصوارم الذكور فنفر منهم
جن على جن وان كانوا بشر كانما خيطوا عليها بالابر وجاش بهم كوبلخ
وبها جعفر تكين فاسرع الكرّ الى ترمذ اشفاقا من ضغمة الضيغم
الخادر واحترسا من وثبة الارقم الثاير واستقرّ السلطان ببلخ
موفور الانس والجذل كما تحل صبحة الشمس من برج الحمل وامر باتباع
سباشى تكين بارسلان الجاذب فى زهاء عشرة الف من ابناء الكفاح
ومهجة الارواح باشطان الرماح وسارع سباشى تكين نحو الوادى
للعبور فلم يرعه الا العاديات ضوابح والموريات قوادح فكر على ادراجه
عابرا حايرا وعطف الى مرو على ان يتبرّج منها الى السطح على سمت
المفازة فاذا الآبار مردومة والمناهل مطمومة ودبيقة الصيف مسعورة
واذيال السوافى على المعالم مجرورة فانثنى الى سرخس وبها الحسين بن
طاق رئيس الاتراك الغزية فاحدق به احداقا سد عليه باب الهرب
وضيق دونه وجه المجال والمضطرب فمانعه ما قدر ثم ظفر به سباشى تكين
فقتله بصفين بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة من الجانبين واعجله
ارتداف ارسلان الجاذب اياه عن فصل المقام ودوح الاستجمام فانحدر
الى ابيورد ومنها الى نسا وبينهما مرحلة واحدة كلما صدر هذا ورد
ذاك ومتى ظعن ذا اناخ هذا يتقاسمان امداد الطلب والهرب
حماما ولا يردان المياه الا الماما وقد كان سباشى تكين قد جعل صدرا
من المال والاسلحة من نواحى هراة وغيرها فصادفت عقلة له دون
الخوف فى وجه النجاة فهو يتيامن مرة ويتياسر اخرى منكوسا
على راسه خوف العادم من اسلام ما قد ذممت حاجرت بمبداه واعياه الخلاص
بحشاشة نفسه احرشا الا بافرازه عن جملته وتفريغ الخاطر عن الشغل
به ولما قرب ارسلان الجاذب من نسا خرج منها متوجها نحو سمنقان
وازعجه الطلب نحو جرجان فركب قلل تلك الجبال بين الآجام
الملتفة والغياض المحتفة والمخارق الضيقة والمخارم المصطربة
وتسلط البراكلة على اثقاله واخذوا بجاله حتى فشت نكايتهم فيه واستامن
الى شمس المعالى قابوس طوايف من اهل جملته لعدم المراكب وذهاب
الجرايب وانفل هو على سمت دهستان حتى عاد الى نسا وجمع ما بقى
عليه من تلك الاثقال فاصدرها الى الخوارزم شاه ابى الحسن على بن

عن الملك

مأمون وكتب اليه يستودعه اياها امانة لايلك الخان وجدّد ان يبذل لها
بعض الضيافة يده واصطحباد بحالة عسكره والعجزة منهم عن صحبته
فاقتحم المفازة متوجها نحو مرو وكان السلطان قد انجد اليه طوس مراعيا
لما تسفر عنه ركض ارسلان الجاذب على اثره والصافة لطلب الجيش به
فلما بلغه ركوب سباشي تكين عرض المسافة ابرك على طريق مرو معارضا
له في مسيره وناقضا عليه قوى تدبيره فوصل اليها مخلصه عن وعثا
تلك البيدا ورماه بابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي زعيم العرب
وبسابر قواده برجال يردون الملاجم ولازمهم والوقايع نقايع وسيوف
الضراب عرايس صفوف الكماة فرابين فكان كما قاله سعيد بن حيان
عبروت من معن واقلاسيه الى اليزيد اني وافق ٤٥
فكنت كالساعي الى مثعب موائلا من سبل الراعد   واحاطت به السيوف
حيث لا انما الامناع الاتواو ومن عاصية ولا مراعى الاشكايم اللجم ومن
عاصية واسر اخو سباشي تكين في زهاء سبعماية من وجوه الافراد ورتوت
القواد وامر السلطان بقراجو لياتهم فافرغت قيودا لكعابهم
وجوامع لرقابهم وحملهم الى غزنة ليرى اهلها حسن صنيع الله لمن شاقه
في نقض عهده وميثاقه ونجا سباشي تكين في خف من اتباعه بجريعة
الذقن فعبر جيحون الى ايلك الخان وقد كان ايلك عبر جعفر تكين نائبا
الى بلخ في زهاء ستة الاف رجل لاستفساد عزيمة السلطان في
قصد سباشي تكين واخراجه فتهاون السلطان بهم حتى فرغ الخاطر من امره ووضع يده
ما القضية من الشغل به عن ظهره ثم ثنى العنان اليهم شيّدا اغذ البوا
بعبابه واستغرق اوقات ليله ونهاره فلم يرعهم الا راياته باجنحة
النجاح طايرة وخيوله في جميل المراح سايرة وكمن لهم السلطان فلما
راوا الكمين انفلوا منهزمين يختمون دعوة الخلاص بامين امين
وتبعهم صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين على ساحل جيحون
كابحا لاذبادهم ومتحنا في عقابهم الى ان عبروه فسلمت خراسان
من عيث سوادهم وخلت من مبثوث جرادهم فاضطرب ايلك
حنقا لما جرى على عسكره من الضغطة الكبيرة والصدمة المبيرة
فاستعان بقدرخان بن بغراخان لقرابة بينهما وكيدة ولحمة وشيجة
واستنجده لحقى مسألته الى ثاره مستظهرا بنصرته واظها به واستجاش
انجاب الترك من مطارحها وحشر بني خاقان من اقصى بلاد دهاوا استنفر
دهاقين ما وراء النهر في جيوش تجل عن الحد والحصر وسار في
خمسين الفا او يزيدون حتى عبر جيحون مدلا بعسكره المائج
وبطشه الهائج ومعتضدا بقدرخان ملك الختن ذي العدة والعديد
والباس الشديد والايد المتين والبسطة والتمكين في رجال كالنخاتي
القوامح فوق البحور المواج عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف
خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب من حلق الدروع يحملون
جحافا كخراطيم الفيول مجشوة بنهال كانياب الغول ولما سمع
السلطان بعبوره في جمهوره ومواد ذلك بظهر فستان سبقه

الى بلخ فاستوطنها قاطعا عنها طمعه ومالكا عليه مشاده ومستجيد
واستعد للحرب فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج والافغانية
والغزنوية انشا الجد والصدق وابنا الشوق والرشق الى معسكر له
على اربعة فراسخ من البلد يعرف بقنطرة جرخيان ويبيع المجال على
الرجال بحيث القضا على الدهما وزحف ايلك الخان الى محاذاته
في عدده الدهم وعسكره المجر فتطارد الفرسان وتجالد الشجعان سحابة
يومهم على رسم الطلايع امام الوقايع الى ان كفهم حاجز الليل واصبح
الناس على ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات
والبحار الزاخرات ورتب في القلب اخاه صاحب الجيش نصرا ووالي
الجوزجان ابا نصر احمد بن محمد الفريغوني وابا عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي
في كماة الاكراد والعرب وساير جماهير الهنود ومساعير الجنود ورتب
في الميمنة حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فيمن برسمه من اعيان
الرجال وفرسان الزحف الصيال ونصب للميسرة ارسلان الجاذب
فيمن تحت قيادته من نجوم الابطال ورجوم القتال وحصن الصفوف
بخمسماية من فيلته التي تميد الجبال من اثقالها وترجف لها الارض
من زلزالها واقبل ايلك الخان فتحصن قلبه بخواص غلمانه واعلام فرسانه
وولى قدرخان ميمنته في اتراك الختن بين آجام العوامل والجنن وشحن جانبيه
جعفرتكين بكل ليث كالشجاع المحرج والحسام المرهف بين وعايات
الزغف والجحف وتحامل بعضهم على بعض فجلبت المعركة بغماغمها
ممايد القسطل وبروقها بريق البيض والابيل ورعودها صليل السلاح
ورشاشها صبيب الجراح واستنزل ايلك الخان عن صهوات الخيول الى
صعيد الارض زهاء الف غلام يفلقون الشعر انصافا وينصبون بسايط
الاهداب اهدافا فشكوا بالنبال تجاويف العقول وشقوا بالنصال سرابيل
الخيول ولما جد الامر واحتد الجمر واعضل الدا واستفحل الاعدا
وزخر وادي الخطب بمده وكاد يخرج بادي الشر عن حده نزل السلطان
الى صعيد ربوة كان تشرفها للتدبير عصبات الحرب وتلافي نزعات
ذلك المركب الصعب ووضع لله خده وعفر شعره وابتل دمعه وقدم
نذره ودعا الله ان يخير في ملكه وينجح فلجه ونصره ثم وثب الى
تعبيته من فيلته المغتلمة فحمل بها وبساير خاصته على قلب ايلك الخان
فاهوى الفيل الى صاحب رايته فاختطفه بها من سرجه ورمى به
في الهوا من فوقه وتخلل الاخرين خبطا بخرطومه وشكا بانيابه ودوسا
باظلافه واشتد اوليا السلطان على الاخرين بسيوف تلغ في الدما
وترشف احشا الاحشا فطارت قلوبهم هوا واستحالت قواهم هبا
وولوا على اعقابهم نافرين وتبعهم المطلب بطلبات القهر والقسر
الى ان لفظتهم خراسان الى ماورا النهر ولقد احسن السلامي في قوله فكانما
وصف حاله ومدح آثاره وافعاله

يا سيف دين الله بل ارضي العدى لو ان سيفك مثل كفك معدل
ما ان يبعث لهم بيانا في الوغى الا اطل عليه منهم ابطل

والروض من زهر النجوم مضرّج ... والماء من نار الترائب اشكل
والنقع ثوب بالنسور مطرّز ... والارض فرش بالجياد مخمّل
تهفو العقاب على العقاب ويلتقي ... بين الغوارب اجدل ومجدّل
ويسطو خيلك انما الفاتها متبر ... تنقط بالدماء وتشكل

وامتدح عند ذلك السلطان يمين الدولة وامين الملة ابا القسم الحسن بن عبد الله

ظهر الحق ثابت الاركان ... صاعد النجم عالي البنيان
وهوى للردى ذوو النكث والبغي ... واهل العناد والطغيان
ما الذي غرّكم بمحمود المحمود ... انكاروه بكل لسان
بابي القسم المعظم ظل الله ... في الارض صفوة المنان
من تناويه نهزة للمنايا ... غرض للحتوف والاحزان
اجهلتم بانه ملك الاملاك ... طرا وتاج هذا الزمان
ملك صاد من مضى من ملوك الارض ... لفظا وجاء عين المعاني
فخر المشرقان بالحظ منه ... فاستطالا فاشتاقه المغربان
ملك كادل ناد في ضعيف ... واخوه في حكمه سيان
اخذ الهند باليماني وحوى ... يمنا ان اباد بالهندواني
سيفه والمنون طرفا رهان ... يوحلق العدو يبتدران
خذ يميني بان سيخضع حقا ... لليميني كل سيف يماني
لو عصا خربع شمس اليمينية ... طلبت نجمك في الميدان
غاب عن غابه الهزبر لغزو ... الهند مستنزلا رضى الرحمن
نسطا باسه بطاغية الترك ... واهلا لشقاق والعصيان
طلعت راياته فولّوا ... كجاذيب ثلة من ضان
كم قتيل وكم جريح وغرقى ... واسير في القيد ذي ارسفان
طار ايدي عساكر ظنوا ... انهم ملكوا على البلدان
خطبوا الملك فاعترتهم خطوب ... جرعتهم مرارة الخطبان
فتحوا ارزهم في الشجوب الوف ... والوف تهيم في جرجان
وبمرو وفي القفار الجيحون ... قتلى ما كل الحيتان
جزر للسباع في كل فج ... طعم للنسور والعقبان
بارك الله ربنا في خميس ... ردّ عنا خمسين الف عنان
شربوا السم جام اول لما ... عشوا للشقا بالافعوان
ثم باذوا في العام بالعسكر المجر ... وبالحور والملاح الحسان
فاتى المرد فوق جرد المذاكي ... من خناذيذ اوبر الخصيان
بوجوه مضية كبدور ... طلعت جنح ليلها الاضحيان
صادموا الصخر بالزجاج وظنوا ... ان يصيدوا الاسود بالغزلان
ملك وهو في الحقيقة عندي ... ملك صيغ صيغة الانسان

وكتب ابو الفضل الهمذاني البديع الى الشيخ الوزير ابي العباس هذا
ورب الكعبة اخرجها في الجعبة لقد انقضّ اهـ الى القادة ونحى الشيف
ما قال ابن دارة ثم لا نزوة بعدها للترك ولا تحلم بعدها بالملك لقد
كاس السلطان اذ عفر لله شعره وعرض على الله فقره وفوض الى الله امره

١٠١

وأخلص لله نيته وناهض بالله حصنه وسأل الله حوله ولم يعجبه كثرة
الملاحم حين شد الله بذلك أزره وقوى أمره وأعز نصره وأقطعه
عصىّ وأطعمه ممالكه وأورثه أرضه إن الظفر بأسبابه والموثوق بأتي
الأمر بأبيه ولم يفضل منه إلا الجلاء ثم البلاء مساكنكم لا يحطمنكم
سليمن وجنوده كتب الله لأغلبن السلطان ورأى أن السيف أمامه
وخلفه إن الموت قدامه فأدركه أن أتاهم نومة ليس فيها حلم
إن المغازي قد عادت مخازي الأدبر نادم وذنب سوط ظالم وذنب
عبور إلى ثبور وذنب طمع يهدي إلى طبع إلا أن هذا الفتح فتح حفظ
على الشريعة ماءها وعلى السنة ذماها وعلى التفويض دماها وعلى الأموال
نماها وعلى الحرم غطاها أعاد الله به البلاد خلقا جديدا وأنشأ الناس
نشأ جديدا وعقد الملك عقدا طريفا فما أذكى يومه بأن تتخذ عيدا
ويجعل في المتصرفات تاريخا ولبس الجعفر مع الله بانشوطة فأوفوا الله
عهده كما عهدتكم وجده وأنا عهده عند السلطان أن يحسن النظر
وعهده عند الشيخ العميد الجليل أن يحسن المحضر وهراة من بين البلاد
شيعة هذه الدولة وعيبتها فأن تحط عن جملها العلاوة وأزيل عن
الأتاوة جمع عشرها الزيادة فلله هذا النظر ما أجلى ثماره وأكرم آثاره ولما
وضعت هذه الحرب أوزارها وأفاضت جمرة النصر أنوارها سنح للسلطان
أن يكبح أعنة الجنائب الهند للإيقاع بالمعروف بنواسه شاه
أحد أولاد ملوك الهند كان نصبه ببعض ما افتتحه من ممالكهم
خلافة على سبب تحويها وتحصين أطرافها وحدودها إذ كان قد استحوذ على
عليه الشيطان فارتد في حافرة الشرك وانسلخ عن جلدة الإسلام
وداطن زعماء الكفار على خلع ربقة الدين والانفصام عن عروة الحبل المتين
فغص من فوره إليه وحبب سيوفا يقطر من ديما تخالفه عليه ركضا
بادر أمواج البزاج وأقصر أوقات الظلام والإصباح حتى نفاه عن
مثواه وملك عليه جملة ما حواه وأعاد إلى تلك البقاع بهجة ملكه
وسلطانه وحصد نجوم الشرك عنها بحدّي سيفه وسنانه فذانك
برهانان من الله في إعلاء دولته وإشاعة دعوته وإعزاز نصرته
وإفلاج حجته ويسر الله دولة الانقلاب إلى غزنة مظاهرا لقربين نصرين
يتجاذبان فخامة وجلالة ويتباريان نباهة وجزالة وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر فتح قلعة بهيم نغر

ثم كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد أن فتح الفتحين وافتدح
النجحين عرج على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر الله على النعم المتاحة
وأقام بها شاحذا عزيمته لغزوة أخرى ترتفع بها جدود الإسلام
ويبعر لها خدود الأصنام وتنتكس عندها رايات الشيطان
في ... للغواية شدة وحبل للضلالة مدة إذ كان من بعد همته ...
خلاف الطباع البشرية في استحسان المضجع الوثير واستحباب
على الوتير واختيار قرع الأسنة والعوالي على نقر المثالث والمثاني
وترجيح خدود المواضب على خدود البيض الكواعب

حتى خ أم — ذكر — اجال الرعايا — تركيه — واختصر — الاظلام خ — جدود خ — رايه صح — البيض صح

كل ذلك لمجد يبتنيه وصيت يقتنيه وعز يحويه وسعى يتقرب الى الله
به وفيه حتى اذا انسلخ شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة استخار
الله في اتمام ما نواه واستدراج ما توخاه الجامة وسار متوكلا على الله الذى طالما
اطعمه نصره وعرفه صنعه حتى اذا انتهى المسير به الى شط ويهند
لاقاه ابرهمن پال بن انند پال في جيوش تجيش بسود الرجال وبيض الصفاح
وزرق الرماح وزهر الدروع وذكر الفيول واقترنت الحرب عن انيابها
العصل وتوالت الحملات كانتها ذى لوامع الشهب وتوالى فوارع السحب
وكادت رحا الطعان والضراب طاحنة كل نديب شجاع وقرم
مطاع وامتدت الوقعة من طفولة النهار الى كهولة الطفل حتى اكتست
الارض لون الشقايق من دما الطلى والعواتق وكادت تدور للكفار
دايرة لولا ان الله تعالى اعان السلطان على حملة في خواص غلمانه
كسعت ادبارهم وبحثت عن مغامهم اثارهم واغنمه ثلثين فيلا كالشخاص
القصور بل كامواج البحور واقبل اولياؤه يحثونهم اثى يتقفونهم من بطون
الاودية والشعاب وظهور الفيافي والهضاب واقتفى السلطان بنفسه
اثره بين تلك المهارب مستنجزا وعد الله في نصرة دينه وتكل كل
ذى نفاق وشقاق جبينه ما فضى به الطلب الى بهيم نغر احصن
قلعة بنيت على حرف طود رفيع خلال ما منيع وقد كان ملوك
الهند واعيان اهلها وجماعات النساك من ذوى الاملاك بها
يدخرونها مخزنة للصنم الاعظم فينقلون اليها قرنا بعد قرن

من انواع الذخاير واعلاق الجواهر ما خف اوزانه وثقل عند
السوم قيمته واثمانه عبادة بزعمهم كما يفيد منهم الحسنى ويقربهم
الى الله زلفى فصادف السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة
الاحقاب بما لا تقله ظهور الاجمال ولا تسعه اوعية الاجمال
ولا تنسخه ايدى الكتاب ولا يدركه فكر الحساب
فحشر عليها جنوده وضرب حواليها بنوده وانبرى لقتال
مستحفظيها بقلب جرى وانف حمى وعزم ذكى وبطش
قوى ورأى بالصواب ورى ولما رأى القوم غصص تلك الشعاب
بمغاوير الجنود ونظاير النبال صعد الكثيب الوقود استفزتهم
الرعب والوجل والوى باحلامهم الخوف والوهل فتخيلت ابصارهم
تلك الربوق فتوقا وهابتك لسدود فروجا والسكور بثوقا
وسخرتهم دولة السلطان فهرت بهم كلاب الادبار والخذلان
واعشيتهم وجوه الامن الا من جانب الاستيمان فتنادوا اجميعا
بشعار السلطان وفتحوا باب القلعة وجعلوا يتساقطون الى
ارض الامان كالعصافير اخرجتها البواشق والغيوث جادت
بها الغيوم البوارق وفتح الله تلك القلعة على السلطان فتحا
يسيرا وآتاه من لدنه صنعا كبيرا واغنمه ملا مفرح النفوس
من بنات المعادن والبحور وزاينات القصم والنحور ودخلها
في والى الجوزجان ابى نصر احمد بن محمد الفريغونى وسابر خاصته

ووكّل حاجبه الكبير بن التونتاش وآسغتكين بخزاين العين والورق
وساير ذوات الاخطار والقيم وتوكل بنفسه بخزانة الجوهر فنقل منها
ما اقلّته ظهور جماله واستحمل سايرها اعيان رجاله فكان مبلغ
المنقول من الورق سبعين الف الف شاهية ومن الذهبيات
والفضيات سبع مائة الف واربع مائة منا وزنا ومن اصناف
الثياب التسترية والدبابيج السوسية ما انطق مشايخ الزمان
والطاعنين في الاسنان انه لا عهد لهم بامثالها صنعة وتفويفا
وتزيينا وتلطيفا وفي جملة الموجود بيت من الفضة البيضا
كهيئة بيوت الاغنيا طوله ثلثون ذراعا في عرض خمسة عشر ذراعا
صفايح مضروبة مهيأة للطي والنشر والنصب والحط وشراع من
ديباج الروم اربعون ذراعا في عرض عشرين ذراعا بقايمتين من
ذهب واخريين من سبيكة فضة ووكّل السلطان بتلك القلعة
من ثقاته من يراعيها ويؤدي امانة الاستحفاظ فيها وكرّ
عايدا الى غزنة في ضمان النصر والاظهار وقران اليسر واليسار
ولما القت عصاه جانب الاقتراب بها امر بساحة داره ففرشت
بتلك الجواهر من درر كالنجوم الثواقب قد سلمت على الايدي الثواقب
ومن يواقيت كالجمر قبل الخمود والخمر بعد الجمود ومن زبرجد
كاطراف الآس نضارة او ورق الاقحوان غضاضة ومن قطايع
الماس كمثاقيل الرمان في المقادير والاوزان واجتمعت

وفود الاطراف على ادراك ما لم يرو في كتب الاولين اجتماع مثله
لاحد من صناديد القروم وملوك العجم والروم وحضر ذلك المشهد
رسل طغان خان ملك الترك اخي ايلك فراوا ما لم تره العيون
ولم تبلغه الظنون ولم يملكه قارون صنع الله الذي امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون

ذكر آل فريغون

قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون ايام آل سامان يتوارثونها كابرا
عن كابر ويوصي بها اول الى آخر وهم اشراف النفوس والهمم كرام
الاخلاق والشيم وطاء الاكناف لنزاع الاطراف خصاب الرحال
لوفود الآمال دابهم اجلال قدر الآداب ورفع درجات الكتاب
وافتراض حقوق الاحرار واعلاء اسعاد الاشعار فكم من غريب آواه
اجنابهم ومن اديب اغناه سلطانهم ومن كسير جبره انصافهم
ومن حسير انهضه عطفهم والطافهم وكان ابو الحرث احمد بن محمد
غرة تلك الدولة وانسان تلك المقلة وجمال تلك الحلة وطراز
تلك الحلة فيما يؤتى من كرم خصيب وكنف رحيب وشرف رغيب
ومرتقى همة بعيد ومستقى نايل قريب وقد كان الامير سبكتكين
خطب اليه كريمته على السلطان ثم اوجب لولده ابي نصر احمد بن محمد
كريمة له فانتسجت اللحمة واشتبكت العصمة والتحمت الوثايق واستحكمت
الاواصر والعلايق ولما مضى ابو الحرث لسبيله ورثه ابو نصر ابنه فاوجب
السلطان اقراره على ولايته ايثارا له بفضل رعايته وعنايته



الى ان قضى نحبه فى شهور سنة احدى واربع مائة واقرانى ابو الفضل احمد
بن الحسين الهمذانى المعروف بالبديع كتابا له اليه جعله مقدمة الوفود
عليه فناله به من رغائب الايادى ما ملا يديه كتابى والبحر وان لم
اره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك
العادل وان لم الق لقيته فقد لقينى صيته ومن راى من السيف اثره
فقد راى اكثره وما زلت ايد الله الامير اسمع بهذا البيت القديم
بناوه الفسيح فناوه الوجيه اباوه الكريم ابناوه وانشد من هذه
الحضرة ضالتى والعوايق تمنعنى بيرة تربى خبيرة والزمن الحرون يقعد بى
ويثور فكم من عام عزمت وابت المقادير ونويت وعرضت معاذير
والان لما وفقت لهذه الزورة اختلفت على اخبار الملك العادل مستفزه
واختلفت باختلافها مرة فى قوبين الطريق ومرة فى دبره على اعقابه
اثره حتى بلغت مبلغى هذا ثم وسوس الى الشيطان تقديرا مقدرا
انى اقصد هذه الحضرة طامعا فى ماله او طامحا الى نواله وعظم سلطان
هذه الوسوسة حتى كاد يثنينى عن ذلك الحظ من طلعته ولم ابعد
ما القاه فى خلدك ان يكون ذا نسلب ثالثة الظنون ان تنصرف
فى قصدك الا الى معرفة او قيعها او خدمة او دعها او مدحة
اسمعها او بجعة ابثها عما شئت اذخر هذه الدولة لمملكة اغصبها
او راية انصبها او كتيبة اغلبها او دولة اقلبها فاما الدرهم والدينار
فدفعهما الى ونزعهما من يدك سوا لدى لا اشكر واهبها ولا اشكو

سالبهما ارى فى القناعة وتنافى القصاعة بختا لا يبعد بى الى
المال اذا اردته ولا يحوجنى الى ركوب العقاب وسلوك الشعاب
مهما قصدته بل يجيئنى فيضا ويتطفل على ايضا وهذه الحضرة حرسها
الله وان احتاج اليها المامون ولم يستغن عنها قارون فانى
اجب ان اقصدها قصد موال لا قصد سوال وان رجوع عنها
بجمال احب الى من الرجوع بمال قدمت التعريف وانا انتظر الجواب
الشريف فان نشط الامير لضيف ظله خفيف وضاله رغيف
فليخرج له بالاستقبال طاير الاقبال والسلم والحمد لله شكرا
وله فيه لما قصد عن فنايه متنقلا بنعايه
الم تر انى فى سفرتى لقيت المنى ولقيت الاميرا
لقيت امرا اهلا عن الزمان يعلو سحابا ويرشو ثبيرا
ولما التقينا شممت التراب وكنت اجله ان اشم العبيرا
فلا يعدم الملك ذا روعة يمون المنى ويبز السريرا
بال فريغون فى المكرمات ندى اولا واعتلاء اخيرا
ولابى الفتح البستى فيهم
بنو فريغون قوم فى وجوههم سيما الهدى وسنا السودد العالى
كانما خلقوا من سودد وعلى وسائر الناس من طين وصلصال
من تلق منهم تقل هذا اجلهم قدرا واسخاهم بالتفريق المال
يا سايلى ما الذى حصلت عندهم دع السوال وقم فانظر الى حالى
الا ترى ان حالى كيف قد حليت بهم الم ترحالى عند ترحالى

رغائب
عنهاه
تمضى
تراءى
لقيت المنى والغنى والاميرا

فان اكن ساكتا عن اشعهم فان ذلك لعجزى لا اغضا

ذكر القادر بالله امير المؤمنين واستنصابه منصب آبائه الراشدين عليهم السلام

واستقرار الامامة عليه وانعقاد البيعة له بعد الطايع لله امير المؤمنين
لصبره وما اشتبك من الحال بين السلطان يمين الدولة وامين الملة
وبين الامير بها الدولة وضيا الملة ابي نصر بن عضد الدولة في زمانه
قد كان بها الدولة وضيا الملة نقم من الطايع لله امورا اجتنيه بها
عن عزم وفاقه وعدوله بها عن حكم استحقاقه فدعاه ما توالى عليه
من خلاف رضاه الى مراعاة مصلحة الدين والملك باختيار من
يدعى حق الامامة ويتولى حياطة الخاصة والعامة ويعزل هوى
النفس في اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين واظهاره وحماية الملك
من انتظاره وجعل يتلطف في التدبير عليه الى ان تمكن منه فخلعه
واحتوى عليه وعلى ما كان جمعه وذلك في شعبان سنة احدى وثمانين
وثلثمائة وارسل الى البطايح وبها القادر بالله ابو العباس احمد بن اسحق بن المقتدر
بالله فاستقدمه دار السلام لعقد البيعة له تجديدا للشملة ونظرا للامة
وابتهاجا للالفة واجتنابا للمصلحة الجلة فقدمها في شهر رمضان
من هذه السنة وتسارع الناس الى مبايعته واصفقوا على طاعته
وتراضوا عن طيب النفوس بامامته وتناهبوا شكرا لله على ما
اتاحه لهم من بركات خلافته ثقة بما اشتهر في الآفاق
من مناقبه الغر وضرايبه الزهر وفضايله المسطورة على صفحات
الدهر فقام بما قلده الله تعالى من طوق الامامة مفوضا اليه امره
ومتوكلا عليه وجده فلم يرى في مقر من سرير الخلافة اوفر منه حجا
واوفر اناة واصلب قناة واصدق ثقاة وارضى سيرة
واذكى بصرا وبصيرة وازكى علنا وسريرة واتم جلالة وجزالة
واعم سيبا وحراسة ثم ولا اقوى منه جنانا ولا ابذل بنانا
واجرى لسانا واعدل عقابا واحسانا وعطفته عاطفة القربى
على الطايع لله فاستخصه لمنادمته واجتباه لمصاحبته والحقه
جناح رعايته وحمايته تفاديا من غضاضة تلحقه في زمانه او نكبة
ترهقه في ظل سلطانه وجانب امانه الى ان فرق بينهما الدهر
المولع بالتفريق واخذ الرفيق من الرفيق ورثاه ابو الحسين محمد بن الحسين
بن موسى العلوي الموسوي بقصيدة منها

ان كان ذاك الطود خر فبعدما استعلى طويلا
موف على القلل الذواهب في العلى عرضا وطولا
ترنو بسدد لحظة فيرى الفقوم له مستقيلا
ويرى عزيزا حيث حل ولا يرى الا ذليلا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلى الاقل الاقراب لا مثلا يعد ولا عديلا
من معشر ركبوا العلى وابوا على الكرم النزولا
غر اذا انتسبوا لنا الغرر اللوامع والحجولا

زمانا طويلا

مشرق

يا ناصر الدين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي مُليت مضاربه فلو لا
يا كوكب الإحسان انجلت الدجى عنا أفو لا
يا غارب النعم العظام عدوت محمودًا جزيلا
لهفي على ماضٍ مضى إلا ترى منه بديلا
وزوال ملك لم يكن يومًا نقدّر أن يزولا
ومنازل سطر الزمان على معالمها انجلو لا
من بعد ما كانت على الايام مبس باة نكو لا
والاسد تركز القنا فيها وتربط الخيو لا
من يسبغ المنن الجسام ويصطفي الحمد الجزيلا
من ينبح الآمال يوم تعود بالليان جو علا
من يورد النيم الطوال ويكشف الخطب الجليلا

وانثال خطبا العراق وشعراؤها كاعراف الجياد على مجلس الخلافة
في امتداح القادر بالله امير المومنين وذكر ما ثر ايامه ومفاخر
اسلافه من ينابيع الكرم وينابيع الحلم ومصابيح الظلم ومجاديح الامم
وليوث البهم وغيوث الهجم وبلغني ان مقاماتهم مدونة
بالعراق من بين منظوم ومنثور وفقر وشذور فلا حاجة بنا
الى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها وحل لي ابو محمد عبد السلام
بن محمد بن الهيصم احد اعيان الكرامية بنيسابور قال قمت في

مجلس القادر بالله امير المومنين خطيبا بحضرة بني هاشم ومشايخ
بغداد واعيان الحجيج فقلت الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة
الباهرة والنعم المتظاهرة الذي عم احسانه ودام سلطانه ولطف
شانه فلا راد لقضا به ولا مانع لعطا به ولا معقب لحكمه ابتعث
محمدا صلى الله عليه وسلم من جرثومة العرب مولدا وافضل جراثيمها
محتدا واطولها نجادا وارسخها في المكرمات اوتادا فايده احسن
تأييد واكد امره افضل تأكيد حتى استقل الدين به ناهضا
واضمحل الشرك داحضا وظهر امر الله والمشركون كارهون فعليه
صلوات الله عدد الرمل والحصى ما طلع عليه شمس الضحى وعلى
آله الطيبين ثم قيض الله من بعده للخلفا الراشدين لتمهيد الدين
وتوهين كيد الملحدين فبسطوا للاسلام بساطه ونهجوا لاهل الآفاق
صراطه الى ان تأدى الامر الى ذويه من آل رسول الله صلى الله عليه
وبني صنو ابيه فاقاموا الاسلام على اوده واسندوا الامر الى مسنده
معتصمين بنصر الله صادعين بامر الله معظمين لحرمات الله
ومتلم جرا الى ان تاكدت بيعة الخلافة بامير المومنين القادر بالله
فبهر نوره العالمين وشفى ذكره صدور قوم مومنين من بعد التوا
من اظهر العناد والتزول من قصد العناد واني الله الا نصرة الحق
وادالته وقمع الباطل واذالته لقد حدثني محمد بن الفضل الحلواني
قال حدثني الصولي عن المبرد ان العباس بن ابي عبدون حدثه

ان سعيد الخطيب لما بايع الفضل بن مروان المعتصم بالله امير المومنين قام في الناس فقال

بايعت منبسطا ولم انبسط كفي لبيعته قطعت بنانها
من ذا اليه لا يمد يمينه قطع الاله يمينه فابانها

ولولا الدخول في خدمة امير المومنين ما تقارب هذا او يشاكله وذلك
لله اظهر معتنه لوارد كتابه على حين التوامن القوى بناحية بلخ وقال فيها

سبقت يميني نحو بيعة قادر بالله لما حالفته يد المعتدي
ما ضر بيعته التوامن القوى والله منبر منها بمكنون التزيد
ولقد اراه احق من وطى الحصى بوراثة الشم البهاليل الغرد
فلاخلعن القلب متى ان ابى ولا قلعن العين ان زاغ البصر

وها انا قد ساعدني توفيق الله حتى وطيت بساط امير المومنين شاكرا
ما انعم الله علينا بولي امير المومنين محمود بن سبكتكين فانه في بيته
كابيه والله نسال ان يديم سلامة امير المومنين وان يبلغه
امله في الامير ابي الفضل ولي عهد المسلمين الغالب بالله
ابن امير المومنين ويلحقه بسعادة ابايه الراشدين واسلافه الطيبين
الطاهرين والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد واله اجمعين
قال غامر القادر بالله امير المومنين بان تنسخ الخطبة في جملة
اخواتها المسطورة المخزونة ولما ابتهجت منابر خراسان بذكر
القادر بالله امير المومنين على ما اوجبته طاعة السلطان يمين الدولة
وامين الملة في اقتفاء محجته واقتفا خليفته وحجته كاتبه

بابتداء ما افضا الى ابنه ابي الفضل بعهده في ولاية امور المسلمين
من بعده وتلقيبه بالغالب بالله وبهم توفيته واحجته
والحاق ذكره على المنابر باسمه وطبع النقود على ذكر تلقيبه فاوجب
السلطان يمين الدولة وامين الملة مطاوعته فيما امر ومتابعته
في جميع ما يدبهم تتقارب ذكراهما في الخطب وترافق اسماوهما على طبقات
الفضة والذهب وسنعود الى ذكرهما الدولة وضيا الملة من لدن
استاثر الله بعضد الدولة وتاج الملة ابي شجاع فناخسره والى ان
افضى الامر اليه واستقر الملك عليه وفيما نطق به كتاب الصابي
المعروف بالتاجي من وقايع عضد الدولة مع بختيار الى ان اظفره الله
به فقضى عليه بحلب حسامه وجرعه كاس حمامه واحتياله
على ابي تغلب ناصره بعد انهزامه الى ان امكنه التدبير عليه
بابن الجراح احد المتغلبين من الاعراب على حدود الشام فقتيصه
لا قتناصه بصيابة اهلها اليه واطماع اكيدها له فعقله وقتله
وحمل اليه على اوته ما يغني عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله
وذلك في رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلثمائه عند اشتغال اخيه
موييد الدولة بوية بمحاربة حسام الدولة تاش وعبيدها بابق في
عساكر خراسان اجتمع ابنا دولته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة
فبايعوه متوازرين وتوافقوا على طاعته متظاهرين واتاه الطايع
لله امير المومنين في حراقة على ظهر دجلة يعزيه عن ابيه

الورق

وتبادر عوام الناس نظارة له حتى اذا قرب منه برز اليه صمصام الدولة
فجشم وجهه بميسم الطاعة وحق الخلافة فقال له الطائع لله
نضّر الله وجه الماضي وجعلك الخلف الباقي وصبّر التعزية بعده لك
ما بك والخلف عليك لا منك فاذرى على خدّيه دموع عينيه وبادر الى
الصعيد شكرا لما منّ به عليه ثم انتصب منصب ابيه فاجرى الامور
على استقامتها وتدبّرها بسياسة عامة وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس
شيرزيل بن عضد الدولة غائبا الى مدينة واشهر من ارض كرمان فلما
بلغه نعي ابيه كرّ راجعا الى فارس وقبض بها على نصر بن هرون النصراني
وزير ابيه فاستوفى عليه جواصل اموالها وبقايا اعمالها وامتد منها الى الاهواز
فملكها على اخيه ابي الحسين احمد بن عضد الدولة وغلب على البصرة معها
وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائه ثم استعد لقصد بغداد
طلبا لمكان ابيه واستضافة لما في يد اخيه الى ما بايد ماليكه وسار حتى اذا
وافاها تلقاه صمصام الدولة بما اوجبه حق سنّه عليه اجلالا ومهابة
ومداراة ومقاربة تفاديا من ضرر استيحاشه وعدوى مسانّته علما
بأن غمدا واحدا لا يسع سيفين وان جلدا لا يضم سهمين فقبض به
ابو الفوارس التي رفع محله ثم خلعه وكحله وامر به الى القلعة بكرستان
من ارض عمان واستولى على المملكة ولقّبه الطائع لله بشرف الدولة
وزين الملة فبقي على جملته سنتين وتجنّبه حلم الله ثم في جمادى الآخرة
سنة تسع وسبعين وثلثمائه فقام شاهانشاه بهاء الدولة وضياء الملة

ابو نصر بن عضد الدولة مقامه وتجرّد لضبط الامور المائرة وتلافي المائلة
الحال الحائلة وكفل بامر الملك كفالة خبير بالتجارب بصير باعقاب
العواقب ولما لاذ الاتراك بفارس صمصام الدولة فابرزوه من معتقله
وحمله غلامه المعروف بسعادة على عاتقه متحدرا به فملك فارس وما
والاها وتتبّع اموالها جباها ثم تنكّروا له من بعد وقدّموا ابا علي بن ابي الفوارس
وعقدوا له الرياسة عليهم ولقّبوه شمس الدولة وقمر الملة وتجرّدوا
للدفاع عنه والذبّ اليه فانتدب لمواقفتهم الى ان هزمهم اقبح هزيمة
وغنمهم ابرد غنيمة فخنسوا الى بغداد صاغرين خاسرين وتحرك
بهاء الدولة وضياء الملة لقتال صمصام الدولة فتناوشا الحرب وصالا
ككعوب الرماح ما بين المساء والصباح حتى خربت البصرة وتلاها
في الخراب اكثر كور الاهواز وقد كان اولاد بختيار محتبسين في
حصار بناحية فارس فاستثار لهم طائفة من الاكراد الخشن وكيد عن
معتقلهم موقدين نار الفتنة باستثارهم وفك عقالهم فناصبهم الحرب
مستكفيا شرهم ومستبدا بقعا باسهم وضرّهم واختلف به الوقائع في
تلك الفتن الثائرة والاحن الفائرة فكانت عقباها ان اجلب عنه قتيلا
وتذمّر بهاء الدولة للحادثة عليه فارصد الجناة بطائلته حتى شرّدهم
كل مشرّد وطرّدهم كل مطرّد والجأ اولاد بختيار الى الجلاء عن تلك
الناحية وتغييبهم يومئذ ابا لادن بختيار الملقّب بنور الدولة وكان
من امره انه انتبذ عنها مدحورا مثبورا فاضطرته الحال الى خفارة

التجار في تجاراتهم واجازاتهم على مراصد المقطع بيضا عاثهم على حرج يستعيض
به من جهتهم على مؤن مجاشه وذياشه واستعدت بها الدولة بجيش
واقعوه بواشمر فغلبوه ووصلوا اليه فقتلوه وحمل منهم غلام راسه
الى بهاء الدولة فامتعض للرحم المدانية واللحمة الحانية من تشجعه على — جراته
ملاقاته به فامر بالغلام فسلخ جلده من قرنه الى قدمه عبرة لمن — على ملاقاته بها الظاهر
اقدم على ملك بسفك دمه وبعث بالعميد بعميد الجيوش الملقب بالحاجب
الى بغداد لمراعاة تلك الاعمال واستيفاء حقوق بيت المال فاستبدت
سيرته وحمدت في العدل بصيرته وعمر برفقته حجيج بيت الله الحرام
بالافضال والانعام فانطلقت بشكره السنة الخاص والعام الى ان
قبضه الله اليه فسد مكانه بوزير الوزرا زيادة في النظر للرعية
فادنى على عميد الجيوش الاحسان الى الكافة اصلاحا لهم وترفقا بهم
وتحرجا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة منضافة
الى سائر اعماله وتعدت الفتن القائمة عن سوقها في زمانه — علي
فعم الامن والسكون وشمل الرفق والهدون واستراح عباد
الله مما كان يقدحهم من وطاة الجيوش ويلحقهم من معرة اختلاف
السيوف وقد كان ابو علي بن الياس تملك كرمان ايام عضد الدولة
لآل بياكان واقام بها مدة من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا
يدافعه عنها مدافع وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان
اشفاقا من معرته للوثبة راها في رايه واضطراب تلبيه

في وجوه شمايله واخايله ولبث عنه مدة يكابد فيها ضرا وشدة
فاتفق ان اشرف بعض نساء ابيه وجواريه عليه فرثين لضيق مكانه وتدبرن
في وجه خلاصه وعمدن الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض وخلصنه بها عن
معتقله وتتابع اهل العسكر بخلاصه وانحلال عقاله فتجمعوا عليه وانقطعوا
بجملتهم اليه ممالاة له على ابيه لجفوات نقموها منه وبلغ اباعلي خبر الحادثة
فارسل الى ذوي التجارب والتالب باجتماع عامتهم اليه فاظهروا
التضجر بمكانه والتبرم بطول زمانه وساموه مفارقة كرمان لتستقر الامر
على ابنه اليسع بطاعتهم له وتوجيهم مفارقته فتعرك ابو علي قولهم بحسب — عرك اي دفن
المداراة والاحتمال في عاجل الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال
وكر عايدا الى بخارا مخليا بين اليسع وبين تلك الولاية واقام تقفيته
بسنو بن مهدي وترشيش الحاجب على خدمة اليسع وكفالة امره — لبشر بن مهدي
اذ كانت حداثته تقتضي استخلاف مثلهما في دعامته وقوة يديهما على
حضانة اموره وتبصرة الرشد في وجوه تدابيره ولما وصل ابو علي الى بخارا
بولغ في تعهده واكرام مورده واحلاله من الايثار والاكبار بمحل مثله
الى ان توفي بها في شوال سنة ست وخمسين وثلثمائة فاما اليسع فانه
ولي كرمان فحمى اطرافها وجبى اموالها وكان اخوه سليمان مقيما بسيرجان
واليا عليها فاغراه بسنو بن مهدي به واشار عليه بمعاجلته قبل
انتظام شمله واستمرار حبله فكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغني
عن مفاوضته فيه فامتنع عن الاجابة بعلل اخترعها ومعاذير نحلها

وضاق البسع به ذرعا ولم يجد من مناجزته بدا فنهض اليه محاربا حتى
هزمه وغنم ماله فوضع سليمان الى بخارا واطمع البسع نزوق شبابه
في مغالبة عضد الدولة ابي شجاع على بعض حدود عمله فكان مثله مثل
العير طلب قرنين فضيع الاذنين وذلك انه لما بلغ مفرق الحدين بين
كرمان وفارس اتاه صاحب طليعته بطائفة من المستامنة
من عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصب الخلع عليهم ثم هرب منهم
نفر راجعين وراءهم فارتاب البسع بهم بمن فقا بهم وظن ان وراء
استيمانهم حيلة او غيلة فاوسعهم تنكيلا وعمهم بالعقاب قطعا
وتمثيلا واستامن عنه الى عضد الدولة جملة من رجاله تحملهم رجالهم
ووصلهم ومناهم فلما راى اصحابه تباعد ما بين الامرين تالبوا
عليه وتغيروا له وتحزبوا عنه واسلم من جملتهم صفقة واحدة
الف رجل من وجوه الديلم الى معسكر عضد الدولة وهو بناحية اصطخر
وفسا الظربان بين الاخرين فجعلوا يتسللون لواذا ويفرقون جميعا
واشتاتا حتى انفض عنه عامة اهل عسكره وبقي في خاصة غلمانه
وحاشيته فاضطر الى معاودة واشهر واسرع منها بعياله وبما خف
عليه جملة من اثقاله نحو كابا لا يلوي على شي دون الاعداد في السير
وطي بساط الارض بحوافر الخيل فلما اتصل خبره بعضد الدولة بادره
على اثره الى واشهر فملكها واستصفى اموال الياس بها ثم استخلف عليها كورتكين
خوش بن جستان ورجع عنها الى فارس ولما ورد البسع ناحية جوين

من حدود قهستان خلف اثقاله وغلمانه بها وركب الجمازات
نحو بخارا للاستنجاد وطلب الامداد ولما وردها قرب محله ودعي
له حقه واستحضر مجلس الانس تخصيصا بمزية الاكرام والاثرة فلما
تدبر عليه سلطان الراح لم يتمالك ان قال لو عرفت قعود اليهم
بالكسامان عن اغاثة الراجين لها والاجين اليها لطلبت غير هذه
الحضرة ملاذا ومعتصرا فخشن بعض هذا المقال منه وامر به فنفي
الى خوارزم وبلغ ابا علي بن سيمجور حاله ومقاله فبعث الحجري
بمن قبض على غلمانه وامواله فنقلهم واياها اليه غنيمة خالصة
عن ايدي الاعتراض والاشتراك واصاب البسع بخوارزم رمد اقلقه
واكمده واستنفد وسعه وجلده وحمله الضجر بالالم على ان فقا عينيه
الرمدة بيده فسالت على خده وكان ذلك سبب هلاكه وحينه
ولم يظن من اعقاب الياسية بعد وركمان احد بعقبه وازداد
باع عضد الدولة طولا وعزة وارتفاعا وسموا الى ان ورثها الدولة
وضيا الملة فاجرى امورها بمجاريها الموروثة في الاطراف وبسط العزل
الكف والانصاف ولما ملك السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان
وافتتح سجستان وحصل بين ولايته وبين تلك البلاد دماد الجوار
فاتحه بها الدولة بكتبه خاطبا لكريمة ودوده على صداق قلبه
المعهود بموالاته المقصود على تطلب مرضاته ووصل ذلك بهدايا
ومبار لا قت برحب صدره وعلو همته وقدره فاجابه السلطان
يمين الدولة وامين الملة

حين عند التفرق بحيث لا يجتمعون وذكر ان الظربان اذا فسا بين عضو قطيع من الغنم تفرقت ولهذا سمت العرب الظربان مفرق النعم وهو دويبة لا يطاق نتنها

الى ما خطبه واوجب له مثل ما اوجبه والتحفه بابدع من الوداد
والكد الاتحاد وقضى حق المكافاة او زاد وتشوفت الحال بينهما الى
زيادة عصمة تتجدد بها البنوة والمناسبة وتشترك فيها الاقارب والاباعد
فتوفر مشايخ الدولتين في تسبيك اللحمة وتوشيح اسباب القربة
الى ان اتاح الله من ذلك ما عم القاصى والدانى فايدته وشمل الحاضر
والبادى والطارف والتالد نفعه وعايدته

ذكر وقعة نارين

ونشط السلطان يمين الدولة وامين الملة فى
سنة اربع مائة لغزوة فى ديار الهند ينكا بها قرح نكاياته فيها
تقربا الى الله واحتسابا للمثوبة من عند الله فنهض نحوها تحت
الخيول ويخترق الحزون والسهول الى ان توسط ديار الهند
فاستباحها واذل لقاحها ونكس اصنامها وعرض على السيوف
اغتامها وسار على هينته نحو مقصده واوقع بعظيم العلوج وقعة
افاء الله بها عليه امواله واغنمه فيلة خيوله وافياله وحكم فيهم سيوف
اوليائه يجتثونهم بها بين كل سهب وفدفد ويجزرونهم عند كل
مهبط ومصعد وعاد بهم الى غزنة باحواز من تلك الغنايم الموفورة
سالما غانما وافرا ظاهرا ولما راى ملك الهند ما صبه الله عليه وعلى
اهل مملكته من سوط العذاب بوقايع السلطان يمين الدولة
وامين الملة فيهم ونكاياته فى قاصيهم ودانيهم وايقن انه لا قبل
لهم بثقل وطاته وخشونة جانبه ارسل اليه اعيان اقاربه وقرابينه

ضارعا اليه فى هدنة يقف فيها عند امره ويتبسط له بماله وتوفيره وتجريد
اوقات دياته لنصره على ان يعود اليه بادى الامر خمسين فيلا يعد
اجادها باضعافها ثقل اجسام وخفة اقدام ويحمل معها من الاعاظيم
الخطر كبير القدر بما يضاهيه من مبادى تلك الديار ومتاع تلك
البقاع وعلى ان ينادب كل عام بين افناء عسكره فى خدمة بابه بالفى
رجل بادين وعايدين الى اتاوة معلومة يلتزمها كل سنة سنة
يتمسك بها من يرث مكانه ويقوم فى كفالة الملك مقامه فاوجب السلطان
اجابته الى ما التمسه لعز الاسلام ببذل طاعته واعطايه الجزية عن يده
وبعث اليه من طالبه بتصحيح المال وتوفير الافيال فنفذ ما وعد
وقدم الوفا بالشرط وبعث بمن ضمن تجهيزهم الى بابه من خواص
رجاله على جملة الخدمة واقامة رسم الطاعة فانعقدت تلك
الهدنة ودرت تلك الاتاوة وتتابعت القوافل من ديار خراسان
وبلاد الهند فى ضمان الامان وجوار الحيطة والاحسان

ذكر غزوة غور

اتفق للسلطان يمين الدولة وامين الملة
مكث فى جبال الغور وتمرد اهلها وتمنعهم على عطايهم عن حيطة الدين
وسمة الاسلام وحصولهم فى المقلة من عين حوزته والمركز من دايرة
مملكته وتاذى المارة والسابلة بحيث ارصادهم وعيث قطعهم
وافسادهم لاستطالتهم بمناعة جبالهم الشواهق ومجال مسالكهم
المتضايق فانف للدولة القاهرة من ان يخليها على غلق اقفالها

هيبته

ووردهم

من

السابلة المختلفة فى الطرقات

١١١

العزم همته

وشدة رتاجها فصمم العزم على تدويخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع
نعرة الاستطالة من رؤوسهم واستلال وحرة العصيان من صدورهم
وأجلب عليهم بخيله ورجله معولا على صنع الله وفضله وقدم امامه
والي هراة التونتاش الحاجب ووالي طوس ارسلان الجاذب فسارا
متقحمين مضايق تلك المسالك الى ان افضى بهم الدروب الى مضيق
قد غص بكماة الغورية ممن لفظتهم الحزون القاصية والجبال المتنائية
فتناوشوا الحرب تناوشا بطلت فيها العوامل الا الصوارم في الجماجم
والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان على حر الكريهة حتى سالت لهم
نفوس وطارت عن الهام رؤوس وبلغ السلطان حر الفريقين فجرد
من خواص رجاله وجعل يلجئهم الى ما وراءهم شيئا فشيئا ويملك عليهم
ملاجئهم شعبا فشعبا الى ان فرقتهم في عطفات الجبال الشوامخ والحقهم
بقلل الراسيات البواذخ واستفتح الحال الى عظيم الكفرة المعروف
بابن سوري فتغزاه في عقر داره واحاط به من جوانب حصاره وهي
في قصبة تدعى آهنكران وشد عليه الحرب وبرز البطل في زهاء عشرة آلاف رجل
رجال كانما خلقت قلوبهم من حديد واكبادهم من جلاميد لستالبيون
باهوال الوقايع استيناسا بين الظما بما الشرايع فصافوا عسكر السلطان
مرعدين بالبطش والباس ومبرقين بصوارم الاسياف وجعلوا يهرون
في وجوههم هرير الكلاب اعيا ... ها الزاب واحرجتها الاجار فامر السلطان
بمداركة الشد عليهم على ما اوجبه حكم الاحتياط اذ كانوا مستندين

ومعامسة

امر عامر الملوك فرس
ابن بوي لم

الى معاقل وثيقة ومعتصمين بخنادق عميقة حتى اذا انتصف النهار
على وقاحتهم في مغامسة الحرب ومصابرة الطعن والضرب اشار
بتوليتهم الظهور على وجه الاستدراج والاغتيال فاغتروا بالخدعة
الانقلاب وانفصلوا عن مواقفهم الى فسحة الفضا لاغتنام فرصة الانهزام
فكرت عليهم الخيول بضربات غنيت بدواتها عن اخواتها فلم يرتفع
منها واحدة الا عن دماغ منثور ونياط مبتور وصريع في تلك
المعركة الواحدة بحال كهشيم محتظر واعجاز نخل منقعر وملك الاسير
عظيمهم المعروف بابن سوري باقربيه وذويه وحواشيه وافاء الله على
السلطان ما اشتمل عليه حصاره من ذخاير الاموال والاسلحة
التي اقتناها كابرا عن كابر وتوارثها كافر عن كافر فامر السلطان باقامة
شعاير الاسلام فيما افتتحه من تلك القلاع والبقاع فافصحت بذكره
منابرها واشترك في عز دعوته باديها وحاضرها ورجع بعد ذلك
عن وجهه على جناح اليسر والنجاح والظفر المتاح وحين راى ابن سوري
حصوله في ذل اساره واستباحة السلطان ودايع حصاره تبرم
بحيوته واستراح الى برد وفاته فامتص سما كان اودعه فص خاتمه
تحاذر الموت بنفسه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

ذكر القحط الواقع في سنة احدى واربعمائة

وقع القحط بنيسابور خصوصا وفي ساير بلاد خراسان عموما فهلك
بنيسابور واطرافها دون غيرها مائة الف او يزيدون وكم دفن منهم

باطايرهم لضيق الاكفان بهم وعجز غسلة الاموات عنهم وكان الناس
من بين غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداعون الخبز الخبز
ويذوبون على انفسهم حتى تغور عيونهم وتجب للموت جنوبهم وتعوا
نبات الارض حتى استحكم الياس عن الزروع وانقطعت الاطماع
عن الينبوع وضاق بهم الامر فجعلوا يتتبعون رمام العظام على رووس
الكناسات متعللا بها ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع عليها الفوج
بعد الفوج يتقاسمون نجيعها بالكيزان والخزف تسكينا لحرة الجوع
واجتزاء به عن القوت فلم ينل منهم احد بغيته الا سقط لجنبه وجاد
عن كثب بنفسه وعهدي بهم يتبعون سقاطات حب الشعير عن الارواث
وهيهات ان الشعير لا عني الانام فكيف للبهايم والانعام ثم تراقى
الامر الى ان اكلت الام ولدها والاخ اخاه والزوج زوجته وظل
بعضهم يختلس بعضا من شوارع الطرق الى الخرابات فيطبخ منه ما شاء
من الحاجات وحرمت الاسباب على الناس لكثرة ما صبر عليها من
لحوم البشر تبيع في الاسواق وقبض على اقوام بلا عدد كانوا يغتالون
السابلة فيصبرونهم على هذه الجملة ووجد في دورهم ما يعجز العد
من رووس الناس قد اكلت لحومهم وصبرت شحومهم فاما الكلاب
والسناير فلم يبق منها الا العدد اليسير وهابا وسباط الناس من ارباب
الحرف ان يخرقوا وقت العشا محلة نايية عن واسطة البلد الا
في عدد وسلاح جديد وذكر ان فقيها وجيها من اصحاب الحديث

دخل على الامام ابي الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي فساله عن
تطاول عهده به فقال له يا ايها الامام عني احدوثة عجيبة يجدد
الله بها نوحي فضلا مستحبيا وصنعا كريما اني جعلت امري بعض العشيات
وحيدا في شارع اشار اليه فلم يرعني الا وتر صار في عنقي وجذبت
بجذبة ضيقت على مختنقي فبينا انا اهم بمواتاة الجاذب ومدنا نايه
للسلامة على ضيق التخنيق اذ وثبت الى امراة من بعض تلك
الابواب انشى بركبتها ضربة سقطت منها مغشيا علي
فلم اشعر بعدها بشي من مصادف اموري الى ان افقت عن الحس
بدم داس على وجهي وترابي فنظرت الى قوم اجانب تكاد عونني
عما دهاني ويكاتمونني صورة ما عراني فاذا انا ساعة وجئتي
لجنبي ادركوني عايدين الى منازلهم فهرب منهم من اشفق على قتلى واستباحة
دمي وتركني برمقي وخلى الوتر في عنقي فصبرت ساعة الى ان
استوفيت الافاقة واستعدت القوة والطاقة وعدت الى المنزل
وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مدهوشا
مبهوتا وحرضا مبهوتا الى ان من الله علي باوايل الاقبالة وزوال اكثر
ما بي من الم الاعتلال فبكرت يوم احسست بالخفة
الى المسجد لاقامة الفرض وصعدت المئذنة على الرسم فلم استتمم
التكبير حتى اختطف عمامتي من راسي وهق اراد صاحبه به
دقي فاخطاها لما اراد الله من تاخير اجلي واستيفا حملي

فعدلت عن الاذان الى الصياح بطلب الامان وجعلت لله علي بعد
ذلك ان لا اخرج مدة هذه الفتنة من داري الا والشمس بيضاء نقية
ولا ارجع اليها الا وفي النهار بقية فهذه هي التي ثبطتني عن الخدمة
واقعدتني عن الرسم في مشاهدة الجملة فقضى الحاضرون عجبا من
تلك الداهية وسالوا الله حسن السلامة والعافية وحكي عن الاستاذ
ابي سعيد عبد الملك بن عثمان الواعظ احد الصالحين من عباد الله الموفقين
والساعين في مصالح المسلمين انه نقل عن دار كان يسكنها المرضى
والزمنى من الفقراء وابناء السبيل في يوم واحد من ايام هذه السنة
اربعمائة ميت عن شدة الجوع والمخمصة على ان يوعز بتكفينهم
ودفنهم فاتاه خبازه الذي كان يقيم جرايات المذكورين من جهته
وهو في حيرته يذكر انه قد بقي في هذا اليوم بعينه مما كسب على المبيع اربعمائة
من خبزا فسبحان من يقضي على من يشاء بالفناء مع امكان الاقوات ووجود
الكفايات وقد اكثر الناس في ذكر هذا الغلاء والبلاء فمنه قول ابي نصر
الزاوي الكاتب ٥٥ قد اصبح الناس في بلاء وفي غلاء تداولوه
من يلزم البيت يود جوعا او يشهد الناس ياكلوه ٥٥ ولابي محمد العبدلكاني الزوزني ٥٥
لا تخرجن من البيوت لحاجة او غير حاجه
والباب اغلقه عليك موثقا منه برتاجه
لا يقتنصك الجائعون فيطبخوك بشورباجه وامر السلطان يمين الدولة وامين الملة
الكتب الى عماله بصب الاموال على الفقراء والمساكين فاستنقذ الله

بها مهجات قوم قد اشرفت على الهلاك وانتشلهم من بين حنك الاحتناك
وتقضت تلك السنة على حالها الى ان ادركت غلات سنة اثنتين واربعمائة
ثم ان الله تعالى ازال تلك الشدة واطفا تلك النائرة المتقدة
وتدارك عباده بعد ياس بكام الباس بالغيوث الهاطلة والربوع
الزاكية النامية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم

ذكر ما افضت اليه احوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد انكشاف عسكر الترك عنه
يراعي ما يسفر عنه تدبير ايلك الخان واخيه الكبير طغان خان اذ كان
اخوه يرى السلطان عليه لا يابى يزعم لزومها اياه وهو اثق بدعوى
انعقادها عليه وتظهر البراءة على السنة رسله من فعلات ايلك الخان
في منابذته ومكاشفته والتخطي الى حدود مملكته ويورك ايلك الذنب
عليه في اغرائه بما اتاه ومكاتبته في البعث على ما جناه والمظاهرة لايلك
ان اخاه طغان خان قد جعله عرضة للجناية وقلده طوق تلك المكاشفة
براءة منه وخذلانا اياه وشقا للعصا واستيصالا له بما كسبت يداه ابه
راى ان يتدارك بعد فحيم ذا قرابته ويغسل بالسيف درن جنايته
تجمع جيوش ما وراء النهر لقصده واستدفاع مكر هو عدده ومبادر
حتى جاوز اوزكند نحوه فسقطت ثلوج بيدت عليه مسالك العقاب
المفضية اليه فارتد على وجهه الى قبائل حتى طاب الهوا وانحسر الشتا

التشرة

وتجفت الآباء فكل عايذًا على ثاده لقت المشير موهنا بناره وكان قد ورد
بسلها فى التاريخ الذى تقدم ذكره فتراجعا القول فى المراة عن
جناية العبور واحالة بعضهم على البعض فى نقض المواثيق والعهود
تخاذلهم السلطان فى لغط القول حتى وصلوا بحر النفار الى برد
الاشتفا واراد السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد ذلك قرامهم
نامر بتعبية جيوشه وتحشية فيوله فرتب العسكر سماطين عن جنبتيه
فى هيئة لو راها قارون لقال يا ليت لنا مثل ما اوتى محمود انه لذو حظ
عظيم وصفة مقامه انه اصطف من غلمانه على التقابل قرابة الفى
غلام من عقايل الترك فى الوان الدبابيج من بين سود وبيض وحمر
وصفر وكهب وخضر وفيما يقرب من موقفه خمس مائة غلام
من خاصته على ترتيبهم فى مثقلات الروم بمناطق من ذهب مرصعة
بالجواهر واعمدة من جنسه فوق الاكتاف والعواتق وقد اطاف بهم
من عظام الفيول اربعون فيلا على المحاذاة غواشيها ديابيج الروم
معصبا بمعاليق من الذهب الاحمر مرصعة بكل جوهر ثمين
وياقوت رزين ووراء السماطين بسبع مائة فيل فى تجافيف مشهرة
بالوان مسورة بالحراب والمران وعامة العسكر فى سرابيل
قد كرت الفيون وردت عن اجتلابها العيون ورتب الرجالة
امام الخيول فى التراسة الواقية والجنن الحامية والسيوف المرهفة
والعوامل المختلفة وقام بين يديه حجابه كالبدور فى ظلم الدجور

قابضين على قبايع سيوفهم هايبين قدره وناظرين امره واذن
لهولا الرسل على هذه الهيئة حتى لعثوه واناموا من ربهم الخدمة
مما افترضوه ثم عدل بهم الى الموايد فى دار قد فرشت بالمحك
عز الجنة من تيه للمتقين معرفة للعارفين فى كل مجلس دسوت
من الذهب الاحمر بين جفان واجواص واطباق كاد تدنصب
بها من صدره الى قدمه بما يشاكله من الاوانى الفايقة والالات
الفاخرة الرايقة ونصب لخاص مجلسه طارم قد جمعت الواحه
وعضاداته بصفايح الذهب وصفايحه ووثقت بمسامير من
جنسه وفرش من الدبابيج المثقلة بالاندرك الابصاد منه عن
حمرة الذهب فى الصدر منقلة معقومة ببيوت منلعة
ومستديرة لتشتمل كل منها على انواع الجواهر التى اعيت امثالها
اكابرة العجم وقياصرة الروم وملوك الهند واقيال العرب وحوالى
المجلس اطباق تحاب من الذهب مملوة من المسك الاذفر والعنبر
الاشهب والكافور العطر والعود العتيق وهلم جرا الى ما يملا الابواع والايدى
من اترجات مصوغة وابنجات مصنوعة ومما يشبهه
الفواكه من عقيان وبذخشى وبهرمان الى اوانى لم تسمع بمثلها
برقة احسامهم ودقة صنعة واحكام وطاف على الرسل ولدان
كالدر المنثور واللولو المكنون براح كالماء المعين اذكر رضاب
الخرد العين الى ان اشفقوا من عثرات العقول ~~ثابتين~~
خائرا

فاستأذنوا للقفول وسرّحهم السلطان يمين الدولة وأمين الملة بعد
هذه المأدبة وزادهم بما اوجبه همته من تحقيق آمالهم ورعاية حق
الحج فيهم وبعث الأخوان على حملتهما في المنافرة والمناقرة والمكاوحة
والمكافحة بعد ان توسّط السفراء بينهما ففصلوا الأمر على ما كفّ كلاً منهما
عن صاحبه على ما سنورد ذكره في موضعه

ذكر فتح قصدار

ثم كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة يراعي ما يتجدد من أخبار
الأخوين ايلك وطغان خان فيما تنازعاه من الأمر فلما بلغه استحكام
ذات بينهما استخار الله تعالى في قصد قصدار اذ كان صاحبها قد ألمّ بجانب
المجانبة وأخلّ بحمل مال المقاطعة اغترارا بمناعة مملكته واعتزازا بحصانة
الطرق المفضية الى جلّته ونصل السلطان عن غزنة الى بُست مورّيا
بقصد هراة حتى انتشرت الأخبار بمخرجه واستفاضت الأحاديث
بظاهر أمره ثم ركض الى ناحية قصدار في القلب لتغلّس برجاله
ركضة طوت تلك الجبال الوعرة والمسالك الصعبة فلم يشعر
صاحب قصدار الا بغلمان السلطان حول داره فلم يكن يتجلّى بضوء
نهاره او يحتفل لشدّ ازاره فبادر الأمان الأمان وبرز لخدمة السلطان
والتزم خمسة عشر الف الف درهم من جملة ما كان ألطّ
به من أموال عمله فالزمها ونقد اكثرها وقبض السلطان على
عشرين فيلا ضخاما هائلة كان اعتقدها ليومي بؤسه وبأسه
ووكّل به من استوفى المال عليه ورجع عنه بعد ان رعى حق طاعته

وضراعته باستخلافه على ما كان يليه وبسط يده في أطراف عمله
ونواحيه ورجع عنه الى غزنة ظاهرا بحمد مآثره قد رجّحها ثنايا يده
وأربيا زنده صنعا من الله تعالى لمن اجتباهم من خيار خلقه لعمارة
أرضه وإبادة حقه والله يؤتي ملكه من يشاء والله عزيز حكيم

ذكر الشار أبي نصر وابنه محمد المعروف بالشاه وما أفضى اليه أمرهما

قد كان يلقّب كل من يلي امر غرشستان بالشار سمة خصّها مصطلحا
عليها تنبي عن معنى التمليك ورتبة الإجلال والتعظيم وكان الشار
ابو نصر واليها الى ان ادرك ولده الشاه وفيه لوثة مشهورة فغلبه على الأمر
بقوة شبابه واستظهاره بمن شايعه من أصحابه فاعتزل أبوه مخليا
بينه وبين ما كان يليه وتفرّد بالنظر والتدبير فيه ومقتصرا على دراسة
الكتب ومطالعة الأدب اذ كان بها مولعا وبلذتها دون سائر اللذات
مقتنعا وكان منتجع الأفاضل من آفاق البلاد ينتابه منهم كل مبدع
خطاً وبياناً او مبلّغ ريّه بلوى وامتحانا فما ينكشب بعد ان ينتابه ويشهد
بابه حتى يستخصب جنابه ويستجزل برّه وثوابه وكان صاحب الجيش
ابو علي محمد بن محمد بن سيمجور لما افتتح باب الاستعصاء على الرضي نوح
بن منصور رام ان يستضيف الغرش الى ما يليه وان يجد من جانب
الشارين طاعة له في أوامره ونواهيه فأظهر الشار تمرّدا عليه كراهة
لاختياره على أرباب الملك الذين أعطوهم المقادة قديما وسلّموا
لطاعتهم تسليما اذ لا ... حصانة صياصيها وقلاعها ومناعة

جواشيهما واشياعهما ومحاماة للرضى على حقوق طاعتهما وسوابق
حرماتهما اذ يهم ابو علي بمنازعتهما ملكا ورثاه او طمع في فضل ما اقتنياه
فلم يتهنه ابو علي ان جرد اليهما ابا القسم الفقيه احد انياب دولته
واركان دعوته في جيوش كثيفة وخيول على الآلاف منيفة فناهضهما
في عقر دارهما بنزولا اليهما من ذرى تصافح السما وشوامخ تناطح الجوزا
ومتوغلا مخارم تزود على السلوك مرد السموم على علائط السلوك
يناجزهما في تلك المقامات التي تداعت عندها بالرؤس ويغشي على
النفوس ويلجئهما من مضيق الى مضيق ويجمعهما بفريق بعد فريق
حتى اجلاهما عن قرار بينهما الى قلعة ورثاها اباهما في اخريات
هاتيك الجبال تزل عن اعاليها اقدام الغيوم وتحلق دون مراميها
كرائم الطيور وملك عليهما حصون جبالهما وسهول ديارهما وجبيها
ويتبع هما ما ينسب الى كل منهما فيهما الى ان صمد الامير ناصر الدين
سبكتكين في نصرة الامير الرضي صمد ابي علي فاستركا ابا القسم الفقيه
شغلا بالنازل القريب عن النائي وبالعقاب المنقض عن الكركي
وعلم ان قد اتى الوادي فطم على القرى وانضم الشاران الى الامير
سبكتكين في نصرة الامير الرضي نوح بن منصور فانتقما من ابي علي جزء
الحرب وتعرى عما تولاه واقتناه قديما واجفل نحو جرجان
لا يملك بابا ولا حريما ولم يزل بعد ذلك حالهما على جملتها في الامنة
والسكون والجاه المصون الى ان ورث السلطان يمين الدولة وامين الملة

خراسان جعلها الله تعالى في ارضه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين ولما اذعن ولاة الاطراف للطاعة والتزام حكم التباعة
واعطا صفقة البيعة وفرع المنابر باقامة الخطبة وكلهم
سمع واطاع وبذل في الخدمة والقربة المستطاع انهضت الى الشارين
في احدهما باقامة الخطبة له اسوة امثالهما من ولاة الاطراف ضمنا
الاعمال فتلقيا في بفروض الطاعة والحرص على الاقتدا بالجماعة وامرا
بالخطبة فاقيمت باسم السلطان في كورة الغرش في شهور سنة تسع
وثمانين وثلثمائة وورد على الشارين كتب المنحازين الى بخارا عن
هزيمة مرو يزعمون انهم على الاستعداد والتجرد للمعاد فلينتظراهم
عن قريب ليأخذا من الانتصار وادراك الثار بنصيب فبعث
الشار ابو نصر الي درج رقعة اودنى بها بينا لي تاملها وانفاذها
باعيانها الى السلطان ليتقرر حالة في الموالاة ومخالفة ذوي
المناواة والمعاداة فكتبت اليه في جواب رقعته تاملتها اطال
الله بقاء الشار فوجدتها تدل على جدود قد عمل فيها صبغة الوقاحة
للجدل سوء بعد صاحبه بان يجرب فكيه ان لم يكف عنه كفيه وما
نحن في هذا المعنى وفيما اولى الله سبحانه مولانا السلطان من الحسنى الا كما قال المتنبي
والله يسعد علاك وانما كلام العدى ضرب من الهذيان
فاما قولهم انا على الانتصار وطلب الثار فلك ان تبهتهم قل
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين على انا نقول

لئن كان اعجبكم عامكم فعودوا الى حمص في قابل
فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يد القاتل
فان قالوا ان العهود احد تراك ولكن لمن جلد الدنيا المرء ذم وصادف
فيه ما يرى لا ما سيأ وغم وقد بادوا في بدء لقائهم كيف ترقت
السيوف برقابهم وتحكمت السيوف في اشلائهم فان تسلطوا ثانية
فها نيك الصوارم ماضية والقنا عم ضاربة وما اشبه حال
القوم بما قام ابن الاشعث خطيبا في قومه فقال يا قوم انه ما بقي
من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب بها يمينا
وشمالا فما تلبث ان تموت وكذا المصباح اذا قارب انطفاؤه
توهج قليلا ثم لم يعن ذلك من حينه فتيلا فالحمد لله الذي جعل
سيوف مولانا تخطب على منابر الرقاب اذ جعل السنة اعاديه
تخطب فوق اسرة الاذقان والبه الرغبة في ان يطيل
بقا مولانا ما طلع يوم من حجاب المشرق وطلع نصل من قرابه
منصورا على من نابذه وناواه ليودعه من بطن الارض ملحده
ومثواه وعن كثب سيرى الشاك كيف يفعل الله بالغاوين
ويلبسهم خزي الباغين ويردهم اسفل السافلين وقبل وبعد
فالحمد لله رب العالمين فكان الامر على ما حدست وتفرست
فان ايلك انجد بالبهم فملك عليهم ذا الملك بخارا واخذ معظم
القوم اسارى وشرد الباقين في الارض حيارى منهم طالعت

الحضرة بصورة امر الشاذين في الطاعة حتى حظيا من الاكرام
بما توقعاه وحليا من الاعزاز والايثار بما تطلعاه وحضر
الخدمة بعد ذلك الولد المعروف بشاه شار فصادف ما
استحقه من ترحيب وترتيب وحظ من الايثار والايجاب
رغيب وعزمنه على هذه الجملة وهو بين الاعتزاز بسمة
الملك ولوثة في الطبع قلما يسلم امثالها عند الملوك من الهلك
وهو على ذلك يحتمل ويلطف القبول مقتبل واستاذن من
بعد للانصراف ورآه فصادف اذنا بالمبادرة الكريمة مشفوعا
والى الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعا وعاد الى
افشين قرارة بيته ومثابة عزه الى ان حثت للسلطان عزوة
احب ان يحتشد لها فضل احتشاد ويستظهر فيها باجواء من قوة
وعتاد وامر اجيوش وقواد وامر بالكتاب اليه في استنهاضه
اسوة امثاله ثقة بخصوص حاله وثمرة ما افاض عليه من سجال
افضاله فلزمه الجذلان على المكان ولفته معاذيره واهية
الاركان تنظر بين الحران والاذعان الى ان حقت عليه كلمة
العصيان فاعرض السلطان عند ذلك عن تدبيره واقبل
على ما اهمه من امر مسيره حتى اذا ادار له بما قصد وظفر
بمن كشد وتمرد وعاد بالفتح خافقا لواؤه والنجح شارقا
ضياؤه وجد دمكا تبته ايمانا له من خيفة ان اوجبها

١١٨

وابا بشاً من وحشتها ان لا ينيبها واستبقاءً للصنيعة عنده من ان
تخضب اشاها او تقتطع دون الكاه بشاها فلم يزدد الا كفوراً ونفوراً
وكان امر الله قدراً مقدوراً وعند ذلك جرد السلطان حاجبه
الكبير التونتاش في قيادة والطوس ارسلان الجاذب فيمن ضمتهم
الى جملتها وسمهم بالمسير نحو ولايتها لمناهضة الشاربين وامتلاك
الغرش عليها واطاقته بادا العصيان وكفر الاحسان فنهضا في العدة
والعديد والبطش الشديد واستلحقا ابا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ
بها لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل ومخارم تلك الشعاب والقلال
فسار اليها في رجاله قد كربتهم التجارب ونيبتهم النوايب يعجمون
باطراف الثنايا على الزبر ويدحلون ولو خرقت الابر وجد مرا على الشاربين
بتلك الناحية فاما الشار الكبير الوالد ابو نصر فاستشف ابتسار
العاقبة واغتنم شعار العافية ولاذ بالامان الى الحاجب الكبير التونتاش
مظهراً للبراءة من فعل ولده وصادعاً بما اشتهر في الحاضر والعام
من عقوقه وتمرده وتحمل بشفاعته الى السلطان في ملاحظته بعين
من لم يرتكب جريرة ولم ينغل بسريرة ولم يبدل في الطاعة والاخلاص
سيرة تجبره الى هراة بين يديه اقتضته طاعته والاحتياط
اوجبه خلاف الابن وممانعته فكتب بحاله الى السلطان فورد
في الجواب ما آمنه رهق المؤاخذة وعنت المعاقبة واما ابنه الشاه
فتحصن بالقلعة [illegible]
في عزة الجوانب ومنعة المناكب وصعوبة المصاعد والسمو على متون
الغيوم الرواكد واستصحب اليها خواص غلمانه وخزائنه وساير حاشيته
وبطانته وقصده الحاجب ابو سعيد التونتاش وابو الحارث ارسلان
الجاذب في الجم الغفير من اعيان القواد وابطال الافراد فتقاسما اركان
الحصن تدرعاً بالمجانيق المنصوبة والعرادات الموضوعة ومناوشة
الحرب من جهات كادت حشاشات النفوس من هول المقام ان تذوق
كاس الحمام قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام وواصلا صبوح
تلك الحرب بالغبوق حتى هدما احد اسوار الحصار فوقع ضعاة
بالحضيض من وقع الجلاميد وصدم المجانيق وتسلقها اهل العسكر
متحيفين على سائر الاسوار كالعصم اوقله في شم الهضاب والارانب
هاربة من عصف الكلاب واشتبكت الحرب على تلك الحال ضرباً بالسيوف
القواضب واخذاً باللحى والذوايب حتى سالت المذانب من دمع
الخدود واحمرت المتالع من علق الصدور ورأى الشاه عند ذلك
من هول المطلع ما لم يكن ثم كان فدعا الامان الامان هيهات
ان غضاب النفوس اذا صادفت نجح المرام ووجه الله التشفي والانتقام
لموتورة الآذان او تفعل افعالها وتنال من درك الثار منالها وما
زالت تلك دعواه وهذه حالهم حتى اخذوه اسيراً واستنزلوه
عنوة وقسراً واستبيح ذلك الحريم بما حواه من درهم ودينار
ومال واستظهار واخذ حاجبه ووزيره بل نديمه وسميره

دربتهم

فساره

الحصار

المطلع موضع الارتفاع

المذانب مسيل الماء من الوادي في الاعلام

اراد ان تفعل

بل قليله وكثيره فوضع عليه الدهق حتى اعفى لما عرفه من ذخايره وجزره
من ودايعه وجلب عامته او لبابه وعماله والمتصرفين في امور
امواله حتى عروا عن لباس الثياب وعزت اخلافهم دون الاستدرار
وتوطع ابو الحسن المنيعي عن ارتفاعات العرش على ما علم التفاعا ثم
منه قبل للشاب فتمكن منها واستخلف هناك من يقوى يده في جمله
وشحن الحصار بمن يوالي يوثق بامانته وجلده وبعث السلطان بعض
خواصه لنقل الشاب المأسور الى حضرته على سبيل ارفاق به من جهته
فلما سلم اليه حمله في وثاقه نحو غزنة وسمعت بعض الثقات انه اتفق
للغلام ان يكتب الى اهله بخبره وما لقيه في حالتي ورده وصدره
وتبشر ملهم بمنصرفه فاستدعى الشاب في عقاله وامره بتولي ذلك
بخط يده فانعم تفكرا ثم اطلب تشكرا وكتب ما هذا معناه
ايتها القحبة الزجة اتريني اغفل عما احدثته بعدي من خيانتي
في الفراش وتمزيق ما خلفته عليك من مالي وتمحيقه بانواع الفساد
لقد انتهى الي جميع ما ركبته من فجور وشربته من خمور وضيعته
من مالي في كل مشروب ومحظور وها انا عايد اليك وايم الله لاصعق
الدهق عليك وعلى والديك ولادقن يديك على رجليك ولاجعلنك
عظة لربات الخدور في الدور بكذا وكذا واستانف الشتم
حتى علم انه قد اكتفى واشتفى ثم طوى الكتاب ودفعه الى الغلام
فطير به بعض ... فقامت القيامة على اهله وخفن عليه ...
سعي بهن وجرف من صودتهن وفكرن في امرهن فوجدن اصوب
الاراء تفريغ الدار بتقديم الاستتار وفعلن ذلك بحياتهن
على القلق تاركات على الجوى والارق فلما وصل الغلام الى الدار
اذا هي كالقاع القرق ولا يلم بها نافخ ضرمة ولا معلق ذمة
وبقي جيران ... الجيران فاخبروه بصورة الكتاب وما خيف
من الفضيحة بالعقاب فدعا ويلاه واين الكتاب ومن والاه
في الكتاب ومن املاه واحتال في رد العيال بضمان اكده والحاف
جدده وبلغ الخبر السلطان فضحك لاحتيال الشاب وقال كذا
حق مثله ممن يستخدم الشاد كاتبا ويضع حرمته بالامين جانبا
ولما حمل هو الى الباب تقدم السلطان بتجريده للسياط ناديا
له على ما اغفله من حق النعمة وهتكه من ستر الحشمة تجرد لها
واخذته عذبات العذاب فاكثر الضراعة والابتكا
وشكا الذل والمهانة فلما استوفى التاديب بحقه دون ان يبلغ
النكير منتهاه والعقاب ابده ومداه امر بانزاله واعتقاله
في موضع يصلح لامثاله وامر بمواساته والتوسيع عليه في اقواته
من حيث لا يشعر باذنه فيه وفيما اباحه له من الترفيه كيما يسري
في تضاعيف احشايه مزاجه ولا الخمر في عروق النشوة والماء
في عروق الشجر والثمر اسعافه بغلام كان حظيا عنده
فرد عليه واعيد بعض ما يصلحه اليه واما ابو المظفر بهرام

فأذن له في ورود الباب ولوحظ بعين الإيجاب وأمتاع السلطان
منهما خاص ضياعهما بالغرس حلّاً لها عن عقدة الشبهة
واستضافة إياها إلى جملة ضياعه الملكية وأمر لهما بأثمان ما باعاه
نقداً صيانة لهما عن مس الفاقة وذل الحاجة ورفرف الشيخ
الجليل على الشاذ أبي نصر بجناح الإكرام والرعاية حتى أتاه الداعي
وقام به الناعي وذلك في سنة ست وأربعمائة

ذكر وقعة ناردين

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة لما استصفى نواحي الهند
إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية ولم تتل بها قط سورة ولا آية
فرحض عنها أدناس الشرك وشنع دونها أغباش الكفر وبنى بها مساجد
يقوم فيها دعاة الله بالأذان الذي هو شعار الإيمان رأى أن يطوي
تلك البلاد إلى واسطة الهند منتقماً لله ممن يجحد توحيده ويضع
لعبادة الأنداد من دونه تعالى خده ووديده ومحكماً فيه شبوقاً
طبعت على غرار الإسلام بالإيمان وصينت في قراب دين الله والتصيت
بأيدي الأخيار الأبرار من أولياء الله فندب الرجال وفرق الأموال
وأخلص اليقين واستنصر الواحد المعين ونهض في الظلم والزحم
بالليل المدلهم وذلك في سنة أربع وأربعمائة وسار في أخريات
الخريف ثقة بطيب الهواء من جانب الجنوب فاتفق عند اقتحامه
تلك الديار أن سقطت ثلوج لم يعهد قبلها مثلها فسدت مخارف
تلك الجبال وسوت بين الأباطح والتلال وكلح وجه الهواء كلوحاً
أثر في الجوارح والأخفاف فضلاً عن المحاجر والأطراف وضلت مناهج
الطرق فلم تعرف الميامن من المياسر ولا المقادم من المآخر
واضطرت الحال إلى الانعطاف إلى أن يأذن الله ثانياً بالانصراف
ولكل شيء حد محدود وأمد من المقدور ممدود وأقبل السلطان على
استئناف العدة والعتاد واستكمال الميرة والأزواد واستدعاء
أعيان الغزاة من أطراف البلاد حتى إذا تمت العدة والعديد
وباهى العقد بأخواته الفريد وتضام الناس كزرع الخريف من كل
وجه منشوراً وعن كل أوب مبثوثاً ومحشوراً وأقبل الخريف بطيب
المقيل واعتدال برد الغداة والأصيل استخار الله في الرحيل
وسار كالبحر الأخضر تضربه الأعاصير والأمر الجليل تحثه المقادير
تخدمه وحوش الأرض مأسورة وطيور الجو مقهورة ولو أجيبت
الأرض لأنّت من ثقل الحديد والمشي الوئيد وحث الأبطال فوق
المقب القياديد وسار إذ لا يهتدون أعماق تلك البلاد والشمس
عليها طالعة والنجوم بينها مستقيمة وراجعة وحث الركائب شهرين
بين أنهار عميقة الأغوار بعيدة ما بين الأقطار وبواد تضل في
أرجائها أسراب اليعافير وتحار في دهنائها أفواج العصافير حتى إذا
قارب المقصد عبى الخيول كتائب وميزها عصائب ورتبها كواكب
وفيها مناسر ومقانب ونصب أخاه الأمير نصر بن ناصر الدين في الميمنة
في كماة القواد وحماة الأفراد وأرسلان الجاذب في الميسرة في الملم

شمس الكفاة

القياديد الطوال من الجياد

المنسر قطعة من الجيش تمر قداماً

الذكور والبزل الفحول وجعل ابا عبد الله محمد بن ابرهيم الطائى على المقدمة
فى مساعير العرب احلاس الظهور وابنا الصوارم الذكور وبث فى
القلب الحاجب التونتاش وساير خواصه وغلمان داره رجالا اذا
اصطفوا فالجبال الشواهق او زحفوا فالسيول الدوافق وندب بهم عدو
الله ملك الهند ففزع من فاجى الفزع الى من حوله من تكاكرته واعيان
جيوشه وناصريته ولجا الى شعب جبل لحج المدخل خشن المتوغل صعب
المرتقى والمتوقل مستعصما بالاحتجاز عن البراز وبالانحياز من
وقع الباس وسد مفغر الجبلين بفيلة له يراها الراوون هضابا
نابتة وجبالا ثابتة وبث النفير فى اقطار مملكته يستنهض من يحمل
حجرا فضلا عمن يلقم القوس وترا او يحبس بالسيف اثرا ومد فى
طول المطاولة كى يلتقى بقوة وافية وعدة متوافية او يلجى اوليا الله
الى الاخلال من فرط الملال او النفور من ضيق الصدور ولم يعلم ان
الله من ورا المومنين وان الله موهن كيد الكافرين ولما علم
السلطان من نيته فى ارجا القتال وتاخير النزال دلف الى
عدو الله بقلوب قد صقلها التوحيد وبشرها الوعد وانذرها
الوعيد ورماهم بالصيلم من رجالة الديلم وبالشياطين من الافغانية
المطاعين رجال كالاجبال مطوحة بالتقويس مدللة للاعين الحو
الشوس او الليوث احرجها الجوع واعياها الى اشبالها الرجوع
ينفذون مع الاستبداد نفوذ المثاقب فى العيدان او البيارم

اصله من الصلم وهو القطع

فى الحيطان وينتزعون البواذخ كالوعول وينزلون عنها منحدر
السيول وواصلها عليهم اياما تباعا تجذبهم بصدق البراز الى البراز
جذب الناب للسكيط والمغناطيس للحديد فكلما فارقوا تلك
المضايق اختطفتهم الفرسان كما يلتقط الافراس البيازق ولم تزل
هذه حالهم حتى انضم الى اللعين اكثر من والاه ولباه معظم من دعاه
وعنده احتشد للبروز مستندا الى الجبل ومن حوله الافيال
كالفلك تحت المصباح واحتد القراع وحمى واستوى المروس والرئيس
وصار اللقا كفاحا فمن آخذ بالتلابيب ومسارق كاليعاقيب ومضارب
ما بين الرووس الى العراقيب وكلما اشتبكت الفيلة للتهويل والتفخيم
والحطم بالاظلاف والخراطيم مطرتها بحاصب النشابات مثلوثة كالاراقم
منسابة الى حدق العيون او ثغر الحلاقم وراى الكافر موقع ابى عبد الله
محمد بن ابرهيم الطائى من الغنا وضراوته باسالة الدما فانتحاه باخشن
من فى جملته شوكة واعظمهم شكة حتى اثخنوه ضربا على الهام وطعنا
من خلف وقدام وهو كالجبل ثابت لا يهد شرف مقامه ولا يكاد دون
الضرب يحميا مه متسمحا بالروح فى نصرة الدين وطاعة رب العالمين
وراى السلطان انثيال الكفرة عليه فامده بكوكبة من خواصه لاستخلاصه
فاستنقذوه الى السلطان ممشوقا بالسيوف منقوطا بالاسنة كالحروف
فامر له بفيل يستريح الى سعته عن الم الجراح بجوارحه فصار دملكا
له يتميز به عن اعيان اهل عسكره ولم تزل الحرب على حالها حتى اهب الله

المتسع من الارض
فلاة خ
الوطيس
من النقار وهو القراع والطعان
شعبة خ

بريح النصر لاوليايه وادار دايرة السوء على اعدايه فاخذتهم سيوف
الحق تحبسهم بين كل مصادف ومنعطف وواد ومدخل ومعابر
ومعتسف ومناير وملكت عليهم الهبلة التي اعدوها حصونا وواقية
فصارت عليهم عباقية باقية وافا الله على السلطان واوليايه
غنايم بحضت الصدور عن ابن الحسد باشتراك الكافة في الغنى
المقصود واستوايهم في كفاية الموجود وفتح الله نارذين فتحا طرز
به شعار الاسلام اذ لم تبلغه راية الحق من لدن عهد النبي عليه
الى زمان السلطان يمين الدولة وامين الملة عز الكت الله له على
يده وصنعا اتاح الله له التوفيق والتيسير من عنده ووجد في
بيت بد عظيم حجرا منقورا دلت كتابته على انه مبني منذ اربعين الف سنة
فقضى السلطان من جهل القوم عجبا اذ كان اهل الشريعة الغرا
والحق المنزل من السما على ان مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانا
منها في الالف الاخير وكلما تشاهدت به الاخبار من اثار ذات
البراعة موجود بابصار العيون وبصاير القلوب مشهود واستفتى
فيه اعيان العلما فكل اجمع على انكار ذلك المنقور على تزييف
مثلها من شهادات الصخور وعاد السلطان وراه بتلك الغنايم
العظيمة تكاد عدد الارقا من العبيد والاما تزيد على عدد الرمال
ورخصت قيم المماليك فصار اصحاب المهن الخاملة فضلا عمن
فوقهم من المتوقين يعتقدون عدة من تلك الرزقة وذلك

اعتقد
اقتنى والرزقة

فضل الله الذي اعز به الدين واذل الالحاد والملحدين والحمد لله
رب العالمين ذكر وقعة تانيشر قد كان انهى الى السلطان
يمين الدولة وامين الملة ان بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلان
الموصوفة في الحروب وانه محتاج الى ذوقة من كاسه وجرقة من
جمرات بأسه ليعلم ان عز الاسلام جاثم وان له من سطوة الله
بها كما ليبابر اقيال الهند سهام فعزم السلطان على غزوة
اليه يرفع بها راية الاسلام وينسخ معها ولاية الاصنام ويدع
الكفر عليها مجبوب المغارب والسنام ويسابر في اوليا الله الذين
قد نشاوا على القراع نشأ الاطفال على الرضاع وضروا بدما الكفار
ضراوة الصقور بمغاث الاطيار وقطع الى المذكور اودية لم تقطعها
غير طاير او حيوان عابر وخرق سباسب لم يطاها نعل ماش
ولا نعل حافر وجهدهم في تلك القفار علالات الشفاه وبلالات
الافواه فضلا عن ساير الاقوات حتى صنع الله لهم بان بدوا منها
الى فضا يفضي الى ناحية المقصود ودونه نهر صخاب الاضطراب
وصفاح كظبي السيوف حداد يلقى بشاطيه منعب جبل قد استند
اليه الكافر مستظهرا بفيوله ومتكثرا باقنابه رجاله وخيوله
فاحتال السلطان يمين الدولة لفتاك عسكره في مجاوزة النهر
الى اعدا الكفرة الفجرة حتى عبروه من طرفين وشغلوهم بالنابر
من كلي الجانبين ومهما حد الكفاح بين الفريقين امر السلطان

بجملة على الكفار في مخاضات النهر الهايل والما الصعب لسايل
تدعجهم عن طرف الساحل وتقحمهم اشداق تلك الشعاب والمداخل
واشتدت الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر والقواضب في المناكب
واوليا الله في كل حال ظاهرون والكافرون منهم الصاغرون حتى
اذا كادت بهم شباب النهاب حمل المسلمون من جميع الجهات
حملة اوجرت بهم لهوات تلك المجارم مضطرين فخلفوا الفيلة
التي كانوا بها معتزين وتبعها اوليا الله يردون اعظمها الاعظم
هها الى موقف السلطان فلم يفتهم الا ما جذبه في المهرب او ضاق
دون امتناصه مجال المطلب وصبت من دماء اوليك الارجاس
ما نجس به النهر الحاجز على طهارته وامتنع من الشرب على غزارته
ولولا ان الليل ستر اثرهم لاستلحم القتل اكثرهم ضبعا من
الله لدين بعث به رسوله المصطفى صلى الله عليه وعلى اله
الذين ارتضى مظهرا له على الدين كله ولو كره المشركون فهو على الازدياد
الى اليوم الشاد وانصرف السلطان باوليا الله غانما موفورا
ظاهرا منصورا ومحمودا كاسمه ماجورا وقد غنم ما تكل
عن ذكره انامل التحرير وتضيق عن اثباته ادراج الاضابير وتطاير
البشاير في الافاق وخفقت عليه اجنحة الغروب والاشراق
والحمد لله رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين ذكر الوزير ابي
العباس الفضل بن احمد وما انتهت اليه حاله الى مضى

ثم كان الوزير ابو العباس الفضل بن احمد من خاصة فايق الملقب
بعميد الدولة ومن كفاة بابه وثقة اصحابه وكان على البريد بمرو ايام
سيالاريه السلطان بنيسابور فنمى الى ناصر الدين سبكتكين خبر
قوته واماناته فكتب الى الرضى يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية
اعماله وتدبير امواله ورجاله فاوجب اجابته الى ملتمسه وخوطب
بالبدار الى نيسابور على مقتضى مثاله فاعتده السلطان للوزارة واستكفاه
مهمات الامارة بعد ان كان يرى مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة
ابي القسم احمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة واصالة
واصابة وهداية ودراية وحماية وجباية اذ لم يكن على طراة شبابه
بين لداته اغنى منه غناء وامضى مضاء واذكى ذكاء وادهى دهاء غير
ان الامير سبكتكين جنى عليه في ابيه عند اعتماده لوزارة بست وتدبير
اعمالها واموالها جناية سبق السيف فيها العذل اضغنته الى
عداته فيما شققوه فيه من رفيعة ولفقوه عليه من سعاية ووقيعة
فاستوحش منه استيحاشا من بادرة فعله والمبين نفور القلوب
عن ذروة الاباة صعوبة وكره السلطان الاستبداد على ابيه في
انتصابه حسب ارتضايه واستكفايه وفق المحبوب من وفايه طاعة له
في اختياره واتباعا لفلك درايه بحث مدايه فقضى الله تعالى ان يكون
يليه حتى يعرف خراسان بانه عديمه المرجب وجذيله المحكك
يتتبع ما يفسده الغير بالاستصلاح ويستدرك ما اجرضته

اجرضته ايدي الاحتياج ويداوي كل جال بدوائه ويرد غاير الماء الى
مجاريه فاجرى الوزير ابو العباس الامور مجاريها على جملة لم يعرف فيها
غير الجباية والاستبداد وقصد التوفير دون الاستعمار حتى جبى
الاعطيات بسنين عدة اذ كانت خراسان ملسوعة باعبارها
لم يتعرف منها دواعي اللبن ولم يترشح جمها كوابي التمس كلما احتلبها
امتراء واستنفد ما في ضرعها اسرافا ومن قبل ما تدكدك بينها وبين خصب
المراتع وبرد الموارد والمشارع وضعف له ما على ظهورها من فضول
ذيلهم وسمحت باوزار عطاياها من بقي مقيمهم حتى صارت من فرط
الهزال والعجف كالاهلة المحنية بل كالاخلة المبرية وتداعى بالخراب
معظم الضياع ووقفت القرى بين القصور والانقطاع وشرد في
البلاد الاكرة والزراع تعقبها اخذ الجار بذنب الجار والزم
القاعد مؤنة القائم حتى تمت البلوى وعمت الشكوى وشملت نوائب
البؤس وذهبت حرايب النفوس وصبت عليهم سنة القحط بعقبها فصار
الغني مجبورا والمتوسط مفقورا والفقير مقبورا وكان امر الله
قدرا مقدورا وبقيت في رقاب خراسان بقايا كل متعذر ومنكسر
وتاوٍ ومنحسر لو اذيبت عن آخر فقرة منها لم يف ببعضها فضلا
عما جمعته اقلام الاستيفاء عليها بازاء ظهر السلطان ضجرا من تحبيس
الاموال وتراجع الارتفاعات وطالب الوزير بها بما قطعه واتواه
وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والاحالة
فلما عضه العتب بثقافه اظهر الاستعفاء وطلب لنفسه الخلاء واسلم
النفس اختيارا وآثر الحبس قرارا وتوسط الملأ بين السلطان وبينه
على ان يجبر بعض المنكسر من خاص ماله بما استفضله طول وزارته من
مرافق اعماله فابى ان يزيد عن درهم الا بعزله وحبسه وتشاح من قلاعه
صنيع المتبرم بالعمل المتنغص بالامر المستسلم للبلية المتحكك
بالمنية واختار عند ذلك السلطان الدهقان ابا اسحق محمد بن
الحسين وهو اذ ذاك رئيس بلخ لصحابة الديوان واستنظاف البقايا
على العمال والشكال فانهضه اليها سنة اربع واربع مائة
فانجدب الهراة وجبى من الاموال ما ادرت اخلافه ولانت على المس
اعطافه ولم يلبث الا يسيرا حتى حمل حملا كثيرا والوزير ابو العباس
بعد في صدر الوزارة والشيخ الجليل ابو القسم يسعى بينه وبين السلطان
على سبيل السفارة يروم انتصاحه اياه كي يلتئم به مكانه
ويستمد الى غرض استقامة شانه وهو يابى سوى اللجاج في القال
المعول على حدة المزاج حكما من الله لم يسع رده وقضاء سابقا
اعيى العالمين صده ومازالت هذه حاله لزوما للصدر على ما به
من ضيعة القدر الى ان ذهب بنفسه الى قلعة غزنة مستروحا
بزعمه الى الاعتقال عما تولاه ومتبجحا بجملة ما اجراه واقتناه
فلم يشبع مثله رجلا يشتري الحبس اختيارا ويستقبل صرف الزمان
بدارا وغاظ السلطان ما اتاه فاستبدله الحظ بغرامة

بعده

اختيار السلطان

عرض

ما جناه في أمر الدواوين إياه فبذل خطه بمائة ألف دينار ثم لم يزل
يستدرج إلى أن عجز عن حمل الفادحة وعدم الطاقة ثم استحلفه السلطان
بحياة رأسه على ظاهر إفلاسه وعلى إغلاق يده إن وجد له مال
مفرقا أو مجتمعا ومدفونا أو مستودعا وبقي على جملته بيننا به أو لاده
يعني عن الإرهاق والتخفيف مصبوبا على التحامل والتكليف إلى أن ظهر [معنى أم]
على ما ذكر له من مال عند التجار ببلخ ودائع فأخذوه وأمر بوضع
الرهق عليه لاستصفائه واستخراج ما وقاه بنفسه وذمائه وما بقي
من رمق جاهه وكمائه واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين
مشاهدة حاله واستبراء ما يصدق أو يكذب من مقاله والرهق يستمر
به على الدوام وينال منه يوما بيوم حتى أتاه أجله وحاق به ما كان
يستعجله وذلك في سنة أربع وأربعمائة ولما عاد السلطان وراءه نبأه
ما سمع به وهيهات أين من الأساة جروح مطلوسة ونفوس بين [فيه خ]
أطباق الثرى مرموسة كذلك من آثر المخلوق على الخالق ولم يعتبر بالماضين
في الزمن السابق وقد كان أدرك له ولد في صدر وزارته يعرف
بأبي القسم محمد بن الفضل فبرع على ميعة الشباب في وجوه الفضائل
والآداب حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض نظمه ونثره فمن شعره في أبيه قوله من قصيدة

لقد أرى أبو العباس جودا على جود الربيع المعقبه
ففي أحد يديه ممات قوم وفي أخرى الحياة لمرتجيه
لقد خضعت لك الدنيا ودانت فما ترجى سواه فترتقيه

وأقبل نحوك الإقبال حتى غدا بصرا وأنت النور فيه
فنوروز المعنى يزور سعيدا ربيع المجد في عيش رفيه

وله أحجية

وزنجية قادت إلى القوم بضعة لمبتكلها من كان يعشقها قدما حمى [البضعة اللحم اللهيبية] [أراد السفود عليه الأقانق]
فقام إليها واحد بعد واحد ولم يرد نيا فعلهم لا ولا تما

وأدركته حرفة الأدب فاختطفته يد المنية أنضر ما كان
عودا وأثبته عمودا وأبهره سعودا وأحمده قياما وقعودا وحكى
لي بعض أصحابه أنه أصبح ذات يوم يروي بيتا تلقفه في المنام وهو

أرى الدنيا وزخرفها ككأس تدور على أناس من أناس
فلا تبقى على أحد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاس

فتطير له منه ولما قضى نحبه زاد أبو الحسن الموصلي الكاتب فيه أبياتا ومنها

أبعد محمد بن الفضل أرجو أمانا لي من الدهر العماس [العماس الحرب الشديدة]
أساس الفضل كان به فأودى وأبقى الفضل منهدم الأساس [منهدم خ]
فتى في نثره والنظم أربى على ابن نباتة وأبي نواس
رأى في النوم معجزة جرير تقصر دونها وأبو فراس
سأحفظ عهده ما دمت حيا وحفظ العهد من كرم الناس

ورثاه بعض أهل العصر

يا عين جودي بدم ساجم على الفتى الحر أبي القسم [بالكسر الأصل وبالضم لمركب]
قد كاد أن يهدمني فقده لولا التسلي بأبي القسم

وسد الله مكان الماضيين بأبي الحسن علي بن الفضل المعروف [التجار]
بالحجاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره

وجود موكل بانشاد آمال الاحرار صورة فتى السن في حصافة الكهول
جنان الباقي في شجاعة الشيول ادهمه البابر في غرة الشجاعة قدم
الحيا في ذكى الفصاحة ندب لاعمال الجوزجان فدرت كل ابياتهم ولاينه
وتنقل الى اعمال نسا فضاقت عن قضفاض كفايته يصون الاعمال
صيانة عرضه بما يصيب به ويحيى الامال الراجياه شرف ابيه وسميت
بلدع الرشيد يسوم اماثته ذكرا يادنه
تسموا الرجال بابآ واونة تسموا الرجال بابنا وتزدان
كم من اب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل شمس الكفاة ابى القسم احمد بن الحسن

قد كان الشيخ الجليل ابو القسم يلى ديوان الرسايل للسلطان ايام ولايته
بخراسان وهو الكريم نسبا العظيم حسبا العريق مجدا الوثيق رايا
ورويه تبادى عليه اقطاب الارض بفصاحة القلم وسماحة الشيم
ونفاسة الهمم واحتقار الدينار والدرهم ودرجه وفاده للسلطان
كل نصا ديف الاجر اليه الى ان ولاه عرض عسكره في اقطار ممالكه
وزاده اعمال بست والرخج وما والاها باموالها وارتفاعاتها علاوة
على ما ولاه فقام بجميع ما تولاه قيام من وفقه الله وجلا عليه جوده بين
الآمال من اطراف البلاد فوسعهم جدواه وعمرتهم نداه وكتب من الفقر
يداه فاما من وثنه فما يومن بالمعجزة الصادقة الصادعة منها الامر شاهدها
... استفت ... احتمالا وكان الوزير
ابو العباس لا يصدر الا عن رايه ولا يختتم دعيره في تصاريف عزماته
والحاميه لفخامة شانه ومكانته المعمورة من سلطانه ووساطته بينهما
في معظم ما يرجيه ويرجيه ويحبيه ويبقيه ويذره وياتيه ويقدره
ويقربه ولما وهت عليه قوة امره والكرت بهوده حمره وانفق
للسلطان ان يرتحل نحو ناراين في الغزوة التي تقدم ذكرها استخلف
الشيخ الوزير ابا القسم على مهمات بابه وامداد صاحب الديوان
فيما يليه وتحسينه بصواب رايه وبعثه على مواصلة الجمول عن فرط جده
وعنايته فهو مقيم بالوزارة غير متسم بها الى ان اتفق للسلطان
استبدعا صاحب الديوان في عمال خراسان لرفع الحسابات وتحرير المعاملات
وذلك سنة خمس واربعماية فنهض اليه كل رئيس ومرءوس وشريف
ومشروف ومستعمل ومعزول ومتسمن ومهزول قد اتخذوا الطمع
والعمش حراما ووضعوا الارواح على الراح توكلا واستبسالا
ووافق وصولهم دخصة عزمها السلطان الى الهند فشكب عليهم
اذناب اهل عسكره ما راه ووكلهم باستخراجه في مدة يومين
لاهتمام الركض وضيق رقعة الوقت فحصبوا عصب السلم وسلخوا
سلخ الغنم واقيموا على جمرة الضرام ونكبوا على الهام والقمم حتى
اعتصروها منهم من نضا عبيف اللحم والدم وعندها صبت السلطان
على الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه مهمات الاماره وامره
بمحاسبات العمال ومطالبتهم بما صار في ذممهم من الاموال

القبول ظ اه

وحربيته

عساكره ظ

اليه ظ

لتم امانيهم

تحبيبه وتقنيته

الى الشيخ صاحب الديوان

محنكاً في الحل والعقد مجرباً بين الاخذ والرد وساله السلطان نحو مقصده واقبل
الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذب الامور ونظم المنثور ووظف
الاموال وعرف العمال وبذ صاحب الديوان ابا اسحق على جلته الى خراسان
مستوفياً عليهم ما يلزمهم من حاصل وباق وعتيق وناض وقعد في الدست كالبدر
المنير والسيف الشهير منفرداً بالتدبير محتشداً لروعة الملك وهيبة السرير
فلما اتفق عود السلطان الى دار عزه وشاهد الامور في كنف وزارته
منظومة العقود مضبوطة الحدود والاموال وافرة الريوع حافلة الضروع
بسم له ان يتجرد الى خراسان مستظفاً ما وني او وهن من جهة صاحب
الديوان في جبايته واستيفائه وقصر او قصر عن تربصه وامترائه فانحدر
الى هراة وهيبته تاخذ النفوس بمخنقها وتختلج القلوب عن متعلقها
وكاد ينطق له كل مال مخزون ويلتقط اليه كل درهم مدفون فجمع عن
تسمح النفوس بجمعته واستكراهها عما سمعته ما لم يسمع بمثله [illegible] حمولاً
من خراسان ذهاباً واوراقاً وعصباً ودقاقاً وعلماً ودشاقاً وابراساً عتقاً
وتلاقت البغايا على صاحب الديوان بما ناله من صنوف المنائح ووجوه
المطامع فسامه السلطان تصحيحها تسبيباً وحملاً الى بيت المال فرتبا
فاعتزل العمل ونزل عن كل ما حصل وفزع من بعد الى حاصل املاكه وضياعه
ومواشيه وكراعه وتجمله واثاثه حتى حلي ابنائه فحل ما اعتقده منها على
مال مصادرته وما جمع عليه من بقايا عمله وكان الوزير ابو العباس قليل
البضاعة في الصناعة لم يمض بها في سالف الايام ولم يرض بنانه لخدمة
الاقلام فانتقلت المخاطبات مدة ايامه الى الفارسية حتى كسدت سوق
البيان وبارت بضاعة الاجادة والاحسان واستوت درجات العجزة
بالكفاة والتقى الفاضل والمفضول على خطى الموازاة فلما سعدت الوزارة
بالشيخ الجليل ابي القسم احمد اسعده الله بجد وجد الافاضل وورد بمكانه
حدود الفضائل ورفع الوية الكتاب وعمر افنية الاداب تجزم على وشحة
ديوانه ان يتكلموا الفارسية الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه وعجزه
عن فهم ما يعرب به عليه فطابت توقيعاته في البلاد والاشوارد الامثال
وابيات المعاني من القصائد الطوال ففي كل ناد بدأ بالجارها وفي
كل مشهد شهادة باستحسانها فاما فقد نشر عنه محموده ويسعد
به جدوده وفتوى بالعذب الرحو اصنحوده فابدابه كالجنادب
تغريداً بمنافيه والقمارى تسجيعاً على الضرب المادي من ابيه
في الناس عنايات ونجحه بفضله لاهل العلم امال وعصمة وانفرد بتدبير
البلاد والعباد بنياً على الاسباب وحاطباً على الاسباب واحافة على الايمان
ومكافاة بالاساءة والاحسان وابنوا الجاح القلوب بمراهم الترغيب
وانكاد ليميه مرح العادة سابق التخويب واشارة على السلطان
في امور مملكته بما يفيده من عاجل الفوز واجل الثواب الغزير لاجرم
انه استتبت الامور بعنايته وانسدت الثغور على ابدائه وكذلك من
كان على العلم ايراده واصداره وعلى البصيرة ارجاؤه وبداره

خطى

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير

وما ختم به اجله وانتصاب ابنه فلك المعالى منصبه

قد كان ذلك الامير على ما خص به من المناقب والباكى البصير بالعواقب فى المجانب
المنيف على النجم الثاقب مر السياسة لا نستسيغ كاسه ولا نؤمن بحال سطوته
وباسه يقابل زلة القدم باراقة الدم ولا يعرف فى ادنى درجات العقاب
وان لم يقصد اليه مراد ولم يشترك فى كسبه اعتقاد غير حز الانتقام بحد
الحسام والتعليق عن مركب الهام لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف
معنى السوط والخشب ولا يرى الحبس الا ما بين الصفايح والترب وهلك
على خشونة هذا الميس وصعوبة هذا البطش فيام من حاشيته لو استبقاهم
على خفة اجرامهم لكان اشبه بالجلالة واليق بالاصالة والعدالة فما زالت
هذه حاله حتى استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب عنه ونبت
الصدور عليه ومالت عنه الاهوا المايلة اليه اذ كان لا يجد لا يامن العثرة
ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملحقا بالخطا اليسير صادفت النفوس
متناجية والارواح مستباحة والمر من البشر لا يعرى من النجى فهو اذا مات
فقد فات وليس مما يعود بعدما عرف العود واتفق ان حاجبا له كان
يعرف بحاجب نعيم من الحجاب الكبار كافله فى حدود جرجان عديم المعاقلة
والعادية سليم الناحية من بين امنا الحاشية فكان اعتمده لضبط
استراباذ وسياستها ونمى عليه انه طمع فى بعض رباها فى منال او مال
الى الانتفاع منه بمال فامر بقتله وتعليقه من خيط رقبته وهو يستغيث
مفصحا ببراءة ساحته ونقا جيبه وراحته وقصور ما نعى به عليه

لوضح اسناده عن امانته تفتيشه واراقة دمه من اذ قتله فى ايغار الصدور
واضغان القلوب وتوامر عند ذلك اعيان العسكر على خلعه ونزع الايدى
عن طاعته وكفاية النفوس شغلها بثقل وطاته وخشونة سياسته
ووافق هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان الى الجيكر بجناشك استبدالا
لهوايها عن وخم الجرور عند طلوع الشعرا العبور فعمى عليه وجه الصورة
وشذ عنه علم هذه المشورة فلم يرعه ذات ليلة غير زحام العسكر
بباب القلعة التى اعتصم بها وانتهابهم امواله وامراسه وبغاله ومراكبه
فسره واستنزاله فهرت فى وجوههم من كان نزولا بفنايه بجانبين حرز رابه
حتى انكشفوا عنه صاغرين وولوا على اعقابهم داخرين ومالوا
الى جرجان فملكوها عليه معلنين بشعار العصيان لا بسين عار الكفران
وبعثوا الى الامير ابى منصور منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه
على الورود لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم
العقاب استعظاما للحادث بابيه واكبارا لما انفذ من المكيدة
فيه وطمعا فى تدارك الخطب وتلافيه فلما دنا منهم مضربه توافقوا
على طاعته ان خلع اباه وابتزه رداء الملك ان اباه فلم يجد فى عاجل
الحال عنه المداراة ضبطا لما انتشر وردا على ما استعر وصونا
لستر الحشمة من الانخراق وابقا على سكر الفساد من الانبثاق واشفاقا
على البيت من الضياع وعلى الملك من التخطف والانتزاع وقد كان
شمس المعالى لما سمع بنبا القوم واجتماع كلمتهم على الخلع عطف بمن معه

من رجال ومال

من الرجال والمال الى ناحية بسطام ناظرا لما تسفر عنه عاقبة التحزب
وتنتهي اليه نايرة التغلب والترتب فلما تسامعوا بنبأ به استكرهوا
الامير منوجهر على قصده وازعاجه عن مكانه او ردّه فسار بهم
اليه مصطنعا او دافعا بالشر شرا كالجمل الانف ان قيد انقاد وان
انيخ على صخرة استناخ فلما وصل الى ابيه اذن له دون من يليه من اتباعه
وحواشيه اذ قام دونه من خاصته رجال يرون الموت شهدا دون
حوبائه والروح وقفا على شكر احسانه فلما وصل اليه كفر طاعة
وخضوعا وابلاك اودية الشؤون دموعا وتشاكيا حدوث الحادث
وتذاكرا حق الموروث والوارث وعرض الامير منوجهر ان يكون حجابا [الموروث والموروث عنه]
بينه وبين اعاديه وان ذهبت نفسه فيه فراى شمس المعالي ان العارض
قضاء امره وختام عمره وانه احق بوراثة ملكه وبقية الامر
من بعده فسلم خاتم الملك اليه من يده واستوصاه الخير به ما دام [امده]
في فسحة من امره وتواضعا على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك
متفرغا للعبادة الى ان ياتيه نقيبه فيسلم له نفسه ودينه وان
يتفرد الامير منوجهر بتدبير الملك قوليا وتقديرا وتقديما وتاخيرا
وتحللت اليه عادية على هذه الجملة فانتقل الى القلعة المذكورة
مع من رضيه لخدمته ومعونته على ضرورة مصلحته وعطف الامير منوجهر
الى جرجان فولى الصدر وضبط الامر واخذ بزار القوم ترغيبا وتطميعا
وشملهم بالاحسان جميعا وهم على جملة النفوس خيفة الثبوت ما دام

شمس المعالي في فسحة البقاء وزمرة الاحيا وما زالوا في الاحتيال عليه
حتى فرغوا من امره وبيلغوا كما زعموا من عادية شره فلم يرضوا به وهو
في صوان الاثواب حتى كشفوا عن محياه رداء ارداه فطابوا انفسا بحينه
عبد موا شمس المعالي تابوتا وواروه في مقبرة كان انشاها لنفسه بظاهر
جرجان على سمت خراسان وغدا الناس في معناه كما قال المهلهل [illegible]
نبئت ان النار بعدك اوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا في امر كل عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا [تفاوضوا] [لم يتكلموا]
وعقد الامير منوجهر المأتم ثلاثة ايام على رسم الجيل في جز الرؤوس
وضرب النفوس ورفض المنام وهجر الطعام ولما قضى ايام المعزى ينبي المقبور
واستونف السرور كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر [على البيعة ثم]
ولما سمع القادر بالله امير المؤمنين بخبر شمس المعالي واستيفائه قضاء الله به
خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا ولقبه بفلك المعالي مشرفا
ومحليا وعزم الله له على الصواب في اختياره والرشد في ايثاره ففزع
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة معتصما بحبله معتصرا بظله مستظهرا
بطاعته مستنيما الى متابعته مستغشيا برداء عنايته متلافيا وهن
المصاب بقوة اشباله ودعائمه وانهض عدة من ثقات بابه بهدايا
موفورة ونفايس منخورة ورسايل على صدق الاخلاص وصفو الامحاض
مقصورة فصادف ما رجاه رغبة في موالاته وحرصا على تقمص مرضاته
وترددت السفراء على رباب هذه الحال وتوكيد عقدة الوصال

بتمهيد العهود والميثاق

واحتكم السلطان عليه في اقامة الخطبة له على منابر ولايته امتحانا
لمحضه وثقة بعقباه في موالاته وانهض اليه ابا محمد الحسن بن مهران احد
ثقاته باداء اصحابه من تقاصير خلقه وكما ماته فصادف منه قريبا
مجيبا وسميعا مطيعا وامر باقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان
وطبرستان وقومس والدامغان والتزم في السنة خمسين الف
دينار اتاوة وعلى علمي الطاعة والاخلاص علاوة واستدعى السلطان — الحكم العدل
على تفيئة ذلك وقد عزم على غزوة نارذين انجاد حشمه بطائفة من الجيل — اغنا
والديلم يحسنون حروب المضايق ويغنون غناء الكماة البطارق — الذين يظهرون الكفاية
فسرب اليهم الفي رجل من خلص الجيل ان راموا الوعور فوعول
او قصدوا السهول فسيول وقد امر بازاحة عللهم في اعطياتهم ونصب
لهم من يقيم اود حاجاتهم ويطلق مدة الحاجة الى غنائهم واجب
ارزاقهم واستحقاقاتهم ولما استحق على السلطان بآثاره في القربة
مزيدا لمثوبة وبمساعيه في الطاعة قضاء الحاجة انهض نحو جرجان
ابا سعد الشوكي المقدم فضلا وادبا المحتشم حسبا ونسبا لاقتضاء
من بعد الحال بوصلة تقوم الكفاة خطبتها عنه والطاعة باستيجابها — فصله
له فنهض في حضانة الادب لتهذيبه وكفالة الرفق بما يدره
ويأتيه ولم يزل يأتي الامر من بابه ويستطلع المراد من حجابه حتى
استمحت قرونة السلطان باستدناه واوجب الاسعاف بما توخاه — ارادت
ولما انكفأ الفاضل ابو سعد وراءه بصورة الايجاب ومما بادفه
من همزة المجد للأطلاب حشمه الامير ملك المعالي معاودة
الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ العلم وراوية الحديث وصنيع — اركن الرواية
اخلاف التدرب والتجريب لتنجز النجاح وتاريب عقدة النكاح — لسان درب
فنهضا الى حضرة السلطان مقيمين رسم الخدمة وخاطبين
ضم البدر الى النجم فرأى السلطان تحقيق مدلول العدة وعصيان
سلطان النفس طاعة لرب العزة وبذل للامير ملك المعالي خلبا
من كبده ويبيح له بزهرة الارض من نجوم ولده واي نجم كان في فلك — عنه صدر
المعالي مداره لم تبعد داره انى ومدار النجوم الافلاك وازواج الملكات
الاملاك وجرى من الاستبشار باتحاد النفوس والذباب وصب النثار
وصوب المبار كالغيوث الغزار ما ارخ به كتاب الدهر ويسم بذكره
سالفة العصر وعاد الرسولان بذلك النجح الموقوت والاسعدان
يقترنان في الحوت وعندها تكلف الامير ملك المعالي حرمة للقرنى
ونحلة بين يدي النجوى ما لا تبين مرآة على اختلاف اصنافه واعراب
نقوشه وافوافه انه كهمة الى قيمة الجوزا ابن فوعه ونية على صدق
الولا مطبوعة ولم يبق احد من اركان الدولة وحواشيها الراتعين — من حج
حول مراعيها لم يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشترك في البر المعقود
بالشرف لا جرم ان السلطان دعى حرمة قرباه وجزاه عما سمحت
به يداه واوفد كلا منه من قواد جيوشه وافراد رجاله بخلع علمت
اجانب الملوك كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود ويصفي

وتقضى المجد بعفو البداي دون المجهود فاما صاحب درة الصدف وياقوتة الشرف فما اطال عهد الدهر بمثله مجموعًا في مكان محمولًا من خراسان ولا غرو فالشمس تغني البدر نورًا والبحر يدع الخليج مسجورًا وقد كان الامير فلك المعالي بعد ان استتب له امره واشتد بمظاهرة السلطان ظهره دبّر على اعيان عسكره المشتركين في دم ابيه فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل وانواع العلل حتى اباد خضراءهم وسقى ظما الارض دماءهم واجتث ابن خركاش وهو القريب العاق والنسيب المشاق بالداهية الدهيا فانسل تاريها بين سمع الارض وبصرها تارة بالرعان والاباطح وتلفظه القيعان والصحاصح فيما مس جانب القراب طلبته هامة الماضي بالتباب فهام على وجهه ولا فقيد تقيف بين تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان احد من اباد ذلك الشر على شمس المعالي على ما تساندت الاخبار به ابو القسم الجعدي وكان صاحب جيشه فاجاز الى راس الجدكان على قهان يرى كل صيحة عليه وكل حسيس يسهم اقواس حنيه فامهله الامير فلك المعالي زمانا حتى ظن ان له دون شوكة الاحين شانا ثم اطباه بتطميعه وترغيبه حتى اعلقه حبالة الاقتناص وايسه من الطمع في الخلاص وان لله حكما في امور عباده معلقا بآماد معلومة وغايات محدودة فليس قبلها مستقدم لما تاجل ولا بعدها مستاخر لما تعجل فاحتال ابو القسم حتى انسل هاربا فاعتسف البيد جانبا وما زال على حاله واحتياله حتى ورد نيسابور بطن وبعض الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان يمين الدولة وامين الملة على تغلغل دواخله وارتهانه بسالف فعله وقابله مما تمهد في ذات البين من عقود وتاكد من عهود واشتراكهما فيه من طارف ومتلود يحل عليه عقال آثامه ويكف عنه ما جرى عليه من بليس اللد واستقامه كلا ان سوء الفعل خذول والقاتل لا محالة مقتول وشر المحن ما اومض بالخلاص قبلا ابانه واستيفاء مدة النضج على تجب انه انه ليوميم انفكاك ثم يعقب الهلاك كالمرة تطمع القادة في الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة لحقتها بجدوة لا جرم ان السلطان لما انتهى اليه صورة حاله ومن قبل ما قد سمع بسلوك فعاله امر برده ورآه في عقاله ولقد احسن ابن الرومي في مقاله

الخير مصنوع بصاحبه فمتى تفعل الخير اعتبكا ... والشر مفعول بفاعله فمتى فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير

ثم كان دارا بن قابوس بعد استيمانه من جانب ابي علي محمد بن محمد بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور الرضي مقيما على خدمته سهيما في نعمته الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان فانحاز اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وصادف من الاشبال والاقبال ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم جرده شمس المعالي قابوس الى طبرستان فاقام بها سنين دون مخالفيه وربما على اوليائه ومعاملته واستنهضه منها على تريفة المقيت اليه فاتاه وهو باستراباد

يريه صحة اديمه واستواء جديته بتقليبه فاحسن استقباله وانزاله
ثم دعاه في وقت ارتياب به ليركب على قصب حضرته ثم عطف عطفة
الليث الخادر نحو خراسان بين غياض تشكو الاراقم بينها ضيق المجال
والمضطرب وصعوبة المنساب والمنسرب واستصحب من رافقه
ووافقه من غلمانه واهل الثقة به فالى ان عرف شمس المعالي
خبره واستركب لاقتصاصه عسكره بما قد طار به الركض وحالت
دون منالة الارض ولما شافه حد خراسان رفرفت الامنة
عليه بجناحها الى ان ورد حضرة السلطان يمين الدولة وامين الملة
فتقبله احسن قبول ولقاه خير مقول ومفعول وما زال
يرفع منه تنويلا وتخويلا وتفخيما وتبجيلا حتى اعتزه فضل الانبساط
وعز الانتساب باهد قربته وهدم رتبته فاستوحش من عارض
الاعراض واشفق من رهق التغير والانقباض فلاذ بظل الليل هاربا
وبات يطوي الليل تقريبا وخببا وامر السلطان بطلبه واتباعه
في وجه مهربه فالحق حيث قامت الخيول تعبا ولم تجد السيوف
عليه مضربا فقرر على وجهه ملتجيا الى ابن الشار المعروف بالشاه
بجبال سيهاني الصفا معمورة واصول ود بالوفا مابورة فلما استقر
به المكان وجرى كاتبه السلطان فاسترده وخوفه ان ياتي
عليه بما بعده فاضطر الى رده واسلامه عن يده وبقي في الحلقه
الحبس مدة يكابد بوسا وشدة الى ان وجد فرصة الانفصال
عن ربق العقال ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه احد ولم يكن
ليغني عنه لولا المقدور راي ولا طلب وابت عليه لجاجة المحنة ان
يتم خلاصه وتستتب له مناصه فاعثرت عليه حتى اعيد في
وثاقه وزيد في ارهاقه الى ان شرح الله صدر السلطان لاطلاقه
فانشاه نشاة ثانية وانبت ريشه قادمة وخافية واعاد حاله بالاحسان
حالية ويده على ايدي الاضراب عالية ووجهه لولاية جرجان وطبرستان
معضودا بابي الحرث ارسلان الجاذب وذوي النجدة من كماة الرجال
وكفاة الابطال لولا ان الامير فلك المعالي منوجهر سبق تمام الراي
باظهار الطاعة وعرض ما وراء الوسع والطاقة ولما جالت حرمة
التقريب دون الاحتياط استرده السلطان الى حضرته فجرى مجرى
اركان الدولة واخدان العشرة لا يفارقه في حفلة ولا يزايله
في خلوة وقت ركوب ولا يتفرد دونه بدور كؤوس وكوب الى ان ورد
الامير ابو الفوارس بن بهاء الدولة حضرة السلطان منزعجا عن كرمان
لقصد عسكر اخيه اياه مستظهرا به على معاودة مملكته
وان تجلع نعمته وبيته فجمعهم ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس
وطابت النفوس وجرى حديث السلف والخلف واعراق من اعراق
منهم في الشرف فنطق دارا بما لو سكت عنه لكان اشبه بحق الخدمة
واحكم للحشمة ووقت الاجتماع على بضايع العشرة وحمله رمز الانكار
عليه على قصب المرادة وركوب المحاقة حتى تادى به الامر الى ازعاجه

المخاصمة — الرد — دارا

لاقتصاصه لاقتفاه

التمويل تكثير المال والتخويل اعطاء المال

اي الخيول التي سارت في طلبه

مؤابر النخيل

جواب محذوف ابو لا المذكور

عن مكانه واشجا به بغصة المذل على سلطانه وامر به في عقب غدره الى
الاعتقال وحمل الى بعض القلاع وقبض على ضياعه فاجريت مجرى
الجوزيات تستغل اسوة سايرها الى ان عاد الشيخ الجليل بابه فامر
بردها عليه معونة له على مصلحة حاله ومؤنة اعتقاله وذلك في المحرم سنة سبع واربعمائة

ذكر مجد الدولة وكهف الملة ابي طالب بن فخر الدولة

قد كان فخر الدولة الى حسام الدولة ابي العباس تاش وهو بجرجان كتب صح
منحدرة اليها عن خراسان على لسان الصاحب يبشره بولادته
واجل الله اياه في الصنع به على كريم عادته وكان مما كتب وقد رزقني
الله ولدا كنيته ابا طالب طلبا للسلامة في مدته وسميته رستم
لانه من اسماء انسابه وارومته فلما اخترمته المنية بايع الناس مجد الدولة
الا ان التي قامت عنه كانت اختا للاصبهبذ بفريم وسائر مملكة اي قامت عن جانبه بتدبير الامر
الجيل وهي في منعة من اهلها وعزة من جانب ابيها فتملكت
على الديلم واستاثرت بالامر والنهي والحل والعقد وجرت بينه
وبينها مكاوحات تادت بها الى استنهاض بدر بن حسنويه
اليه وامتلاك الري عليه وجرت بينهم ما وشاة افضت بالديلم
اولا وباهل الري ثانيا الى بوس وفاقة ودما مهراقة وقتل ليس
ريثما قدر فواق من افاقة وعن قريب يعود الخلاف جذعا وحبل الصلاح
والوصال منقطعا ممتنع عنه ابادة الرجال واستباحة الاموال
وشرود الصلحاء في البلاد وضراوة السفهاء بالافساد ولما عرض

٢٥ مجد الدولة بالامر وما ينفتح على الدوام من شرب الشرب اثر البقي
في الاعتزال عن سياسة الامارة وحملة الاعتراف لها بالطاعة على العقوق
المفضي بمن تحت ولايته وبرعاياه الى خطة الاحتناك المشفي بهم على
خطة الاجتياح والاستيصال فلزم البيت متفردا بالكتب والدفاتر
ومستصاوحة الفضل بسواد المحابر وانفرد اخوه شمس الدولة بولاية
همذان وقرميسين وما والاها الى حدود بغداد وورث بدر بن حسنويه
اموالا عظيمة طالما حفظتها صدور القلاع مكتومة وختمتها خيوط
الاكياس مختومة فلم يلبث الا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال
واستنفدتها حقوق الآمال شيمة له في التحقق بالفضل والتخرق في البذل
وقد كان ابن فولاذ قد نجم في دولة آل بويه وارتفع قدره وانتشر صيته
وذكره والتفت عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب فسال
مجد الدولة والكافلة بالتدبير ان يزلا له عن قزوين طعمة له ولمن
معه ليتفرد بولايتها وجبايتها ويكونا من اركان دولتهما وظهرا
من ظهور جندهما يذب عنهما بسيفه وسنانه متى دهمهما خطب
ودجن على نابهما خطب رطب فضنتا عليه بها لضيق رقعة الملك
ونكوص درة الدخل واذليا اليه بظاهر العذر فقصد اطراف الري
على جملة العصيان يفسد ويعيث ويقطع دون اهلها السبيل
من يمين ومكالحة عليها ما يلي جانبه من قرى وضياع وبيع
وابتياع الى ان استعانا بالاصبهبذ المقيم بفريم فاتاهما في كثر جمعه

فقتلوا جماعة منهم ولا يحصى لكثرتها

نخمة من الجيلية اولى الباس والحمية فما وسوة القراع وصدقوه
المصاع وجرت بينهما فى دفعات ملاحم استلحمت كثيرا من
الفريقين واصاب ابن فولاذ فى ساقه نشابة اثخنته فولى
فيمن تبعه على سمت الدامغان حتى الم بها ورمّ الرث وعالج
المرث وكتب الى فلك المعالى منوجهر بن قابوس يستمده
على عسكر الرى على ان يقيم الخطبة ويظهر الطاعة ويلتزم
الاتاوة فامده بالفى رجل يورن احاذهم بالالف واقرادهم
باضعاف يرون الشرف فرضا لمن مات تحت المشرفيات
والتنهب حقا على من حاد عن الثبات ووصل جناحهم
بالى قضى حق الطاعة انقطاعه اليه واعتاده عن ظهر الثقة
عليه وانهض نحو الرى حتى اناخ بظاهرها فاعاد الاغارة ومنع
المايرة والمارة وغادر الديلم بها فى ضنكة البلاء وضيقة اللاوا
حتى اضطر مجد الدولة ومن وكل التدبير الى ايثاره باصبهان
فعقد له عليها وخلى بينه وبينها استمالة لقلبه واستعاذة من شره
فطارت عند ذلك نعرة الخلاف عن راسه وزاحلت وحرة
العناد من صدره واقبل يروض عسكره على رشاد وسداد
ويغل ايديهم دون امتداد الى فساد وصرف عسكر الامير منوجهر
وبا مثهم بذ اصلاح حاله واستغنائه عن رجاله وعطف الى اصبهان
خاطبا لمجد الدولة على منابرها وذلك فى سنة سبع واربعمائة
وكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع الى السلطان يمين الدولة وامين الملة
فاقام على خدمته الى ان جعل ناحية بيار وجومند برسمه فنهض اليها
واقام بها يستغلها ويستوفى دخلها الى ان رجعه مجد الدولة
من الرى فاعتسف اليه اليها اشفاقا من عسكر شمس المعالى قابوس
ومكايده وعيون ربايا ورمل صدره فلما وصل اليها عرف له حق
قرابته وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته وبقى هناك ببنين
مرجوعا اليه فى الراى والتدبير وموثوقا به فى التقديم والتاخير الى ان
غش منه على مالاة لبعض المخالفين فقبض عليه وحبس فى قلعة استوناوند
وما زال بها محبوسا وفى مخلب الامتحان منشوبا حتى عفى عما جناه
ورد ثانيا الى ما تولاه ووافق ما به خلع الديلم لجام الهيبة لعدم
السياسة وانفراد مجد الدولة فى بيته بالدراسة وتبسط الديلم بما شاءوا
من غصب وقطع ونهب وكبس ونقب لا يرتدع منهم الا من استعبره
الله المخافة واودع صدره الرحمة والرافة فانبرى نصر بن الحسن
لقمع اولئك الضلال فاجتاح منهم فريقا واوسع آخرين تعريقا وتمزيقا
فلما راى القوم ما دهاهم فى اضرابهم من جده واستيصاله تجمعوا
على قصده وقتاله واحاطوا بداره فدافعهم بحاشيته مليا ثم اشتى منهزما
وغادر ملكه منهوبا ومغنما وما زال مضطربا فى محنته الى آخر مدته

ذكر بهاء الدولة وما افضى اليه امره قد كان بهاء الدولة وضياء الملة
بعد ان فتح الله على السلطان سجستان راغبا فى موالاته خاطبا

لمصافاته مؤثرا لمكاتبته حريصا على مقاربته بحكم الجوار الواقع بين الدولتين
والصقب الحادث بين المملكتين ووافق ذلك من السلطان رغبة في مثله
من جهته لشرفه بنصابه وسلفه ولما خص به من الهناءة في الملك
والجلالة في سعة الملك فسفر بينهما السفراء على الجام بتجديد القربة واحصاد
قوى المودة حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتأكدت العهود احكام
وتاجدت الجدود وعندها احب السلطان ان يجعل المصافاة مجاهرة
والموالاة مصاهرة فانهض القاضي ابا عمرو البسطامي شيخ الحديث
بنيسابور الى فارس وهو النبيه فضلا والوجيه محلا والامام علما وتحقيقا
والجسام لسانا فصيحا ورأيا وثيقا وصادف من اجلال بهاء الدولة
واكرامه واظهار التطفل عليه في مرامه ما اقتضته جلالة شأنه من
اصداره ومباعدة القرب له في كل ما قدره واقام عليه منقولا من
مجلس الايجاب الى منتهى الاكرام ومن دراجه الاستبال الى عاتق
الاكبار غير ان بعيد طلوعه عليه وافق منه علة احدثها سوء
المزاج بين الطبائع والامزاج فاعياه تحرير المراد على العارض
العائق وقد كان فخر الملك مقيما ببغداد وهو الوزير والمصيرون
اليه الرأي والتدبير فجشم القاضي الى ما قبله لينفذ وصايا توجب
صرف الرأي اليه في تأديب العقد عليه فاتفق مع وصوله استيثار
قضاء الله ببهاء الدولة وانتقاله بروحه الى جوار ربه وبايع الناس
ولده الامير ابا شجاع ولقبه القادر بالله امير المؤمنين بسلطان الدولة

واستتب له طرق الامر واعتقد له عليه عمود الملك وجرى له الطير
بالاقبال وحسن الفال ولما عاد القاضي الى ما قبله لم يملك له من ذاته
جوابا يغنيه ولا احوارا يشفيه اذ كان دونه رسولا الى ابيه فصرفه محملا
من رسالته في وراثة الود والوفاء بسالف العهد واشتراط الخلوص بقاصية
الجهد مما اقتضاه حكم الابتداء بغرس الوداد واستثمار الوفاء على ظهر
البعاد وقد كان الامير ابو الفوارس اخو الامير سلطان الدولة مقيما
بكرمان فشجر بينهما خلاف اقتضى سلطان الدولة تجريد الجيوش لقصده
واستصفاء تلك النواحي منه واستخلاصها من يده فنهض هو لتلقاء همتهم
وكف عاديتهم واوقدوا بينهم حربا افنت الرجال اكلا وشربا واجتاحت
الارواح طعنا وضربا واستمرت الكشفة باصحاب الامير ابي الفوارس فانقلبوا باتباعه
فانقلبوا منهزمين واقبل هو نحو سجستان يؤم حضرة السلطان الامير ابو الفوارس
يمين الدولة وامين الملة متمطيا رجاءه ومستنهضا كرمه لرده وراءه
فلما شارفها وتداعى الى السلطان خبر اقباله امر ابا منصور نصر
بن اسحق النايب عن الامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين بخدمة
استقباله وتكلف الواجب من انزاله واقامة انزاله وانزال من معه
من طبقات رجاله ونثر عشرة الاف دينار له من خاص بيت ماله فبلغ
من ذلك مبلغا شهد من كان شاهدا بسجستان من قرابها
وطرابها ان احدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف لاحد من اولاد
الملوك ولم يخطر ان مثله يسمح به تيار الجود فكيف اقطار الصدور

المطلق التقرب واظهار المواصلة
اي التلطف له
اي اقام على خدمته
اي طلوع القاضي على بهاء الدولة
ي الجم ...
بن بهاء الدولة
الامير ابو الفوارس
من العوام
مثله
جمع القادر الا ... بنزول القرية

وكتب ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا عقد بالنجم ظفايره واقام من
على الشرق بعضه وعلى الغرب سايره ولما وصل الى حضرة السلطان
اوجب تصاحق مقدمه بالاستقبال وتلقى عظيم قدره بالاجلال
وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والانعام
بكل ما ينتهي اليه قبيل الاكرام مما وقع عند الخاص والعام موقع الاستعظام
ماخلا المهمة التي ترى الدنيا خارجة عن ملكها شعرة من ابشارها
وصوفة من اوبارها وغرفة من بحارها وقطرة من امطارها واقام
عليه ثوابه ثلثة اشهر ضيفا لا يميز عن الادنين ارحاما وشيجة
وانسابا قريبة حتى اذا نشط للانصراف والتمس معونته على عارض
الخلاف ارتاح السلطان لما استدعاه فاعطاه فوق رضاه اموالا
اخفت اقلام الكتاب واوهت انامل الحساب وانهض في صحبته ونصرته
واقامة خدمته ابا سعيد عبد الرحمن بن محمد الطائي احد مشايخ بابه
وافاضل كتابه في رجال قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته فلم يعرفوا
وجه الانقلاب الا بالانقياد على الاكفاد تحملت اخرى شواكلها
من طول ما حملت سببا على الكفل وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم في سائر
خاصته نحو كرمان فجلا عنها من كان ولي عليها علما بعجزه عن
المقاومة وافتضاحه ان تعرض للمحاكمة فملك تلك النواحي ملكه
اياها من قبل واقام بها ابو سعيد الى ان قررت تلك الامور ودرت
للجبايات الشطور ثم كر وراءه فيمن كانوا برسمه وتحت قيادته
وانت على ذلك مدة من الزمان تمنع حشمة السلطان يمين الدولة وامين الملة
وحرمة الناهضين من اتباع رايته في امره وسمعة بمعز عنايته ان
يقصد بما يوهم خلافا عليه حتى اذا عاودت تلك الجيوش غزنة وانفرد
الامير ابو الفوارس بالتدبير دار تاش بعد التعبير سرب سلطان الدولة
عسكرا ثانيا لمواقعته واستخلاص تلك المملكة عن يده فتلاقيا
على حرب اشابت القرون تحكيما لظبى الصفاح في مدارج الطلى
وتجويرا لسنا البماح على موارد الكلى حتى تشقرت الاوراد وتمغرت
من رشاش الاكباد وعند ذلك قدم الامير ابى الفوارس فولى كسيرا
لا يعرف قبيلا ولا دبيرا وانتهى به الركض الى همذان حضرة شمس الدولة
بن فخر الدولة فقضى فيه حق القرابة اعظاما لقدره واهتماما بامره
واغتناما لشكره واستعدادا لنصره واقام مدة مديدة على هذه
الجملة حتى استشعرا واستشعر انه مغرور ومقصود الى الامير سلطان الدولة
بردود فنفر نفار الايم من ضربة القاتل والوحش من كفة الحابل
وفارق مطنته قاصدا قصد بغداد وسنشرح ان شا الله من بعد
حاله وما انتهى اليه امره مما كان عليه اوله **ذكر ايلك الخان
وما انتهت اليه حاله** قد كان ايلك الخان بعد الكشفة التي اتجهت
عليه بباب بلخ نوكب ظهر جيحون وعاد دربا ويضطرب على نفسه
غيظا مما دهاه واسفا على ما اعياه وما زال يحارب طغان خان
اخاه ويستنصر قدر خان على ما اوهن من قواه وفوته من

مراده ومعزاه والقدر له معاند والزمان مناكر ومناكب حتى يراجعه
الكمد على فراشه ويجعفه عن قليل بطيب حيوته فاشبعه التراب بعد
ان جوعه الحرص والاضطراب همة كانت معلقة بالابر مخلقة
على فلك التدوير غيران يد القدر فوق يد التدبير وما يصنع المرء
بالجد اذا وافق الجد سافلة البير
فهيه رحى تجري لها الريح ماءه وليس لها قطب بماذا يديرها
وقد ينهض العصفور كثرة ريشه ويسقط اذ لا ريش فيها يثورها
وكانت وفاته في سنة ثلث واربعمائة وولي مكانه اخوه طغان خان
ووالى السلطان يمين الدولة وامين الملة ووالاه وهادنه وهاداه
مستلافيا بزعمه لما اخل به اخوه ومتوددا من حيث بكرت الخلاف
دونه وجاشت من جانب الصين جيوش لقصد طغان وبلاد
الاسلام من ديار الترك وسائر ما وراء النهر يزيد عددهم على مائة
الف خركاه لم يعهد الاسلام مثلها على صعيد واحد يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم بغيا طال ما صرع اهله واوردهم كما
يورد الهدى محله فاستنفر من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه
من رجال الترك واحزاب الغزاة والمطوعة قرابة مائة الف رجل
فاستكت اسماع المسلمين من فظاعة ذلك النبا الهائل والنبا
المائل فارتاعت له القلوب والتاعت النفوس وتناصرت الادعية
والذكور وسار طغان خان مستقبلا من اقبل اليه من جموع
الكفرة الفجرة بنيات مقصورة على الاستقتال واستقبال الآجال ويرزق
الله نصره ويظهر جنده تحقيقا لما وعدهم على لسان نبيه محمد عليه
حيث يقول وقوله الحق انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا
والتقوا اياما تباعا على ملاحم لم يدر من فتق العروق وضرب الحلوق
وشد الخيول على الخيول اصوب الانواء ام صب دما ولمع بروق ام وقع
سيوف وظلمة ليال ام رهج نزال وفي كل ذلك سوى الله عباده بالايد
المتين والنصر والتمكين حتى وثقوا بالصنع المستبين وطلوع البلج
مشرق الجبين وتلاقوا اليوم منصوص عليه على فيصل الحرب تشد بهم
لها نطاقه وادار على الفريقين ذهاقه فاما اعداء الله فبكروا واستكبروا
استوجبوا ابو الجدود بالجدود والبوائك فصبت عليهم من لدن لاح
جبين الشمس الى ان ذكت براجا وهاجا وكادت تصير على قمم البرنس تاجا
واما اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام والعبث
بطلائع الحمام لا جرم ان الله حماهم ونصرهم وآواهم واظفرهم فعادوا
من جماهير الكفار قرابة مائة الف عنان صرعى على وجه البسيطة
عن نفوس موقوذة ورؤوس مشدودة وايد عن السواعد مجذوذة تقرى
للضباع بالاجفلى للشباع والوحوش الجياع وافاء الله على المسلمين مائة الف
راس غلمانا كالبدور واللولو المنثور وجواري كالحور العين والبيض المكنون
وسوائم غصت بها اقطار البيدا وضاقت عنها اطراف الدهنا
وشرد الباقون وراءهم تشلهم السيوف شل الانعام وتضربهم

ادبرها خ
خان م
مثلهم خ
بالنصر خ
اطراف خ

ضرب القدار بنقيعة القدام وتختطف ابو اجهم بايدى الحمام وتطايرت
به البشارات فى ديارات الاسلام فنضرت لها الوجوه وضحكت القلوب
وعم السرور وتوفر السكون وتباشرت الدور حتى المقصور والحدود
لطفا من الله للدين ارتضاه ووعدا ان يصل بسبب التابيد يقواه ولن
ولم ينشب طغان خان بعد ان فرغ من هذه الحرب العظيم باسها
الشديد مراسها ان استاثر الله به فنقله الى جواره وبواه مثوى الصديقين
من دار قراره ختما له بالشهادة وحتما عليه بالسعادة وورث مكانه
اخوه ارسلان خان ابو منصور المابثم صنوه فى النقبة وتلوه فى الامور
الالهية ثبت المقام فى دين الاسلام لا تعرف له جاهلية ولا تنقم منه
عنجهية ولا عجرفية يقيم الصلوات جماعة ويفترض العدل
لله سمعا وطاعة وعمر بين تلك الحال التى كانت بين طغان خان اخيه
وبين السلطان يمين الدولة وامين الملة اطنابا للمصافاة واستشعارا
للمواخاة وايثارا للاشتراك على تصاريف الحالات وخطب السلطان
اليه والى اخيه كريمة له على ولده الامير الجليل ابى سعيد مسعود بن
يمين الدولة وامين الملة فاجيبا الاجابة واغتنما القرابة وترددت بينهما
السفرا فى ذلك مدة على جملة التهادى وحسن الحال باتساق الايادى
الى ان حقت الحقيقة وتمت العقدة والوثيقة كالمهر وانهض
السلطان من اختاره من ثقات بابه لنقل اليتيمة الكريمة فجهزت
وديعة تتشاح عليها الملكان هذا صدر الملك وذاك ملك الترك

حتى تخص بها الشبل بن الليث والوبل بن الغيث والتيار بن البحر والصباح
بن الفجر الامير ابو سعيد مسعود بن محمود يمين الدولة وامين الملة ونقلت
الى الحضرة ببلخ وقد صحبها من نفقها تلك الدولة واعيان رجالها
من حذوا ايمة المشرق وارباب المنطق فاذوا امانى اليد واللسان
على ما الجمت الحال بين الجنبتين وزعمت الحشمة فى ذات البين وامر
السلطان اهل بلخ قبيل الوصول بعقد الاذين وتكلف التنجيد والتزيين
فبلغوا من ذلك مبلغا لم يستبق فيه من الوسع مذخور ولا من الرسم مذكور
ومسطور وراى السلطان بعد ذلك ان يرفع من قدره فعقد له
على هراة سرة مملكته ونواحيها وسيره اليها بعد ان وصله بمال عظيم
يعده ذخيرة ويوسعه تجملا وزينة فنهض اليها رشيد السيرة
حميد السريرة عادل الطريقة فاضل الخليقة خليقا بالملك على الحقيقة
وذلك فى سنة ثمان واربعمائة

ذكر الامير ابى احمد محمد بن يمين الدوله وامين الملة

جملة ما يمكن الانصاح به والايضاح عن حاله وذكر
خصاله قول القايل ان المهرى اذا يرى فبنفسه وابن التركى اذا برز ابراهما
قد جمع الله له من الميل الى خصايص الادب والسعى لمعالى الرتب
والبعد عن مكامن الريب ما دل على انه ابن ابيه شرفا سمقت
على النجوم شرفاته وكرما تعرفت لاهل الفضل عرفاته حتى خرج من حضن
الكفالة خروج الابريز من جمرات السبايك والهلال من تحت
الشعاع المتشابك ولم يعرف له طول ايام الايفاع غير الارتفاع

الى ايفاع تصرفا على كرم الطباع وتشيداً للانوف بالسماع ونذ الما
لفطنته يد الطباع وارتياضاً باداب الثقافة والمصاع حتى اذا ارتبع
يداه برد الجداثة ولبس حبراه طوق لشيها موّدا اى السلطان ان
يوتيه حق الفتوة ويوتيه شرط المروة ويجذب بضبعه الى حيث
اقتضته الفراسة فيه واستدعته العناية به والتجابة له فزوجه
كريمة الامير ابى نصر الفريغوني والى الجوزجان وهى التى تجمع الى الاصالة
جلالة والى الكفاية كفاة والى النيعمة همة وعقد له على اعمال الجوزجان
كما عقد للامير الجليل ابى سعيد مسعود على هراة وهى التى وليها آل
فريغون وهم الذين حكوا فى العز افريدون وفى الهمة المجنون وفى
الغزارة والسماحة جيحون وولى ابا محمد الحسن بن مهران كفاية اموره
وولاية تدابيره فبرز اليها بروز السيف من يد الصاقل وهمى
على اهلها همى السحاب الهاطل فاحياهم ببرك العدل الشامل
وعدله فى العطف عليهم بين الايامى والارامل فعلقته قلوب الخاص
والعام ولهته النفوس مؤنة الاستخدام ولما راى السلطان
حميد اثره ورشيد مختبره ازداد شغفا باثاره وحرصا على اصطناعه
وايثاره فلم يخل من جديد انعام ومزيد حفادة واكرام وسياتى
بيان خبر الاخوين الجليلين فى موضعه من بعد باذن الله ومنه

ذكر التاهرتى الرسول الوارد من مصر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة منذ نجد الله عزيمته لغزوات
الهند محييا سنة ابيه ومقتفيا نهج اثاره ومساعيه باحثا على
طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام والبدع المعترضة
عليها فى سالف الايام استبصارا منه فى الدين واستظهارا على قمع
الملحدين فقرا الكثير وسمع التاويل وتتبع المقاييس والدليل وعرف الناسخ
والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع وتلقن من اصول ما لم يستجز
معه فى الدين بدعة وراى كل ما خالف ظاهره نكرا وشنعة والقى
اليه ان فى غمار الرعايا بخراسان اقواما يذهبون مذهب الباطنى المنسوب
الى صاحب مصر ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض بتاويلات
موضوعة تؤدى الى رفض قواعد الدين ورفع معاقد الحق وابطال
معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض والنقض وامر بوضع العيون
عليهم والحاف الطلب بهم وعثر على رجل كان سفيرا بين المذكورين
او لبايه والملبسين لتدابيه يعرف القوم بسيماهم واسمائهم فنص على عصابة
منهم مختلفى البلدان والاوطان فاشخصوا الى الباب ورجموا تحت الصلب بالاحجار
ولم تزل يفعل مثل ذلك بامثالهم ومن كان يخرج له ذكر بالقابهم حتى
التقطتهم حجارة الرجم والرض عن بساط الارض وقد كان الاستاذ ابو بكر
محمد بن اسحق بن محمشاذ زعيم اصحاب ابى عبد الله بن الكرام عزيز الفضل
كثير المحل مذكورا بالديانة الوافية والامانة البادية مشهورا بالبقظة
على الفرق الغالية والبدع الجافية فوافق راى السلطان على اجتياح
من ذكت بنيات الطرق وجلدهم فى العدول عن مثل مجارف النعم

مساعدة التوفيق وتنبههم على عقيدة زعموا انهم ضلال ولهم في فصول القول
ما هذى الجدال مجال فسلكوا الى اصفاد الاخرين ونصبوا عبرة للناظرين
وازداد ابو بكر فيما تقرب به من ظاهر المحاماة على دين الله والمراماة دون
حق الله وتطهير بيضة الاسلام عن كل ذي دينة بعيدة او قريبة حشمة
اطمعت فيه البجال وامالت اليه الامال واية حشمة وضع الله عليها
طابع الدين فحمى في جوابا النجم علو مكان وسمو شان وكفاك بها فخامة
ما ورد في الخبر المروي ان الله قال للدنيا من خدمني فاخدميه ومن
خدمك فاستخدميه فاتفق بعقب ذلك ان طلع رجل من ديار
العراق ينتسب الى الشجرة العلوية فذكر انه رسول صاحب مصر
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة بكتاب تحمله وبر تزوده
فورد نيسابور محتجا بسبب النسب ومدليا بلطف الترفق فاستوقف
الى ان انهى الى السلطان خبره ووكل الى ما يرد من مثاله صدده ونهض
من بعد ذلك الى هراة ممتثلا الى الحضرة فامر برده الى نيسابور للتقرير
ما تحمله على رؤس الاشهاد وبمرأى ومسمع من كل حاضر وباد
صيانة لحاضر مجلسه عما عسى ان يضاف اليه من اجابة وبرهة
رسالة فلما رد القهقرى وفتش عما صحبه عثر على تصانيف الباطنية
واغاليط في الشريعة الحنيفية اصح منها في الاسماع خباط المجانين
ووساوس المبرسمين لا يوخذ في محصول ولا يوجد في معقول ومنقول
وناظره الاستاذ ابو بكر على اثر ورود من جهة جرسيله تفاوتت فيها
المناظرة فلم يوجد له على نار الامتحان ثبات ولا الى وجه التحقيق جانب
التمييز لتهافت ومازال يضرب اخماسا في اسداس الى ان تبين له ان
قد اخطأ في تحمل تلك الرسالة وجرم التوقيع تقلد تلك الرسالة السفارة
وقضى الله ثم ان اشخص الى حضرة السلطان فلما وردها استحضر مجلس
حفلي قد غص باعيان الاسلام ساداتها وكبرائها وقضاتها وفقهائها
وزعمائها وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم العلوي ومن قصته
ان جده مسلما لم يكن في الطالبية من اولاد الحسين الاصغر ومن بناحية
مصر اوجه وانبه ولا اغنى واقنى منه فلما استقر معد ابو تميم المعز
بمصر خطب اليه بعض بناته على ولده ابي منصور الملقب بالعزيز وسبب
ذلك ان الملقب على ما قيل انه وجد في داره رقعة فيها

ان كنت من آل ابي طالب فاخطب الى بعض بني طاهر
فان ذاك القوم كفو لكم في باطن الامر وفي الظاهر
نام من سقفه خوزية بحض منها النظر بالاخر

فنسبهم الشاعر الى امهم الخوزية لان كورها خوزستان وهي ام محمد
بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان لا واحدة من بناته
الا وهي في حبالة وتحت عقدة تفاديا من اجابته وتحرجا من
مصاهرته فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عنه وترفعا
بنسبه دونه وضع عليه يد الاستقصاء بعد ان اودعه الحبس سنين
وخبطه خبط العصا ورق السلم والبسه عن ضغاض الغنى

بالعسكر ص ٢٣

مجلسه

علالة العدم وهلك من بعد على يده فقال قوم غيّب عن مجلسه فما
يدرى كيف صار امره واين جعل قبره وزعم اخرون انه هرب من
الحبس على طريق الحجاز فاحتضر في الطريق وعند ذلك لجا طاهر
والد الحسن المذكور الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فاستولى عليها متامرا
على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابى على بن طاهر وهو ختنه على اخته
فلما مضى طاهر لسبيله ورث ابو على مكانه من الامارة الى ان لحق به
ودينه ولباه ووضع فيه لسانه هاذيا ومهينا دون الحسن
لاستضعافهما اياه وتقويهما بالحال المائل عليه فخرج هو نحو خراسان
ملتجئا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة سنة ثلث وتسعين وثلثمائة
فلما ورد الرسول التاهرتى تزعجه رسولا صغر الحسن الشريف
شانه ووضع فيه لسانه والى ان يكون له درجة الرسالة والانتساب
الى شجرة النبوة واذكى بفساد الدين واستحقاقه ضرب الوتين
فخلى السلطان بينه وبين ما يستجيره لنفسه ودينه فيه فعلم الى
جيده بضربة غرقته في دمه وزبده وقد كان القادر بالله امير المؤمنين
قد كتب الى السلطان يمين الدولة وامين الملة بما ترامى اليه من خبر
الرسول وما يقتضيه الدين من التصلب عليه وتقديم الجد في الانتصاف
للاسلام والمسلمين منه فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى الى السا
الى مجلس الخلافة صورة الحال وكيف الشفى فواد العذال فقوبل من
القبول بمقتضاه وجرى الخبر على طرائف ... كاقل

ومن شرب السم الذعاف فانه حقيق بانياب المنايا النواهس

٢١

نبات علم

انما يستجيره الحسن

تراءى

اللهم عفوا

ذكر الامير ابى العباس خوارزم شاه وما ختم به امره الى ان ورث السلطان مملكته

مامون بن مامون

قد كان ابو الحسن على بن مامون لما ورث اباه مامونا وقد كان استضاف
خوارزم الى الجرجانية خطب الى السلطان يمين الدولة وامين الملة احدى
اخواته تقوية لعمدة الحال وتسدية لحمة الوصال فاوجب اسعافه
بما استدعاه ابتكافا اياه وتوخيا لرضاه وزفت اليه من خطبه
ووصل باسبابه سببه ودر التهادى بينهما حتى صارت الديار واحدة
والاسرار لغير الاخلاص جاحدة وعبرت الحال على جملتها في الاتشاج
والامتزاج الى ان قضى خوارزم شاه نحبه ولقى بانقراض الاجل ربه
وورث الامير ابو العباس مامون بن مامون مكان اخيه وولى ما كان
يليه فكتب الى السلطان يساله ان يعقد له على شقيقته عقده على
اخيه من قبل فهو تاليه في الطاعة بل اتم اخلاصا وثانيه في القربة
بل اشد اختصاصا فشفع السلطان فيه دواعى الكفاءة واستجد
للحال رونق الطراءة وعقد له عليها عقد الخلطة بنفسه فيه وفرغ
له فريقا من قلبه وخلبه وما زال الامر على جملة الاشتراك والاشتباك
الى ان دعا السلطان داعى الاختبار الى سومه اقامة الخطبة
باسمه وانهض ربوا لا يتنجزه العمل بما يقتضيه ظاهر حاله فصادف
ذلك منه حرصا على الاجابة وافتراضا لحق الطاعة غير انه عرض الحال
فيه على من حوله من اعيان اشياعه واتباعه فاظهروا نفارا

بلغ مطالعة



واصرّوا واستكبروا استكبارا وقالوا نحن اتباعك واطواعك ما سلم
لك الملك عن الاشتراك فاما اذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف
على العواتق خلعا لك وتمليكا عليك وجهادا فيك فعاد الرسول بما رآه   وتمليكا ﺧ
عيانا وسمعه بغيا وعدوانا واجترأ القوم بجرأة الدم من وراء اجرائهم
على وكى هممهم بالقول الفظيع والرد الشنيع وزعيمهم في الامر نوشتكين
ينال تكين البخارى صاحب الجيش فاجمعوا خيفة وتوامروا على الفتك
به غيلة وما زالوا في التدبير عليه الى ان دخلوا ذات يوم عليه على بيتهم   اليه ﻫ عليه
السلام فاذا هو مربع كابن الحمام لا يدرى كيف تمّ ومن اى وجه
اليه قد وصل فبادروا للعقد باجدود لبده وبسطوا ايدى الاصفاق
على بيعته وعلموا ان السلطان ينتفض للحادثة ويقصد قصد
الانتصاف فتحالفوا على مقابلته ان غزاهم في عقر دارهم وحزامهم   للوارثه ﻫ
عن سخوط آثارهم ولما انتهى الى السلطان خبر صنيعهم بولى
نعمتهم ومولى شقيقته وحامى حقيقته ازعجته قوة الحفاظ
للانتقام من اولئك الغدرة الفجرة والمرقة الفسقة بحاشى
لمناهضتهم على حمية مسجورة وحفيظة على ابتغاء مرضات الله   ذات
مقصورة وكان حدوكانت بسعادة ايامه قد لقنت اولئك
العتاة البغاة ما اتوه استحقاقا للنقمة وبراءة من العصمة وتمهيدا
لعذره قربا وبعدا في استخلاص مملكته كانت الدعوى بالله نازعة   من النزوع
ولباب الاقبال برقوسنيا سنة قادعة وجر الجحافل كالجبال ناهضة   الرجال ﺧ

سائرة والبحار زاخرة حتى اناخ بحقوتهم مستعينا بالله على   فابضة ﺧ
قتالهم واستنزالهم الى مناهل اجالهم وشاور صاحب الجيش الخوارزمى المنصوب بالحارس
عامة تواده في ركضة على طلايع السلطان بياتا بانياب الجديد   بعضهم ﻫ
ان لم يسلمهم للتشريد والتبديد فطار تحت خوافى الليل حتى انقض   تم ﻫ
على ابى عبد الله محمد بن ابرهيم الطائى وهو طليعة السلطان في كماة
العرب حين الغض الكرى رؤسهم وشغل برد الصباح نفوسهم
فاختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف القواصل وطعنا بالرماح
الذوابل وبلغ الخبر الى السلطان بركض القوم فزحف بجيوشه
الى معركة الحرب وثبتت الخوارزمية من لدن طلوع الشمس الى ان
حمى وطيس النهار جاهدين في القراع مجاهدين دون المساكن والرباع
يظنون ان يظفروا وقد غدوا ابن رباتهم في حجور الانعام وروائهم
من تدى الاكرام هيهات ان الغدر قلادة منظومة احد طرفيها   تدى
عاجل العقاب وثانيه آجل المآل ولم تشرف الشمس على التكبيد   كبد السماء وتوسطها
حتى اصحبت للحتوف ثم الضيوك بحالا جلوا جالا قد قصفت اصلابهم
وانتهبت اسلابهم وفلقت بالسيوف هاماتهم وبضعت احبابهم
وانهزم الباقون نحو الغياض على شاطى جيحون والصوارم
من ورائهم تخطب ارواحهم حتى اذا افترعتها تحللها الطلاق   كناية عن القتل
صداقا وا سنابر هاخمسة الف رجل حفظ الله دمائهم   خمسة آلاف ﺧ
عبرة للنظار وعظة لامثالهم من الغدرة الفجار وركب

البخاري كظهر الماء مُوايلا في الهرب ومُعتقدا خلاصه من العطب ولم يلبث ان فعله السوء تخزيه واقدامه على ولي نعمته يرديه وان حافر البير لاخيه سيابط لامحالة فيه وجرت في الزورق بينه وبين بعض اصحابه مشاورة حملته على الاستيثاق منه وبعثت الملاح على استقبال المعسكر بوجه الزورق فلم ينشب الاسير ان حتى حصل في يد السلطان اسيرا واحضره السلطان مجلسه في سائر القواد المامونيين يسائله واياهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غير داعية واجترائهم عليه من غير وطأة جانيه فرد جواب المستبسل المستقتل واما الباقون فسقط في ايديهم لا يدرون ماذا يردون وامر السلطان بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابي العباس مامون بن مامون خوارزم شاه وصلبهم اجمعين عليها مع عدة ممن اتهمهم بالدين وعدهم معد الناكبين عن قصد السبيل وامر بالكتابة على جدران تلك المقبرة هذا قبر فلان بغى عليه حشمه واجترأ على دمه خدمه فقيض الله له يمين الدولة وامين الملة ابا القسم محمود بن ناصر الدين سبكتكين حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وآية للعالمين وامر من مجل بالاسرى فوضعت الاغلال في اعناقهم ثم تقادون الى غزنة ذات الملك فوجا بعد فوج حتى اذا حصلوا بها وقد امتلات منهم العيون وضعفت بهم المحابس والسجون من عليهم بالافراج وفرض لهم في سائر الحشم

المستبسل الذي اوقع نفسه في الهلاك كان المستقتل الحريص على الاركان مشتاق الهلاك

فلان م

والاجناد ووضعهم مواضع امثالهم من ديار الهند ربابا يحمون اقطارها ويغضون عن عيون الغيث مناكبها واطرافها وولى خوارزم حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فاقام بها قامعا نجوم الفساد وفاقئا عيون الغي والعناد الى ان نضب ماؤهم وادعن للطاعة اقناؤهم واستغرقت تلك الاسباب وذرت تلك الاجلاب وذلك تقدير العزيز العليم

ذكر فتح مهرة وناحية قشمير

مهرة بتشديد الدال من الدريد والميم فيها مفتوح

ولما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من فتح خوارزم وقد انضافت كاجدى اخواتها الى سائر مملكته الموشحة بآثاره وآلائه الموشعة باصباغ عدله ورعايته رأى ان يختم صحيفة العام بطابع الاستتمام اجماما للركايب والركب وتقليبا لبنان العزويين جوانح القلب فعدل الى بست كالشمس قد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال فالدنيا بها حواشي المطارف او عواشر المصاحف او عقود المخانق او نهود المعصرات العواتق قد ترا عالها وبروق رياضا بها احمى لها الى ان اذن الله له في معاودة غزنة متشيا محاجب الفكر في غزوة تحقق اعجاز القرآن فيما تضمنه من وعد الله المنان في اظهار دينه المرموم بسيد البشر ومولى البدو والحضر محمد تاج الانام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى اله الخيرة البررة الكرام على الدين كله وان سخطت نفوس وضرعت خدود ورغمت معاطس وانوف وبعد ان كانت الشقة قد بعدت عليه

الموشعة الثياب التي لها خطوط ملونة

الغزنويين ٤

المخنقة الحقد

المعصر الجارية التي ناهزت البلوغ

اي اظهار دينه على الدين

وعلى اعقاب دين الله السائرين تحت رايته بنود هدايته اذ كانت الهند
قد تخيفت من شواهاه واطرافها سبيا اثنها باه وملكت على اربابها بيوتا وشعابا
فلم يبق الا اما اجنة ضمير قشمير ومن دونها فيا في تصم عن كل عزيف وصفير
وتفصل بينها وفود الريح الاخضر واتفق ان حشر اليه من اد في ديار ما وراء
النهر الى اقصى حدودها نحو عشرين الفا من مطوعة الغزاة قد وضعوا سيوفهم
على عواتقهم محتسبين للجهاد مستدنين على ذات الله الاستشهاد يخطبون
الجنان بصداق الارواح ويستطيبون الغفران بحدود الصفاح فحرك
من السلطان نفيرهم وذمر نفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى راية ان يزحف
بهم الى قنوج وهي التي اعيى الملوك الماضين فتحها غير كشتاسب على
ما زعم عبدة المجوس وهو كبش اقرانه وملك الاملاك بزعمهم في زمانه فشاد
وبين غزنة دار الملك وخطة قنوج مسيرة ثلثة اشهر سير الركاب القود
والجوائف البنود واستكار ذنبه ونبهاده ومجر النوم والقرار واستصحب
من شهد من انصار دين الله واعوان حق الله رجالا يقتحمون اشداق
المنايا شوقا الى السعادة بالشهادة وحرصا على الموعود من الحسنى والزيادة
فعبر مياه سيحون وجيلم وجندراهه وبيت وشتلدر سالما في سالمين
وهذه اودية تجل اعماقها عن الاوصاف وتمتنع اطرافها على الاطواف منها
ما يغرب يغمر غوارب الفيول فكيف كواهل الخيول ويدهده ثقال الصخور
الصمود فكيف خفاف المطايا والظهور صنعا من الله لمن والاه وعز خاطر
بروحه في استدامة رضاه ولم يطا مملكة من تلك الممالك الا اتاه الرسول

واصحا خد الطاعة عارضا في الخدمة كنه الاستطاعة الى ان جاء جنكى بن
شمهى صاحب درب قشمير عالما بانه بعث الله الذي لا يرضيه الا
الاسلام مقبولا او الحسام مسلولا فاظهر العبودية عن جاس التوفيق وضمن
الارشاد في بادي الطريق وجعل يسير امامه هاديا وبجزع واديا فواديا
وكلما انتصف الليل اذن بالمسير خفق الطبول واستوى اولياء الله على
ظهور الخيول يجشمون تعب الركض والسلوك الى تجنح الشمس
من غد للدلوك حتى استظهر ماجون يوم الاثنين لعشر بقين من
رجب سنة تسع واربعمايه وما زال يفتتح الصياصي والقلاع منيفة
على ذيول الجبال وجروف القلال بحيث تالم مثالع الاعناق متى
شخصت اليها نواظر الاحداق الى ان شارف قلعة برنه من ولاية هردب
وهو احد الرايين اعني الملوك بلغة الهند فاطلع على الارض اطلاعة
بهم ومن تموج بانصار حق الله مسومة من فوقها الترايك ومن
حولها الملايك فتزلزلت قدمه واشفق من ان تستباح دمه
فراى ان يتقي بالاسلام باس الله وقد شهرت حدوده ونشرت
لعذابات العذاب بنوده ونزل في نحو عشرة الاف منادين بدعوة الاسلام
متفادين عن دعوة الاصنام فحقق الله ميعاده واحسن بفضله
اسعادهم واسعاده ثم وامتد الوجيف به الى قلعة كلجند وهو
من اعلام الشياطين واعيان اولئك الملاعين يتدك على الملوك
بعزها فعيض وبرنوا الى القروم بطرف اشوس قد قضى في الكفر معظم

عمره وغنى بهيبة الملك وبسطة الامر عن تجشيم بيضه وبتره لم تقصده
احد الا ارتد عنه مغلولا وعاد عقيده عليه محلولا لعزة جاه وكثرة مال
وقوة رجال وعدة افيال وذوات معاقل وحصون وملك عن (وعدة)
مطامع الانام ومطامح الوهن والانثلام مصون فلما راى السلطان
قد قصد قصده وجرد للجهاد به جهده دبت خيوله وبيوله وبدا
غياض لو رميت بابراد الابر لا تلقتها الارض بازراق الشوك
والشجر واغرى السلطان به بعض طلايع جيوشه فثاروا اليهم
يخرقون تلك الاجام خرق الامشاط منابت الشعور بل الاشافي
مخارز الثقوب واعترض للسلطان طريق من فوق القلعة (عرض واعرض)
المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر والله اكبر والسيوف
لا تبقي ولا تذر فثبتوا للجلاد مستقتلين وتواصوا بالمنايا مستبسلين
والسيوف تاخذهم من فوق ومن قدام وتنصفهم ما بين لحوم وعظام
وحملاتهم يليها تتصل اتصال الكعوب وضرباتهم تتوالى توالي الغيث
المصبوب غير ان الله تعالى منزل الحديد ذي الباس الشديد هو الذي اذا
شاء قطع واذا شاء نبا وامتنع كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها
وتقطع احيانا مناط القلايد فان نالت من العلياء فلاجر الاستشهاد وثواب (الله م)
المعاد وان نبت فلاعجاز القدرة واظهار العبرة ليعلم ان الحكم له في كل
مخذول ومعصوم ومجروح ومقصوم وهلك المخاذيل بينا هم بين بينهم وقد (ظلم)
عاينوا سيوفهم نابية وسيوف الحق عليهم ماضية وحملاتهم كاضية

واهية وحملات اهل الدين اولى وثانية ما هموا الا من جنس الانس ولا من رجم
البشر هيهات ان وقع الحديد ليحز في الجبال ولا حز له في هولاء الابطال
حتى اذا امثل لهم شخص الطغيان في صورة الخذلان تواصوا باقتحام ماء وراءهم
من زاخرة المياه يظنون انها تقيهم باس الانتقام وتحميهم كاس الحمام (بالشرماء)
ولا يرون ان الكفر لا يهدي سبيله وان الله يردي بكثير ما يحيي قليله لا جرم
ان صفايح الماء قنعت صفاح الدماء فاوسعوا قتلا واسارا واغرقوا
فادخلوا نارا ولعل عدد القتلى والغرقى يزيد على خمسين الفا اصبحوا طعاما
للذيوب والضبعان واقواتا للتماسيح والحيتان وعمد كلجند الى ختنائه
فاهلكها بجرحه ثم كر عليه فالحق بها نفسه واغنم الله السلطان
مائة وثمانين راسا من الفيلة الضخام مضافة الى سائر ما اطرد عليه حكم
الاغتنام من نعم الله العظام وقيمة البواهجة بالاقسام ولما وضعت
تلك اوزارها وحلت له الغنايم ازرادها عطف عنانه الى شط البلد (الحروب م)
الواقع عليه اسم المتعبد وهو الذي بناه مهرة الهند يطالع ابنيتها
التي يزعم اهلها انها من صنيع الجان دون الانسان ابداع اساس وسقوف (الجان)
واعجاز اوساط وحروف فرات مخالف مجرى العادات وتفتقر روايتها
الى الشهادات بل المشاهدات بلد امتنى السور من صم الصخور قد شرع
بابان منها الى الماء المحيط به موضوعة ابنيتها فوق شواخص لتلك الصيانة
لها عن مضار سيول الماء ومغار غيوث السماء وعن جنبتيها الف قصر
شبيهة بسائر الابنية في الوثاقة مشتملة على بيوت اصنام قد هندمت

المنبرم المتقن كانه جعله حزاما توب الدام والمهندم المحسن صنو الاجوف

مفاصل اعراقها بمسامير تساوي سطوح البناء وتوازي ما وراءها من الحزون
تحت الخفاء وفي صدر البلد بيت اصنام يحكي احواله بالحسن ويجري
مجرى اضرابه او انفس ما اهتدى الكتاب باقلام الدواة ولا الماء النقاشون
باطراف الخامات الى امثالها تحسيناً وتزويقاً وتنقيشاً تخطف الابصار بريقاً وكان
فيما كتب السلطان به انه لو اراد مريد ان يبني ما يعادل اشباه هذه الابنية
لعجز عنه بانفاق مائة الف الف درهم في مدة مائتي سنة على ايدي عملة
كملة ومهرة سحرة وفي جملة الاصنام خمسة من الذهب الاحمر مضروبة
على قدر خمسة اذرع في الهوا منصوبة قد الحمت عيناً واحد منها بياقوتتين
لو سيم مثلهما على السلطان لابتاعه بخمسين الف دينار استرخاصاً ولم
يستشنع فيه دركاً ولا خلاصاً وعلى اخر ياقوتة ازرق رقيق الماء بديع الصفاء
ثقيلة النهاية تزن اربعمائة وخمسين مثقالاً واخرج من ورث قدمي احد الاصنام
المذكورة اربعة الاف واربعمائة مثقال فكانت جملة الذهبيات الموجودة
عن اجرام الاشخاص المنصوبة ثمانية وتسعين الفاً وثلثمائة مثقال وزادت
الفضيات منها على مائتي قطعة لم يمكن وزنها الا بعد التفصيل والعرض
على كفف المعايير وامر السلطان بعد بسائر الاصنام فضربت بالنفط
والضرام وجعلت سقوفها مواطي الاقدام وسار من بعد قدماً يروم
قنوج وقد اتفق الفال له من تصحيفه فتوحاً وعده صنعاً من الله ممنوحاً
وخلف وراءه معظم العسكر تطميعاً لراجيال ملكها في الثبات لحقة الزحام
ونفسيحاً اليه تلك المقصورة الانهزام اذ كان امرا الهند على غلبي قرابها

وقوة اسبابها واصحابها اطواعاً لرايه تفوح اعتزازاً بمكانه واعترازاً
بفخامة شانه ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك الرباع الا وضعها بالارض
وعرض اهلها على الاسلام والسيف جاذ من السبايا والنهاب والنعم الرغاب
ما يعجز عند انامل الحجاب الحساب ووصل ٨ من شعبان الى قنوج
وقد فارقها راجيال حين سمع باقدامه فراق من لا يرى المهجة عيناً
ولا يعتد الفضيحة بها شناراً وعبر الماء الذي يسمى كنك وهو الذي تتواصف
الهنود قدره وشرفه ويرون من عين الخلد في السما معترفة ان احرق ميت
منهم ذرّوه فيه بعظامه وظنوه طهرة لاثامه وربما اتاه الناسك من بعيد
فغرّق نفسه فيه يرى ان ذلك ينجيه وهو في العاجل يرديه وفي الآجل
يصليه ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع قنوج فاذا هي سبع
موضوعة على الماء المذكور كالبحر المسجور وفيها قريب من عشرة الاف بيت
للاصنام يزعم المشركون انها متوارثة منذ مائتي الف سنة الى ثلثمائة الف سنة
كذباً وزوراً وقولاً مزوراً وعدولاً عن سنن الهدى ونفوراً وبحسب قدمها
عبادتهم كانت لها واجهاشهم بالدعوات اليها وقد شرد عنها اكثر اهلها خيفة
الايهم والتيتم وحلول التنكيل بالهتهم الصم البكم فمن بين ناج الحاقه نجاؤه
وثاو اباده ثواؤه ولم ينجه من سيوف الحق اوثانه ولا يمنعه اصنامه ففتحها كلها
في يوم ثم اباحها لاهل عسكره يتناهبونها طلقاً حلالاً وسبياً ونهباً وقتلاً واذلالاً
وركض منها الى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة وهم جنح لمقاح وعتاة
ما لهم عن الفساد في تلك البلاد براح فثبتوا للقراع اشباه العفاريت

ای ما کتب الی غزنة

الهواء في النهاية

اشتق ـه

اساره الى حاله ثم لا يموت فيها ولا يحيى

ای ما حضرت عاكفيه

واحد

منج قاری

البراهمة الحكما بلغة الهند جمع برهمن

مختلطة — صائد

عابدة من الشياطين مبادرة ومبادحة حتى اذا اعوزهم الثبات واعجزهم النجاة
وعلموا ان ليست لهم بالمسلمين طاقة وان دماءهم لا شك مراقة تهاووا من غرفات
الجدران وشرفات البنيان على شبا الرماح وظبى الصفاح استخفافا بالنفوس
والارواح واستسلاما لامر الله المتاح لا جرم ان السيوف اشربت الارض دماءهم
واطعمت النسور اشلاءهم كذلك المنايا اصطادت من خطب اليها لم تزل تبدأ ولم
تجد من افكاحه بدا واخذ على تفنيد ذلك جو قلعة آسي وصاحبها المعروف بجيبال بهو
احد انيابهم المعدودة وارباب الجدود لم يزل ذا منعة بالملك ونجعة في الملك
تعرض له داى قنوج منازعا وماده الحرب مكاوحا ومقارعا فلم يزد على ان
انجب اوليائه ونكل على الحنيبة ورآه وقد احاط بهذه القلعة غياض متكاثفة
كاعراف الجياد متداخلة كاشعاب الجراد لا تستجيب الافاعي فيها للرقاة ولا
يستنير البدر حتى يغادرها للسراة وقد احاطت بها خنادق قعيرات الحفائر
فسيحات الدوائر احاطة البحر بالثريا فما له عنها انفراج ولا لها دونها انعراج
ولما شعر المذكور بزحف السلطان في مواكب جلاله وكواكب دولته فقد
قلبه من خوط فرط الجذاب وحيس نبضه فكان ذنب الفار رداى الموت فاغرا
فاه فلم يملك الان يوليه قفاه فامر بقلع قلعته من اصولها وتعويرها على من
يهم الانصار بحملها وقفى آثاره بعفاريت انصاره ينهبون ويغنمون ويأسرون
حتى علم الكافرون انهم الخاسرون وكان المخذول يرى ان اعوانه من كماة المقانب
وحماة الاشاهب وسماة الكتائب تحجبه عما فيه حتى راى عسكر السلطان
بين تلك المشاعب واتارهم بالقنا والقواضب والصق المواطر كالسحائب

فعلم ان ضرب اللاعب خلاف ضرب الثاير لغالب وليس المجلح غير
موقر للناشب ولما فصل السلطان امر جند اله واذاقه في مهربه الذا
العضال عطف على جنداى احباكابر المهند في قلعة شروة وهو يظن
بنفسه ان القار بعينه عطست بانف شامخ وتناولت
بداى الثريا قاعدا اعبر قايم تذهب بها عن ان يعطي عيره مقادة
وياكف عن التعزز عادة وكانت في غابر الايام بينه وبين بروجيبال
مناوشات تجاحش عن حيوط الرقاب فدامت حتى استلحمت رجالا
واصطلمت ابطالا فابطالا ثم قام ذنب الحرب بينهما فاضطرا الى التوادع
والتكاف حقنا للدماء وصونا للاطراف وخطب بروجيبال اليه ابنته
على ابنه بهيبال استدامة للالفة واماطة للفرقة واستدفاعا للفساد
واستبقاء للسيوف في الاغماد وبرح ابنه اليه على تنجز عقد الوصلة
وشرط الانتاج في المحبة والاشتراك في المبيت والنعمة فلما حصل الختن
في يده جعله تحت قده وقيده وطالبه بعوض ماذهب له على يده والده
فحجر بروجيبال عن قصد قلعته واقتناص بيضته واستخلاص ابنه
من اسار محنته غيران المنازعة لم تنفك بينهما قائمة الى ان طلعت رايات
السلطان على تلك الحدود وسفر صنع الله في المقصود بغلب المقصود
فاما بروجيبال فلحق ببهوجديو احد المتحرزين بحصانة المعاقل
وحزونة المداخل وخشونة المواقف خلاصا بمهجته واعتياصا برغمه
على من هم باقتناص اثره واما جنداى فانه استعد للمدافعة واحتشد
للممانعة
باقتصاص

اطعمت نسخه

اى عرض لجندال راى قنوج في العصيان والمنازعة على السلطان

ذنب الفار نوع من نصال السهام في الضعف والمجن ومن شانه شبيها سادة الحنو تحرك ذنبها

التعوير الطم والكبس

بقولهم

تدافع

بهتيال

اعتزازاً بوثاقة قلعته ولو ثبت لقلعته وإذلالاً بمنعته ولو وقف
لخلعته فراسله بهتپال بأن محمود ليس من جنس أكابر الهنود وأمراء
بجالهم الذين ذاقت السلامة من مثله تعنتهم والجيش بأسهم وسيئتهم ثم
وقد بدا لنا أقوى منك حكمة وأعلى إكامة لم يقم لضربة من ضربات
جنوده ولم يقف بهضبة من هضبات جوده فإن أردت الافتضاح
فشأنك أو الخلاص فتخلص بما استطعت مكانك فعلم أن الحق هو الذي
قد نصحه وأنه إن خالف الحق فضحه فسرب أثقاله وأفياله وذخائره
وأمواله نحو جبال شامخة كواكب الجوزاء وآجام تواري حتى الأرض عن
عين السماء وولى بوجهه مقصده فلم يدر أين ساب وإلى أي الأقطار طار
أمتطى الليل أم امتطى النهار وكان غرض النصيح المظلوم في تهريبه
وتغريبه إشفاقه من حبالة الاقتناص فيسام من كلفة الإسلام ما سيم
أعمامه وأقاربه قبل حين اضطروا إلى الاستيمان والاستسلام فلما أحاط
السلطان بتلك القلعة وافتتحها على حصانة قواعدها ومناعة جوانبها
ومصاعدها وتوشح منها في علف كثير ومال على أصنافه خطير لم
يهنه الموجود وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الأرض دون
طلبه وانتزاعه من يد مهربه ما اقتص أثره ركضاً في خمسة عشر فرسخاً
بين منابت أشجار تصك الوجوه فتدميها ومساقط أحجار تصدم
الحوافر فتحفيها ولحق القوم لليلة الأحد لخمس بقين من شعبان وهم يطاردون
مجاهل الأرض هبوطاً وصعوداً ولا بحي التجار بحضرموت بروداء اهاب

باولياء الإسلام وأبناء الصلاة والصيام إلى اقتناصهم وادرعوا لباس الظلام
باقتناصهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضي على الكفر بتوهينه فلم يقبل هنالك
قبل أن تمسه حر الحديد وأسير تقيد قبل يد التقييد فأما الأموال فبانت
نحبا دون الأرواح وسترا دون حد السلاح وحر الجراح لا تعبأ بها
أو تشتفي النفوس من عبدة الكفار وعبدة الشمس والنار وظل الأولياء
يتبعون طرائح المخاذيل ثلاثة أيام تباعاً شغلا واختباطاً وطلا لا يبعد
أن جمعها الكفار جزافاً وأما الفيلة فمن بين مفهوك ومردود ومنطوع
بالجود إلى السلطان محمود لطفاً من الله تم سبح له غنائم الأموال حتى
تسوق إليه بهائم الأفيال لا جرم أنها سميت خداي آورد شكر الله
على الإلهام ما لا يمسك بالمقامع ولا يملك في المراتع إلا بالحيل الخوادع
أن يأتي طوعاً فيهجر الأصنام ويخدم الإسلام ولقد أحسن من قال
قل للأمير عبدت حتى قد أتاك الفيل عبداً أسجح من جمع المحاسن عنده قرناً وبعدا
لو مس أعطاف النجوم جرى في الترسيع سعداً أو سار في أفق السماء لانبتت زهراً وورداً
وبلغ ما أخذ من خزائن الشاذب المهارب ذهباً وفضة ويواقيت محمرة
وفرائد مبيضة قرابة ثلاثة آلاف ألف درهم فأما السبي فالشاهد على كثرة
عدده وفور مدده وقوع الاستيام على الواحد منهم ما بين درهمين
إلى عشرة دراهم ذلك فضل الله الذي ذخره لأيام السلطان يمين الدولة
وأمين الملة ومعز الملة له بتمام الثواب يوم قيام الحساب فالحمد
لله خير معبود ومحمود وله الشكر على ما أقر به عين محمد على محمود

اعتزازا
من كان م
غمض مكانك اي اجعله مخفيا كذا سهندر لئلا لطلب من الغوص
فلم لعبيهم خ
نعلم أن الرحل تصحح
اختلاف
فكانا غنيه السلطان الدين م

ذكر المسجد الجامع بغزنة

ولما كان السلطان يمين الدولة وامين الملة على هيئة النسر الموكل بجمع الكافر المفترى المكلل بسعد كبد السما الزهرة والمشترى الى دار الملك بغزنة وقد كادت تغيض سبحها على عدد الاتقاء من العبيد والاماء حتى استرعت عليها اكياس التجار الضاربين اليها من نوازح البلاد ونوازع الامصار يخص ما ورا النهر الى مطايع العراق ومبادى الاشراق منها ما خلط بيضهم بالسود وعبدك فى التمليك بين المسود والمسود احب ان ينفق مما اتاه الله عليه من انفال اوليك الغلف الغفال فى عمل بر يشيع جدواه ويرجع الى امر الاحتساب بسعداه وكان قد اوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع اذ كان ما اختط قديما على قدر اهلها حيث عدت من زمعات البلاد تحوطه دار وشطون براير موافق عوده من مضربه حصول المراد من تقطيعه وتوسيعه واقامة الجدران على ترابيعه فصبت بدر المال على الصناع كما صبت درر الابطال يوم القراع ونصب لمشارفتهم احد الزعماء بحضرته فهو يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل متعاتبا على رمز الخلل حتى اذا تويترت الشمس ثلة المحل اقام السن الموازين ناطقة بالانصاف وازنة بالجزاف فيمسون بين اجرين عاجل على السلطان منقود واجل على الرحمن موعود ونقل اليه من اقطار الهند والسند جذوع توافقت قدودها ارطانية وتناسبت تداويرا وتحانيه كان كان البنيانها بينو دعت

ارحام الارض لاجل معلوم وتحيت باعمارها الهم ليوم محتوم نجات وكانما هى الحق كمالا والعدل استقامة واعتدالا يثنى عليها الملاسة والسداد وكان بها صمما فهى لاتصغى ولاتكاد وقد فرشت ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضروب يجيء على تقطيع التربيع اشد ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المراة وعقدت عند منتهى الابصار طاقات كما تقطع الدواير على نقط المراكز فلو عاش سنمار لعد فى جنسها معدا الواهن العاجز فاما الاصباغ فطالع روضة الربيع ضاحكة النغور باكية الجفون تستوقف الطالب واما التذهيب فحسبك منه ان صناع الرصافة قد عرت عليهم الحقاق وصح لهم تكليف ما لا يطاق وليس بصفايح التراب فقط لكنه بصفايح الذهب الاحمر افرغت عن صنوف الاصنام المجرودة والبددة الماخوذة فطفقت تعرض على النار بعد ان كانت آلهة للكفار وتضرب بالمطارق بعد ان عبدت بالخدود والعنافق وليس الذى ينفق على جدران مساجد الله عبرة للموحدين وغيظا للملحدين اتم سماحة واكرم راحة ممن تفرغه معبودا وينصبه للنفع والضر مقصودا نعوذ بالله من ريب شواذه عائدا وملو محتاج الى سعادة وجزى الله عن الاسلام ملكا هذه افعاله واعماله وامتهان الزوج والممنوح فى سبيل الله دابه واداته نعم وقد افرد للسلطان لخاصته بيتا فى المسجد مشرفا عليه مكعب البنا موسع الفنا متينا بسبب الزوايا والاركان بنشة وازاره من الرخام كذلك عليه

الطهور حتى نُقل من ارض نيسابور، وقد احيط بكل رخامة منه بمنطقة
مجاب من الذهب الاحمر مكحلا باللازورد في تعاريج من الوان المنثور
والورد من يرها بعينه يقل بلسانه لاستحسانه لا زال هذا الاستاذ
ممتعا ببنائه الامن بان مسجد دمشق قواعده مراة، وساقه النظر حتى
شاه، قضى بان ليس يوجد نظيره، ودونك هذا البيت يلزمك المثوبة
ويتعلس عليك القضية ونبيك ان الحسن بعض صفاته والابداع بعض
اجل بيانه وانقاد الهند من خدم نقوشه والمهمة العليا قد يممت بعروشه
نعم وامام هذا البيت مقصورة يتهادج عليها منصوبة تسع ثلثة آلاف غلام
متى شهدوا للبرض اخذوا اماكنهم منها صفوفا واقبلوا على انتظار الاذان
وقوفا واضيف الى المسجد مدرسة فيما تشتمل بيوتها من بساط الارض الى
مساطا السقوف على تصانيف الائمة الماضين من علوم الاولين والاخرين منقولة
من خزاين الملوك الصيد نقروا عن ديار العراق و ربائع الافاق حتى
انتقوها بخطوط كفرايد سموط مصححة بشهادات التقييد وعلامات
التخفيف والتشديد ينتابها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس
والنظر على علوم على كفاية ذوي الحاجة منهم جميع ما يهمهم جراية
وافرة ومعيشة حاضرة وقد اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف
طريق يفضي اليه في امن من ابتذال العيون اللواحظ واعتراض الرجال
من بين صالح وطالح فيركب اليه على فرس كميت وشمول طمانينة
حتى يقضي المكتوبة ويقتضي الاجر والمثوبة فاما سائر دور الحجاب
وقصور القواد فما شئت بحقائق الانفاق عليها الامن اتاها اعتبارا وشاهدها
اختبارا فيرى ملا الاباطح ابنية تشرف على الهضاب شرفاتها ويكاد
تغترف من نهر الجرة غرفاتها وناهيك من بلد يحتوي على مرابط الف
فيل يشغل كل منها بسياسته ومايرتبه دارا كبيرة وخطة وسيعة
ان الله تع اذا اراد عمر البلاد وكثر العباد وهو على ما يشا قدير

ذكر الافغانية

ولما قضى السلطان غزوة القيقط بعزيمته واقبل
الخريف بتشفيفه وسمح الوقت بحاضر ريفه وقد كان طوائف من
الافغانية المستوطنين قلل تلك الجبال الشوامخ والرعان البواذخ
تعرضوا فعل القطاع لذنابى عسكره منصرفه عن غزوة قنوج
اغترارا بمناعة اماكنهم راى ان ينتقم منهم برقصة تبيح عليهم اوكارهم
وملاجئهم وتخضب بدماء النحور حاجيهم فعزم على ما دبره وصمم على ما
قدره ورى بنهضته نحو اقطار بست ثم ركض عليهم في خاصته
ركضا صبحهم في مراقدهم فلم يشعروا الا بحد الصفاح على برد
الصباح ضربات تقطف الرؤوس عن النحور وتفرغ النحور على الجحور لابي تمام
صرعى الى صرعى كان جلودهم طليت بها الشيان والعلام الحنا
فيا لها نبهة انمت عليهم الرقود واتحفته ان لا تعودا وتشهد
اليوم الموعود فكم من جثث فوق الاعلام ورؤوس تحت الاقدام حتى
استلحمت السيوف اجسامهم ولم تستبق الا ايامهم وايتامهم
كف كف الاقتدار وعلا ذروة العز بالانحدار وعادت تلك الوعور

سهولا وكان امر الله مفعولا وعطف الحزم نة مميلا للراى بين ان
تشتو ببلخ منتجعا ولغابر السنة فى القرار مستتما وبين ان يركب ثنية
ممكنة تقشع بانى ضبابات الكنود فى ديار الهنود مجهزا على من كان
يضرب بذنبه فى مهربه كالوزغة المجتثة لا تلبث ان تموت وابت عليه
حمية الاسلام ان تسيغ على القعود جريضة او تستبقى فى محابس الاغماد بيضة
وثنى عنانه نحو الهند فى رجال يرون منتهى الشهوات صهوات الخيول وقصوى
اللذات ملاقاة الفحول ويختزون بالظهور اسرة مرفوعة وبالاكوار وسائد
موضوعة وبالسموم دياجى مقطوفة وبالاجن الطرق صهبا موصوفة وبالعرق
السائل ماورد وبالقسطل الثائر مشاد عبير وفتات ند وبالكليل سكنا
وقرارا وبالنجوم ندامى وسمارا فمن يمه نسبت فاز آباءهم المترفيات بواتك
وامهاتهم الناعبيات فواتك واعمامهم القسى جوازع واخوالهم النبال
نوازع وما زال تخوض انهارا هائجة واودية هائجة لم تخص قط عن
حرفها هادية وعين الله ترعاه فى كل سعى يسعاه حتى اقتحم مغارات
اولئك المغاوير بل ديارات اولئك المدابير فظلت نداياها لقل
يضجون بالويل والثبور ضجيج النوق رواجع بيت الله المعمور وما زال
السلطان يسمح بمن آمن واطاع ويفضح من اظهر الامتناع بعد
ان اصاب غنائم لا يضبطها حساب ولا يقطعها ما ولا تراب حتى
انتهى به المسير الى ما يعرف براهب غائر المخاض بحمى القرارة
كالخضخاض يبتلع الخف والحافر ويقتلع الدارع كما يقتلع الحاسر

فاذا هو بترو جيبال من تلك الجيرة فى رجال كالصريم وافيال كنحت الاديم
قد اخذ من ماحى الركضة حذره واسند الى ذاخر النهر ظهره ورام ان
يمنع السلطان عبوره ويشغل عن اقتحام المعبر جمهوره حتى اذا اتخذ
الليل بقاده مر فى ذمة استتاره مرور مروان على حماره فلما علم السلطان
ذلك من قصده ورأى استعداده واحتشاده لصده امر بالاطواف
فهيئت للعبور واهاب الى عدة من غلمانه للركوب فامتثل الامر
ثمانية منهم يتبادرون الجدد القصوى ويلبسون كلمة التقوى
فلما راى ترو جيبال استقلال الماء بهم ركامهم خمسة من فيلته المجففة
وفوجا من رجاله المصففة فاراد الله ان يحقق قول نبيه الامى
الامين ورسوله المؤيد بالتمكين حيث قال صلى الله عليه وسلم زويت لى
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى
منها فالهم تلك العدة ان استوقفوها على امكانها حرز الاطلاف
بهاتيك الاخفاف النبال وغرزها بعد فى وجنات اولئك
الضلال معجزة لم يسمع بمثلها قبلها ثمانية تجرع سيلا وتدفع
فيلة وخيلا وبدر من لفظ السلطان عند عيان ذلك البرهان
ان قال من قدر على السباحة فليتبع اليوم للراحة فاذا هو بخاصته
ومعظم عامته خائضين ولصعب الماء رائضين فتارة يسبحون بالاطراف
واخرى يستبحون الى الاعراف حتى قطعوا النهر سالمين
لم تنجب لهم جبلة ولم يعطب حربية ولم تذهب بحمد الله

شققة من الكتان

سبنية وحمل السلطان ثم وقد ثنيه الى الظهور جملة توزعتهم بين عقير
سكران من عقار الجدود واسير حيران من اسرى القدود وطريد
يخاف وقع القواضب وقتيل يماري النجوم الثواقب وصار ما حصل
في الوقعة من عدد الفيلة مائتان وسبعون ثقال الاجسام خفاف
الاقدام وطار الكافر هزيما لا يملك عزيما ولا يبتدر تاخيرا ولا تقديما وقد كان
السلطان قبل ان لقي الكافر ولبس جوشنه الدروع والمغافر اخذ فالا
من كتاب الله تعالى يهديه عاقبة ما ينويه فخرج له قوله تعالى
عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
فلما حقق الله وعده ونصره بفضله وحده ضمن على نفسه ان
يفي بواجب شكره بعمله بعد لا ترفه الانام وغزو لا تؤيد الاسلام وشكرا
بقيد الانعام لا جرم ان الله حافظه ومصيب به اغراض اماله
واما نيه والذي يدخره من ثواب المعاد اربح مقادير وارجح
مكاييل ومعايير **ذكر ابي بكر محمد بن اسحق بن محمشاد**
والقاضي الامام ابي العلا صاعد بن محمد وما انتهى اليه امرهما
قد كان ابو بكر موفقا بعين النباهة في صدر هذه الدولة لمكان
ابيه من الزهادة وضمه الاطراف على العبادة واقتفاؤه نهج ابيه
فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الامير ناصر الدين ابو منصور سبكتكين
يرى من عصابته في الزهد والتعفف والترهب والتقشف
ما لم يجد مثله في كثير من فقهاء الدين واعيان المتعبدين فحلا
ذلك في قلبه كما حلي بعينه والمجاهد في سبيل الله تعالى جده محبوب
وقد يكرم اهل الشفاعات من له ذنوب واستمر السلطان
بعده على وتيرته في ملاحظتهم بعين الاحترام وايثار طوايف
الكرامية بالاكرام حتى قال ابو الفتح البستي عفا الله عنه فيما شاهد
من نفاق اسواقهم الفقه فقه ابي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام
ان الذين اراهم لم يومنوا بمحمد بن كرام غير كرام
وانضاف الى هذه الوسيلة المقوية والذريعة الالهية لما تورد
جيوش الخانية خراسان عند غزو السلطان ناحية الملتان قبضوا
بنيسابور على ابي بكر احتياطا لانفسهم من شيعته واحترازا من
غامض مكيدته ونقلوه في جملتهم حين طلعت رايات السلطان
من مغاربها وادهضت سيوف الحق من مضاربها الى ان وجد منهم فرصة
الافلات والسلامة على مس تلك الافات فاعتد السلطان ذلك له
في سابق مواته واوجب له حقا يلحظه بعين مراعاته وبعث من
ارباب البدع الباطنية على ما تشاهدت به البلاغات والله اعلم بما
تجنه والنيات ميامن واتفقت تصلبا من السلطان في استيصالهم
وتعصبا لدين الله في اجتثاث امثالهم فحشروا من اطراف البلاد
وصلبوا عبرة للعباد وكان ابو بكر احد اعوان السلطان على رايه
جشرا اليه وتصويبا للراي عليه فصار البرى كالسقيم مذعورا
وعاد المليء في عارض الخطب شورك وراى الناس ان ربقة التهم

كبقال العوام

الاتة في الشكر

وحاميه صح

المتعبدين

بكر الكاف وتخفيف الراء قوم مشبهة

اسواقهم خ

انه صح

منكل

من النوع والطهبه

التطايب صح

واتفقت خ

ونبل

في امثالهم دبيب الجذام في الحمل وذكر لانهم يشددون ... الانسان

القائل ومدنية السيف لقاصل بجحو آكله بالطاعة وقشو آله خدود
الضراعة وانعقدت له الرياسة في لبسة الصوف ملحظته الخاصة
والعامة بعين المرجو والمخوف ووجدت خاصته شوقا للاطلاع بحلية
الابتداع فاستنبتوا الناس واستفتحوا الاكياس فمن الظ منهم بكاربس
ذي بفساد معتقده او يعطي الجزية عن يده وعبرت على هذه الجملة
سنون لا مطمع لاحد في تبديل شكلها وتحويل فادح الحال عن اهلها
والعلم لهم بان الزمان بتغير الاحوال ضمين وبالخلاف على صورة المعتاد
رهين ومن صبر على الايام رأى الرفيع وضيعا والوضيع رفيعا
والضليع ضريعا وشاهد سموم الغيظ صرا كالحا وصقيعا
واتفق للقاضي ابي العلا صاعد بن محمد ان حج بيت الله الحرام سنة
اثنتين وتسعين وثلثمائة وهو الامام الموفق الزاهد الموفق
والفاضل الجزل والبازل الفحل قضى اكثر عمره على الحظ النفيس من
ثمار الدرس والتدريس ينطبق عليه الاعمال فيا باها وتصيب اليه
الاغراض فيرى الجياد فيها علي اها ومن حاز شرف العلم لم
يشتر به ثمنا قليلا ولم يعدل به حظا وان كان جليلا فلما حصل بدار
السلام وانتهى الى القادر بالله امير المؤمنين خبره في حج بيت الله الحرام
قوبل بمقتضى حقه في الاسلام واوجب الاثرة والاكرام وظاهر التوقير
والاعظام وعضد بالكتب الى الحضرة السلطان فيما تقرر من حاله
وفي مهمات اوجب الاحتياط شرحها على لسان رسالة فلما عاد

من وجهه شخص الحضرة السلطان بعزيمة نعرض ما صحبه وقرر ما تحمله
وادى من حق الامانة ما لزمه وبها الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق فجرى
في مجلسه ذكر الكرامية واطلاقهم القول بالتجسيم وتعريض الله تعالى
لما لا يليق بذاته الكريم وانف السلطان لهذه الشنعا من مقالهم
والعوار من فحوى جدالهم ودعا ابا بكر سائلا عنه وباحثا صورة الحال
منه فانكر اعتقاد ما نسب اليه واظهر البراءة مما احيل به عليه فسلم مع
الانكار عن مس العتب والانكار فاما الباقون فان الكتب فيهم نفذت
الى العمال في تقديم الاستقصا عليهم فمن اظهر البراءة عن قوله الشنيع واعتقاده
الموجب للتبديع ترك وشانه من عقد المجالس للتدريس وتشرف المنابر
للتذكير ومن اصر على دعواه ولم يخز لنفسه سواه جعل مغناه عليه
حصيرا وزكى لسانه دون الفضول نصيرا وخلع السلطان على القاضي
خلعة لائقة بجلالة قدره ونخارة نجره ورعاية امير المؤمنين لحقه
وايعازه لتمهيد امره وصرف كلا منهما على جملة الابناس والتخصيص على اعين
الناس ولم تزل غصة القول بالتجسيم ناشبة في صدر ابي بكر يصارع
الايام على نهزة المكافاة الى ان تشبث له الامر في عقد محضر على انتحاله
مذهب الاعتزال وتبحر خطوط قوم من الاعيان سلكوا معه طريق المساعدة
او تنفسوا به عن غمرة المنافسة فغيظ ما لا يطاق ذا دخيل ونمّ
على سر النفوس تزيد واختيل في عرض المحضر على السلطان استفسادا
لصورته لديه موقع التدبير موقعه من الاحفاظ عليه ورأى ان يبحث

او اجمال امره

عن صورة المرفوع في احقاق من حق وزور فانهض قاضي قضاته واوجه
ثقاته ابا محمد الناصحي من لم تشركه احد في اصطناعه والجذب الى
العلا بباعه فانه استخصه على طراءة شبابه لخلتين قلما توجدان في
ثبوج الاسنان فضلا عن احداث الفتيان والشبان وهما العلم والورع
اخوان دونهما الدر بالياقوت والصحة بكفاف القوت واقعده
بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى واصباح الناس من ساطع
نوره في التقوى اذا بهر كماله وطفح بالفضل مكياله ولاه القضاء حتى م
على القضاة في عامة ديار ممالكه ثقة بفوائده وامانته وورعه ونزاهته
فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة وروضة الحزن تمتعها النسيم نضارة
ثم امره بان يستحضر القاضي ابا العلا صاعدا وابا بكر الاسناذي في وجوه
الرتوت واعيان الشهود ويطالب باقامة البينة على الدعوى المذكورة
على رؤس الملا من غير محاشاة او جنوح الى مداهنة ومحاباة فقابل
الامر بالامتثال وتحامى عن حرمة العلم بحشمة الملك وهيبة الجلال
وسال ارباب الخطوط عما عندهم من قضية الحال وجلية المقال
فاما ابو بكر فانه اراد ان يتلافى باغي الخطب فزعم ان الاشتراك في رتبة
العلم احدث بينهما منافسة تنازعا معها مذهبي التجسيم والاعتزال
فلا صح ما نسبني اليه ولا نقرر ما ادعيته عليه واما الآخرون فمن جار
على حكم المساعدة في المحاباة والمهاوادة ومن جاور لثام الاحتشام
في التصريح واطلاق الدعوى باللفظ الفصيح مكاشفة عليه عدت خ
من التحريج

الشهادة الى التعصب وجاوزت حد المعلوم الى التعصب وبكى اي حزن وكمد
لذلك وجوه اهل الراي حتى كادت تثور فتنة الا ان هيبة السلطان
اجرت الالسن الطوال وضربت على النفوس بالتطامن والانخزال وتلطف
قاضي القضاة لعرض الحال وتقرير صورة المحال واتفق ان تحيل الامير
ابو المظفر نصر بن ناصر الدين في مجلس السلطان فرصة القول في باب القاضي
ابي العلا صاعد فنبه على سمته وسيماه وانبا عن ورعه وتقواه والتمس
على سبيل التلطف ان يقع تلافٍ للغضاضة به وتدارك للمهانة
الطارية عليه بمعرك من تصدى لمكاشفته وتعرض لاستفساد مكانته
فوثق به السلطان فيما قال وجد بان صاعدا اجل من ان
يعتقد الاعتزال وامر باشخاص من انتدب لمراغمته ومقابلته بما
اقتضاه حلمه وقاحته واستجلس القاضي قرارة بيته فلم يكن يبرز
الا لفرض يقتضيه او علم يمليه محتزيا بالله تعالى جده عن غيره
ومقتنعا بما ادره عليه من خيره وراى ان بقية العمر اعز من ان تضاع
على الصدر القال وخدمة فضول الامال ومزاولة ما يثلم قدر العلم
بالابتذال والاستناب ولدين له كالفرقدين او الشعريين ابا الحسين
وابا سعيد شريكي عنان في المروة والفتوة رضيعي لبان في اوامر النبوة
واحكام آيات الله المتلوة في قضاء المواجب واحتمال النوائب ففرغ له
عن حقوق الناس وفرغ لعلم النظر والقياس وحظي بمثل ما
انبا عنه ابو الفتح علي بن محمد البستي من حاله بقوله

حنيفة اصحاب ابي حنيفة وهم اتباع القاضي ابي العلا صاعد

اجار شقوق لسان الفصل كيدا

اي طلب حين تعرفوا حال القاضي

قد جمع الله تعالى فيه من عزى وحسن حالي بلاغ علم ومساغ شرب ورفاغ عيش وفراغ بال
نعم واطلق ثنا الايام على بناهة ابى بكر وارتفاع مكانته واتساع حشمته
ومهابته وانبساط ايدى حاشيته فى امواله واعتراض اهل ناحيته واستنزال
العناد بينه وبين اعيان الاشراف فى جيرته فنطقت السن الجمهور بحضرة
السلطان بما طغا من حاله وبغى من خرج خباله اذ الا ايادا عليه
واعتماد ابن عمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله
مذ ادركه الاحتناك مدة من الزمان مديدة محافظة على الصنيعة
من الانتزاع والعارفة من الارتجاع وابقا على المجد المرموق فى الله من
ان يلم به انحطاط او يتخلل له رباط حتى اذا حاولنا الاحتمال جده واستنع
المستنزاد بعده عقد السلطان رياسة نيسابور لابى على الحسن بن محمد بن
العباس وقد كان جده فى دولة آل سامان مجرودا فى جملة الاعيان
والثنا معدودا واثره فيما بين اثار الرجال محمودا ووافق ابوه ايام
السلطان اول مقدمه خراسان واتصاله منصب اصحاب الجيوش
بها لآل سامان قدس الله ارواحهم فانجبل خلقا فما على مناسبة الشباب
وعرف له حق الخدمة والاصطحاب غير انه اعتبط فى شبابه فعاد
كما بدا وكل امرئ يوما مداه الى الردى وكان قد هرب ابا نصر احمد بن ميكال
بقرابته واواصر مستجابة فنشا فى حجره نشأة المقبل وخرج خروج
القدح فدح بن مقبل واحدث له شكر النعمة حشمة وصفو الخدمة
اكبا ونعمة فلما مضى ابو نصر لسبيله انتهى الى السلطان حاله فى كيسه ودلاقة

وظرفه ولباقته فاستحضره ليخبره فوافق اولى النظرة قبولا وطرفا برود
الاعجاب مكحولا ازداد على طول الخبرة وفاقا وعلى سوق الخدمة نفاقا
فما نمو الاشيا اصلها اصلحها التدبير ولقحها التأثير والماء النمير
حتى سمت به المراتب وتوجهت اليه الرغبات والرغائب وقابلت
حشمته حشمة ارباب الجنود وسادات الاقلام والحدود وكان غرض
السلطان فى عقد الرياسة له ان يقمع به من اعتقبت له بدالة التأله
والتعبد وسابقة الترهب والتزهد فقد راى ان الذى حظى به معقود
بالدين فلا سبيل الى حله ولا محاق ابدا لمستهله ويرجع به الى ما
يوجبه حكم التقية من رفض المراتب العلية والمطامع الدنياوية
فلما وردها ساس اهلها سياسة لو عاش لها زياد لعاد على سياسته
بعين استزادته فخفت عليه حتى صرير الجنادب وسكن حتى دبيب
العقارب وهدا حتى شغب المراتب وسكت حتى دوى المذاهب
وكانما اقتدى به شفيف الشتا فلكل سامة او هامة فى الوجار انجحار
وما المغار استتار لابى تمام وقد بت عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه
هـ ان هيبة السلطان هى التى خطمت اللهاميم وحطمت الاقاليم
فلو وكل بعض همه برواسى الجبال لاصبحت منسوفة او بطوامى البحار
لعادت منزوفة فما خطر خطة ينبه بها عن لواذ ثابة ويعمى عن
قصد الصواب عند هائبة او نائبة ومن احسن فى حب امثاله فمن
عون القدر وحكم الفلك الدوار على البشر ابى الله ان يحجد

اعراض جمع
اموال فى
اى محافظة السلطان على صنيعه
تلاوماته
اى كان ابو على بن
العظمة
اى سكن بهيبة السلطان
اى ادبر
عن عقالة والنابه الشريف
فلا يحجد

على زجر المريد شهابا او يدرج على سقى المحول ذهابا ومطرف الريش
حواشي المقصود فينتزع منهم بعض ما اخذوه رشى واحتسوه ثروة وكشى
ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن اكل بالله واظهر الزهد ثم لم يتوكل
على الله وهم بصاحبهم فاخذ جدرة وارخى من دونه سترة ولم يقصد السلطان
قصد استيصال له ونفضه عن فضول ماله فتركه وراء الحجاب على قدم
الزهادة وغض الفطام عن العادة وعطف من بعد الى جماعة الاشراف
العلوية ذوى الاقدار العلية فاشعرهم ان جبينهم بالطاعة موصولة
وجرمتهم بلزوم القصد وترك تعدى الحد مكفولة فتلقوه بالاجلال
وقابلوا امره بالامتثال علما بانه امر ظل الله فى ارضه فما يغنى عنه
غير الانقياد والميل عن الغلو للاقتصاد واستخلف على الرياسة
عند الشخوص الى الحضرة ابا نصر منصور بن رامش من نحيرا الكرام وتربيب
الرجال عند ذكر الارحام وطوع له قياد الاعراب والاشراف والكابر
والزعيم ان يخدموه بكرة واصيلا ويختصوا بطاعته جملة وتفصيلا
فمن وزم انفه دون طاعته سريعا كان او مشروعا نفى عن بلده
وعرى مما تحت يده فتحت اليه الاعناق واحدقت بفنايه
الاحداق واستتبت له رياسة لا عهد لاحد بمثلها من رويا خراسان
الا ابا عبد الله العصمى رئيس هراة فانه بلغ مثلها لكن على عمر مديد
وعز عتيد وباس شديد وخدم وعبيد ومال يتنادى على العفاة
هل من مزيد وترشح فى زمانه بساط العدل فتقاعد الاغنياء كل حالات

الثروة والرياش اشتراكا فى الانصاف ونفقت سوق الاحتساب بالدرر
فوق الاكتاف فمن بدعة مرفوضة وتنبه مخفوضة وجدود كل الحق متقاصية
وعيوب دون الفضول متناهية وسطت معها الحانات والمواخير وخرست
العيدان والمزامير وكدت الحان النايحات والسكارى واستترت
فى الانجاد والمكايد ما لاستاد عون النساء بالعذارى فاما شوارع اسواق
الله فقد كانت منذ بنيت نيسابور فضاء لا تكنها غطاء ولا يظلها دون
السماء سما تخرقها الاعاصير تارة وتردغها الاهاضيب اخرى فاما التراب
متنابرا واما الاندا ثلوجا وامطارا لم يفطن احد من ملوك خراسان
واصحاب الجيوش لالحاقها باخواتها من ديار خراسان تسقيفا لها
وتستيرا وتنظيفا عن الاقذاء وتطهيرا حتى ورد الرئيس ابو على فطالب
اهلها به فلم يمض شهران حتى سمقت نحو السماك سقوفها وقامت
على ركايز الاعواد جروفها فمن بين منقش ومزخرف ومدبج بالاصباغ
ومشوف بسفيح منها ونحت يتقدر بما يلى ضيا الشهاب على الابصار دون
ما يوسع لدرو الغباب وبمكن لدرود القطاب وخمن النظر استغراق
العمارة مائة الف دينار عن طيب النفوس وفضل الكسوب لم يتكلف
احد عليها ولم يستكره دون المثال اليها فيها بل عمتهم المباهاة
وشملتهم المباراة فانفقوا متوفرين ومستبصرين ولا نفسهم على
العجز دون المراد مستقصرين فمن تسوق تاسعا او عاشرا
ليس باديا او ثانيا رد الى الكاهل قذاله وترك على شغل النظر

القصد الاقتصاد

لها

استقلاله فيالها من سمك شاخص نحو السماك وزايد فلكا ثابتا على الافلاك
ولما عاد الرئيس الى الحضرة وقرر حال ما تولاه وما عزله وولاه وافق
هوى السلطان ورضاه فصادف تقريرا وتمكينا واحمادا واستحسانا وتحسينا
وسنفرد شرح ما يتجدد من هذه الاحوال ان اراد الله تعالى بشره

ذكر الامير صاحب الجيش ابى المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما ملك خراسان واجلا عنها من
شرّد منه آل سامان عرف له هواه ايّاه وهجرته فيها اليه بعد ناصر الدين
اخاه اعظاما لحق الكبر واعترافا بواجب الفرض فولاه نيسابور
منطقة اصحاب الجيوش الاكابر على وجه الزمن الغابر سادّا به مكانه
من قبل اذ هو سايس الجمهور ومدبرها تيك الامور ومن وضع اخاه
موضعا قد سده قبل بنفسه وراه اهلا لبعض قدره فقد بالغ في البر
والتوقير وخرج من عهدة التقصير فوليها سنين عدة حميد السيرة
في الخيرة كريم الفعال في سياسة الرجال وجرى على يده من حميد الاثر
في مطالبة ابى ابرهيم المنتصر قدس الله روحه عند ركضاته وكراته
ما كان يطرا من معرته وشذاته ما تقدم شرحه ذا راى السلطان
بعد ذلك ان يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله فاستدعاه
واهّل به مستجمّه ومغزاه فلم يزل بعد بحال ولم يفاصله في حالتي حل
وترحال وكان يراه في مقاماته اول مهجّ بروحه في المحاماة على دين
الله والمراماة دون حق الله واقيا اثناها بمهجته نفسه ان كشف

٢٣

رجالها وعظم على جيوش حق الله استلحام شفقة تجيش بها الحمية القرشى
وشيجة من الرحم الدنيا وكان ينصر مذهب ابى حنيفة رحمه اعتقادا ويرى
الاستمساك به رشادا فامر ببناء مدرسة بنيسابور في جوار القاضى ابى العلا
صاعد بن محمد وانفق ما لا حتى انشاها وحبس جبايات على من اوى اليها
بالمام العلم في ذراها فبقيت تذكره عنه تغدى بالعلم وتراح وتثنى عليها
الامسا والاصباح ولم ينتفع السلطان منه طول ايامه قولا ولا لفظا
دون الصواب مستملحا ولا شك احد من الكبار ان له جانبا وفعلا
باشفاقه الاوهن على الاتباع مكانبا ونفى ان خانه الشباب ولما
استوفى امده وقضى باقى الامل فيه ندّه فلحق بالواحد الغفار ان
الكرام قليلة الاعمار وكتبت في مرثيته رسالة سئلت اثباتها
في ذكره ففعلت اذ كان في ضمنها ما يفى بشرح حاله وتقرير بعض خصاله

وهى آه من سفرة بغير اياب آه من حسرة على الاحباب
آه من صرعة الامير المفدى فوق فرش من الحصا والتراب
نصر بن الامير ناصر دين الله صدر الحروب والمحراب
صاحب الجيش درة الشرف تاج الفخر غوث الكرام والكتاب

يا سادة الفعال يا ساسة الرجال يا اعيان العلوم يا اخوان النجوم يا شيوخ
الاسلام يا عيون الكرام يا احرار الزمان يا انصار السلطان
نعى المكارم حى نعاه فتى الكرم احتل ربع الفنا   اندرون ان ركنا انهدم
وان جدارا تثلم وان عقدا انفصم وان سوارا انقصم وان بوض ذبل

وتجمعته
فقال منهم تجمعته رحمه
اى اشتباك وهى بالكسر وبالفتح عروق الشجر
ولا شكا في ام

واى نجم افل واى بحر نضب واى طود تحصّب واى خطب نزل (رحل صح)
واى نجم رحل والله نصر بن الامير الجليل ناصر الدين الامير بن الامير
والشهاب بن الاثير والبحر بن الصنبر والحبر بن النحرير والعنبر بن العبير
مرخ الملك او عفاره وسود الدين او سواره وركن العز او عراره ونور
المجد او غراره غارت به بحيرة الادب التى استعذبتها الشفاه وهلت
قبلة العلم التى رليت سطرها الجباه وعريت دوحة الكرم التى خبطتها (خبطتها كم)
العفاة وجفت طينة الفضل التى خدمتها الكفاة وطلقت كريمة
البر التى درس عليها التوحيد وتغذى بها اليافع والوليد واجهيت عليها
مواصل النهاب وجليت عواطل الاشهاد واقشعت سماسم ابنا الدين
بوارقها وخاف احزاب الكفر صواعقها فلا نار ولا آماء ولا خوف ولا رجا فاضحى
بوجيب الزمان مشقوقا وسكر الحدثان مبثوقا وبنا العز منقوضا
ولوا المجد مخفوضا ودمع الدين مسفوحا وطرف الاسلام مجروحا واقبل
العلم فى صورة المفجوع وبزة الخشوع يقرمط خطوه وينفث الى اهله
شكوه معرقا فى صعدا تذوب لها جوامد الدموع وتنقد لها واجب الضلوع

فلو غير المنون اتاه اهوى اليه اخوه بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المرجى صباح الدين مصباح المآثر
ولكن المنية منصل تذل لعز مضربه المناخر

الا يا صاحبى سمعكما الى ان كنتما مسعدين وجامعين لى كلتا اليدين
المنا على نصر وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا

فيا قبر نصر انت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى واصبح عرنين السماحة اجدعا
لئن جاز للموت ان يغصب الامير نصرا لقد ساغ لى ان اغصبها معا

واين معن من شقيق ملك الشرق وسايس جمهور الخلق والقاعد من قمة
الفرقدين على المفرق سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة من دانت لعزه
القروم واستكانت لهيبته الترك والروم فى بعض حضائه العرمعى لم يرفع
اليه معن ولم يلق لذكره فى ديوان نعمته بال الحظوة من سلطان زمانه
باتفاق اذا الحرب قامت على ساق ودارت كؤوسها بين حاسر وساق
وقد فضحه ابن ثناب فى جوده وفضله بالسماعين موجوده ثم لم يعتر صوله
قط صيانه لفعاله ولم تقترف عليه من بعد ذهابا بعز حاله وجلالة
هذا وان الامير نصرا ورث العز اباه ولم يحرم منذ العمر الا اياه ولم يثنه عز
نزاع الاكياس عن شغل المواهب ولم يلولا اسياف عن قراع الكتائب وقطيعة
الدنيا فى صلة الرحم وعصيان الهوى فى طاعة السلطان وفى الغم لتساتين
القرآن والتفسير والايمان والتذكير والعلم بالصلوة والصيام والفرق بين
الحلال والحرام ومجرا الورى بطرف العنان وسن الفلى بحد السنان قد اقتسمت
ايامه مرابط السلم بابهة الثغور او الحرب ظاهرة البنود واثما المغافر

والبواقر وامّا المجامر والدفاتر وامّا المحاضر المنابر وامّا القناطر المساطر
فيوماً في جحيم الغضب ويوماً في نعيم الادب ويوماً في ظلال السيوف ويوماً
من معاني الحروف رقيقه اذا احتمى دخ او قبيعة وبديهه اذا اجتبى
حكمة او شهعة فكم في ديار الهند له من وقايع انطقت الحديد واخرست
الوليد وسكرت النشوق وخرّت العروق وغادرت بيض الرباع في
حمة الليل وخضبة الجرنى عن تمثيلة الكحيل وكم في نوادي الفضل له
من محاسن تلثم اطرافها الكلم وتعشق اوصافها الامم وتسجد لاعقابها
الحكم وياوي الى برد ظلالها الكرم قد غنيت بذوب العقول عن صفو
الشمول وبجلوا المقال عن كعب الغزال وبغرب البراهين عن نزه الرياحين
فالخليل عن ذكره محشور وكان سيبويه من طيب نشره منشور وايمة
الهدى عليه عكوف وملايكة العرش حوله صفوف فمن صحيفة للذكر
منشورة واخرى باقلام العدل مسطورة لا الغول تا ثيم الا قيلا صوابا
وحديثا كالبر التبر مذابا نفس عليه الدهر مكانه ان الدهر غيور
وعلى عقايل الزمان حيور فصرعه كيادا للنطاب واضجعه عناد الاحراب
شاغلا عن الجود يمينه وعن السجود جبينه وعن الذكر لسانه وعن الغزو
سيفه وسنانه حتى اذا كان نطمع في ابتهاجه واستمكانه وقدور على
معايد البقا باضعاف حشانه فجعه بروحه الطاهرة ونفسه التي لم تعد تعد
الا النعيم الاخرة فسحا عن العمر انضر ما كان غصن شباب وانطقه
فصل خطاب واكرمه عود نصاب واحفظه حق ذمار واوثقه بالدنيا دار قرار

فكم هنالك من ستور مهتوكة ودموع مسفوكة وجيوب مشقوقة ورؤس محلوقة
وصدور مكلومة وخدود بنعال البيت ملطومة

ومى الحدثان نسوة آل نصر بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضاً ورد وجوههن البيض سودا

حتى اذا نشر رداء الردى طيه وقربت حمولة البلى الله تنازعته اكتاف
الرجال كما تنازعته قبل ظبا الامال فكان الشمس عبرى من حثو التراب
والارض غرقى في دموع المصاب والاذان موقورة من دمع العقاير
والابصار مخطوفة من نفض العرايس وقد غدت الوجوه مسفورة للنظار
والجموع محشورة للاعتبار والعيون من جمومهم تجري سواقيه وجموده
لا تدرك ما ثبه وودت زهر النجوم لو صادفن ليلا فذعون ويلاد ننا دين
على المصاب خيلا فخلا فاما الملك فقد احسن فيه من قال وان ركب الارتحال

لقد بكت الليالي في دجاها لموت القرم مصباح الانام
فاستحاض النجوم الزهر حتى تجيشم من مدامعها السجام
ومطل هجير اكل تاكل ساير وصاير الى الخوف الوداع جاير
من كان مسرورا بموت اميرنا فليات نسوته بوجه نهار
يجد النساء سوافرا يندبنه يخمشن اوجههن بالاسحار
قد كن يخبان الوجوه تسترا فاليوم حين برزن للنظار
فانا لله وانا اليه راجعون من شعوب تركت القلوب شعوبا واسعت
الاكباد شعوبا وكظمت النفوس كروبا وسحت العيون غروبا

تعد

الحزن الغزير

خ الاستعجال

عن اسماء اهل الطيب نصيب ... وجوه من الاكارم

صادت

ونضجت الوجوه قطوبا ونزت منا الاصلاب ابوبا فانبوبا وسابت وسار شخص العلى
شخص العلى الى فرصة البلى فريدا وحيدا ولم يغن عنه جوده ولم يجد
عليه جنوده ولم تقاتل عنه خوله ولم تناضل دونه مرده وكهوله خلا
انه فاح ذكاه ما نزه كما فاح كبا مجامره ووهت على عرشه الرقاب
كما وهت حين اثقلها الرغائب النعم

فليس نسيم المسك ريح حنوطه ولكنه ذاك الثنا المخلف
وليس صريرا لنعش ما تسمعونه ولكنه اصلاب قوم تقصف

ايا ويل العفاة
من بعده ما حالهم وما فعلت بهم اما لهم لقد انقصم والله محالهم وانقطع
دون هاتيك المواهب حقهم ومحالهم كانی بهم غادين على شدة كانت
بالمربواع تلتزم وبالافواه تستلم وبعثير بكبابها تتمسك وبجدمة
اركانها تتنسك فقد اقفرت فلا باب ولا بواب ولا حجاب ولا حجاب
يسالون اين الامير وما فعل السرير واين الحاجب والوزير واين المنادم
والسمير وما هذه الوحشة المستطارة والفترة المثارة والظلمة
الساجية والنغمة الشاجية يقولون يك الامير يزور اباه ويحيى
بالسلام محياه ويقضي نذر الاعتكاف على ثراه ويعتذر من هجرة طال
عليها مداه انمن يركب للسلام تختزل ابوابه وتعدم نوابه ومعزل
حجابه وتوحش مثابته ها انما الركوب فمتى المعاد يقولون بعاده
والله المعاد الم تروا عرشه بالامس مهدودة وعروشه مخضودة
وجيادة مقلوبة وسروجه مقلوبة وايامه مفجوعة وايدي ناماه

فوق الهام موضوعة هنالك نادوا ثبورا وعلموا انه الحق مقدورا
وعقدوا دون حامة البيت مناحة وبذوا اعين الورى ادبا وفصاحة
وكرما وسماحة وابعا الاكما اسفر الصريم والرزكنة الكليم مغداة
ومراجعة يعتبون على الحجاب وقد غدوا في بيض الثياب ابرع السواد
ولقد كذب الحداد الان احوج ما كنتم اليه اذ نزعتموه هلا خالفتم
الرسم للوجوب ولبستم لبسة المنكوب ووقفتم وقفة الحجاب للسيد المحجوب

ما تقوم لبس بياض الثوب زينتكم وقد فجعتم بمولى كله كرم
بذوا عليكم جميعا فضل لبستكم ان الحداد على المفقود ملتزم

فطفقوا يتناشدون بينهم عتبا على الزمان وندبة للفضل والاحسان

يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا بك كل ما تخشى النجال سليما
من ذا الذي يرجو نداك بعد ما غادرت نصرا في التراب رجيما
من كان اعذب شيمة وسجية والذ مكرمة واطيب خيما
ومن العجايب والعجايب جمة ان لا تلام وقد غدوت مليما
يا دهر مالك طول وقتك ترتعي روض المعالي بارضا وجميما
يا دهر مالك والكرام اولي النهى ماذا تضرك لو تركت كريما

لو بر الامير اباه بلقياه وشفى لوعته وصداه لقد ساءه اخاه بان غلة
عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه ودكل من بعده الى نواهيس
الارض ولو اجبل الثراب قراه لكنه ما اصنع وسعيف احز وحكم الشاحتم لا يرد

ومن قبله ما قد اصيب نبينا ابو القسم النور المبين بقاسم

الفضا

بعد الحادثة

وخبر قيس في الجاهلية بابنه فلم يتغير وجه قيس بن عاصم
أن الصبر للبلوى عزاء وحلوة جيبة فتوجرام تسلو سلو البهايم
لا ادرى در الموت من وقاح وقرب كفاح ما انشب نابه الا افترس ولا
الح مخلبه الا انتهس سوا عليه الملك المحجب والسلطان المتغلب والمقتر المستضعف والسوقة المتنصف
الا تعجب هذا الموت كيف ارتقى الى حمى قصره العالى المنيع الجوانب
فمر على تلك القنا بل والقنا وجاذ على تلك القواضب القواضب
عجبت له والموت ليس بمعجب وفيه اذا انكرت كل العجايب
لعمري لقد جراه حين عزا على نهاب النفوس واغتيال الكتايب
وفهمه فتح الحصون وانما سوامى المراقى ساميات الجوانب
وبصره بالفتك في غزواته ودهى الرزايا وافتراص المصايب
فكر عليه شدة الليث وانتحى كعطف تحول السوء حول القرايب
ومن عجيب الامور وحكم المقدور ان اخترم الماضي نور الله حفرته
ونور غرته حتف انفه على اخطاره بنفسه فى فحم الحتوف واعتراضه للشبا
بين الاسنة والسيوف كخالد بن الوليد حين دنا اجله اذ قال تاورت
الحروب منذ عقلت فما في بدني مغرز ابرة الا وفيه ضربة او
وخز طعنة وها انا اموت ميتة الحمار ان الحكم الا لله الواحد القهار
او كلاما شبيها به اما ان خالد بن الوليد لم يدر ان سيف الله لا يقتل
بالسيف وكذلك العلية ترنو الى موت الشباب عن خصاص الجفن
وان الله لما جعله اكرم النفوس مناقب قبض له احمد الامور عواقب

وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى فجود وبيض وجه البرهان بما سود
ان لم يكن ظفر الهيجا منيته فاكرم النبت يذوى غير مختضد
اما ترى الحرس لا تذوى كرايمه الا على سوقها في سائر الا بد
لمنية السيف قوم يشرفون بها ليسوا من المجد فى غاياته البعد
عز الحيوة وعز الموت ما اجتمعا سنى وابنى لبيت العز ذى العمد
موت السلامة للانسان يجعله وانما القتلة الشنعا للاسد
لم يعلم السيف ظلا في مضاربه فلم يسلط عليه كف ذى قود
ولعمرى ان الرزية به قدس الله روحه لقد طيرة الغموم متناظرة
بين الرجال على العموم غير ان القاضى ابا العلا صاعد بن
محمد وسائر شيعته والشاربين من زلال مشربه عنه اوفر من الاحزان
اقساطا واشد على مورد الاشجان ارتباطا وقد كان عرف الله
تربته لهم ظلا ممدودا او شربا موردا وكهفا مقصودا ولوا على
نصرة الحق معقودا ولولا ان الله جل ذكره سد ثلمة المصاب
وخلة الاكتياب بملك الشرق وسيد العرب وحجة الله فى
الارض سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاءه وحفظ
على الدين والدنيا بهاءه وسناءه ففى بقايه عوض من كل شاحب
وخلف من كل غارب او عازب لا تسع القول فى هذا النعى
ولقد ذلك الشهاب المضى والنصاب الالمعى غير ان النعمة بحمد الله
فيما بقى ضافية اللباس نامية الغراس ناضرة الاكناف

ان لم يكن ذاق في الهيجا منيته

جمع البعيد

يتيمه

جائلة الاخلاف فلا زال فضل الله عليه عظيما وصنعه لديه جسيما
ولطفه كريما ولا خلف عقبة الزمان وفي المهمة الله بيا عراه دا محمة
الصبر وعرفه بيا غراه فا يحة النصر ولقاه ملا الوهم مواهب تخرط
الدنيا في سلك ملكه وتبرز هايجي الوجوب في قبضة ملكه ورحم
الله ذلك الامير عديم النظير والجليل فقيد المثل البديل رحمة تبرد
ضريحه وتقدس روحه وريحه وعرف له مساعيه في الذب عن
دين الله والسعي في سبيل الله والفرض من مال الله اولياء الله وعوض
الله المشايخ السادة عما ذهابهم فأوهاهم ثوابا يحفظ عليهم
دينهم ويثقل في موقف العدل موازينهم وجعلهم من المستعدين ليوم
الدين ان حكم الله يقرى الجحفل فالحلق منه شرع والاخر للاول تبع
والحمد لله على كل حال والصلوة على نبيه محمد واله خير آل

ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغ هذا المكان من شرح اخبار السلطان
من قصد الوزير شمس الكفاة واقتضائه حق الخدمة والموالاة

قد سبق في اول الكتاب ما سلف لي الى الامير ناصر الدين ابي منصور سبكتكين هذا ام
انار الله برهانه من خدمة وتمهد عنده من زلف ذمة وغرست
اثناء ذلك في التقرب الى الوزير شمس الكفاة والتكفل بما راه والتجرد
لما ارضاه مما يجوت على الايام ايراق شجره وايناق نوره وثمره ما رجوت ام
بعد ان صادفت من اثار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمته ومما نشا
من كرم همة المجد في ضمان ذمته تزار عند وصولي اليه وعرضي موضوع النجح

الكتاب ومجموعه عليه ان يسمني بالتقليد ويسير بي الى كنج رستاق
على البريد وعليها فرعون تون ابو الحسين البغوى العوى شيخ ظاهره بوق
نور وباطنه ديجور ومنظره مثل السيف ومخبره رد الزيف واوله
مشور الكاسر واخره قرون السنابل فافتتح موضعي عليه باستهانة قرون السنابل
لم تناسب حشمة الامر ولا حرمة الاعلام والمحابر تومهم من جانب الله
مبعوث ومن آخر الحقد موروث وقد كذب ان الرشاق من
منبع الشريف محال ووراثة امهات الاولاد جلال وما علمنا ان
موالاة الابنا معاداة الاباء وان والد ابيكا شيخ ولده ويطوى على
الذكر الدفين معتقده حتى بنا غضن من وافقه او عاهده وحرب
على وجوب عقد الموالاة يده وسامني خيانة الدين بمواطاته على كباير
تعلق بالرقاب وتوجب في عواقبها العقاب حتى اذا علم انه حتى
لا يقرب على الباطل ولا يرضى باستبكال ما لا ينافي الاباطيل رام ان
يغمزني في دردور ويتيه بي في يهبوب فاحتال ذا كتاب وحرش
على الامرا الاشبال وابى الله لعلمه بعباده الا ان يحيق به
مكيدته وتنكشف عن اقوال الزور واباطيل الغرور قصيدته ولما ايس عما
يلمه وابلس دون ما جرد له اهتمامه واعتزامه عرج على استنزال
شمس الكفاة بسحر التمويه وعرض صورتي عليه في معرض التشويه
موهما اياه اني صغوا في بعض مناظره يوما في رتبة المقابلة
او وازنته بمعيار الموازنة والمماثلة علما منه بان حلمه
الموازاة

لا يستخف الا بهذا التأويل وان رأيه لا يستنزلك الا على مثل هذا التخييل
حتى نفدت فيه دقيقة وعملت في استنزاله دخيلة فتشرب جعدا
ولا الارض من صوب العهاد والكف من عمر وشم السواد والثوب من
لون الجساد او صبغ الفرصاد وعلم الله اني لم اكن لاضمر كدرا على صفا
او ابتر حسوا في ارتغا او استجيز غمصا لصنيعة او طا على غير شرعة
غيري من نكب عن نهج الوفا وغبب دون فرض المعاود دع حق
المنعم المثيب ورد الحجر على قرارة المطيب ولن يغني عما تقدم به بقدم
من اهل جرجان لا يعرف الرشد من الغي ولا الظل من الفي ولا النشر
من الطي ولا النقد من اللي ولا الاثبات من النفي ولا جرجان من الري شوهة
بوهة قد صبغ من طول القناة ودقة البراة ولبقة الدواة وصفاقة
الصفاة وتحديد الصحف بالمشرات طالما خر على العثنون منشما
للتراب وتلقفا للعصا في الجراب وتصرفا على المكيس بالصروف وتهجيا
للالف بنقطتين من بين الحروف وطفق من بعد يرتضخ لكنة عجمية
في شعر كشعر الموصوف بوبارة الصوف مستميحا كل مراف
واسكاف وعطار وبيطار على شعر صفقته الاولى اذا بلغه
قايمة والجلة رايمة والشبحة ممطولة والنخلة مابورة
وعز زمانا على هذه الجملة في الوقاحة والوقاجة ثم انتجع خراسان
ببضاعته المزجاة فوافقت على النظرة الحمقا قبولا واكتسب من عز
العطا غرة وحجولا فلما تعقبها التامل علم ان حرف الانتفاد

صبغ المال واورث الوبال فاهمل مخذولا وغودر في قد شعره
مرذولا الى ان غرب شمس الكفا وعز نفسه فاختار به على ونفذ معه
مكيدة البغوي الغوي فقصدت من المكروه في الروح دون سابر
الممنوح بما لولا مكان الامير الاجل السيد ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة
وامين الملة وفضل احسانه واستنقاذه اياي من فجوات اشداقهما
لتراقي الخطب الى ما يعز تلافيه ولغلق رهن الحيوة بما فيه ولو كنت
علمت من سيرة البغوي الغوي ما عرفته بعد لاستعفيت من جواره
واحترست من مساقط احجاره ولكن السرائر بيد الله لا يكشفها
الا الاختبار ۝ والظلم في خلق النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
وقد كتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه وتقرير سجاياه
ما هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم لجماعة
ارباب الصناعة وعصابة ارباب . . . الاصابة من مبادي
الاشراق الى اقاصي العراق من محمد بن عبد الجبار المعروف بابي النصر
العتبي رسالة تخص كل حاضر موجود وتعم كل لاحق مولود ما سمع
للحق اذان واطلق على الكفر عنان وشيم في سبيل الله حسام
واقيم على كتاب الله نقط واعجام سلام عليكم ما راق شارق مصوب
وراق بارق مسكوب ودر على الابساس حلوب وكر في جومة
البابس قارح يعبوب سلام تميد على نفحات المتجر قضبانه وتنم
على فتات المسك والعنبر اردانه اما بعد فان لله تعالى

بازاء نعمه التي يتبلج للشادين صباحها ويتبرج للناظرين وشاحها معتدلة القدود موردة الخدود مصفرة القرون منورة الشؤون معلقة العوارض مدبجة المعارض مخضبة الاطراف معطرة الاردان والاعطاف ممتنا بها على عباده ابتداء يقتضيه حكم كرمه او ابتلاء لآبائهم في جنب نعمه بقصا فايدها شؤم الخذلان وسايقها لوم الكنود والكفران تخالط ابنا ها مشوهة المطالع منفشة القنازع مروقها المكاسر مقلصة حملاقها المشافر مغولة المعارى والمحابس تضرهم بين اخلاق مذمومة واخبار مثلومة واعراض مكلومة وافعال بعاجل العار وآجل النار مختومة وقد تستحيل النعم باعيانها نقما منكورة كما تستحيل المحن على اربابها منحا مشكورة متطبعا على خلق المكان وترعرعا على عادة المقصود بالاحسان كالجنيب يعطر من نوافح الورود المعطارة والجو يذفر من روائح الحشوش المفتترة والمزن يسقط على عرصة الروض فيوليه طهارة ونضارة ويهبط على مبرك الكلب فتتعلق به نجاسة وقذارة والماء القراح يسقي عروق الشجر فيقضي عليها باختلاف الثمر فيقبله كل منها على ما كتب له من مرارة وحلاوة ومزازة وجرافة وكثافة ولطافة تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل قدرة من الباري الأول والأبدي الموجود في الازل ان خلق الله نفسا وسيمة واخبثهم قدرا وفيهم من تضيفه صنع الله زيان من سما الطلاقة تنوان من صهبا الكباقة من غلل البشاشة ميسان في حلل الدباجة حتى اذا حط

برحله وخالط بالبشر الخصيب اهله قراه من بوس الخصال وعبوس الملال وضرة الاستبدال ومضرة الابتذال ما يطير واقعه ويهيج وادعه ويلتشر ودوده ويقعقع عليه ولوده فيرحل في سواد الحداد شاكيا شوم الجوار وخضرة الذمام ودلة المقدار وغلظة الاحا والاصهار ثانيا حذره من على ثنية الوداع صليفة متمثلا بقول القايل

نعم الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على اقوام

لا يليق الغنى بوجه ابي يعلى ولا نور بهجة الاسلام

ويقبح الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام

ولولا ان العقاب تبع للخطاب وان الناس على الاعراض محمولون في حكم الاعتبار ونص الكتاب وان مجاز الشعر غير حقايق الكتاب لادعيت غضب الله تعالى على نعمه حين ابتلاها بمجاورة الانذال وزواها عن مظان الاستحقاق من كرام الرجال غير ان المقصود فيها بالكرامة وقد قابلها بالاستخفاف وكابر عقله في جوارها بغير الانصاف اولى بان يقهره عاجل الغضب ويصهره آجل اللهب فكم من وارد ما اشرقه بميرة وقادح زند اجرقه بسعيره وشاحذ حد قطع به وريده وراكب جواد قحم عليه جيده وقد تختلف مواقع النعم من اربابها على شيمها بمن صادقت اليه ونيلها بمن ماثلت بسوء اختياره وقبح آثاره طبعه فالاحداث فيها احسن حالا وازين حظا من الكهول الطاعنين في الاسنان والشيوخ الحالبين اشطر الزمان فلبس

صار قارحا

مَنْ ترح وحنك وسبر وسبك واخذ على وجه الاستبصار وترك كالغر لم
تلعجه هواجر الامور والغمر لم تردعه زواجر الدهور والمغفل لم تدب به
الحادثات بأجوالها والمهمل لم ترضه التجارب باكمالها وقد تحدث التارك
في طول الجهالة بالشباب الذي هو طليعة الحيوة وشريعة الشهوات
واللذات وان سايس العقل لم يضرب عليه حقاله وصيقل التجريب
لم يحكم على متنيه صقاله وان الرأى برعومة لا يفتقها الا كر الجديدين
بجديد يرود وشمس تطلع ثم تغور وموسم زمان يتفتق فيه النور والنور
وان الشباب شعبة من الجنون وان قلم التكليف مرفوع عن المجنون
والحدث الغر كالعجماء جرحها جبار وجرمها دون جنايتها اعتذار فما بال
من خلع لباس الحداثة ووضع جلباب الطراة واجتلى نهار المشيب عيانا
وافنى ثلث عمايم الوانا سودا داجية وسحق مفوف واجد لونا بعد
ذاك هجانا وحان له ان يصحو عن قهوة البطالة وينزع عن صبوة الاستطالة
ويبكي لضحك المشيب برأسه وتصوّل الانفاس عن قرطاسه وتمشي الوهن في
عظامه وتعود القوى به عند قيامه واضطبابه على اخبار ندمه وافتضاحه
بعثار قدمه وبدا برهان الله عليه باتساع محجته وانقطاع
حجته واتلاع النار اعناقها لالتقاطه واختطافه هاويا عن صراطه
يستنجد العمى عن سبيل الله والصمم دون حق الله خبطا في ليل الجهالة
وحطبا في حبل الضلالة وخوضا في حافرة الحساب وولوعا بفاجرة الاثاب
وخلا في شطن العتو والغلو ابا الا على هوى النفس الامارة بالسوء

فلا دب در الشيب بدنس الجيب ولا نورت اقاحي القذال الا على مكارم
الافعال فاقبح بما اجتلاه الطرف يوما صبيا الشيب في حلك الخصال
نعوذ بالله من غضب الرحمن وختم العمر بطابع الخذلان وتعريضه المشيب
لما يهتك من استاره ويكشف من اوزاره ويمحق من نواره ويحرق
من بنايه وعصم اعمار الكرام واجرار الايام عن مصرع الغوى الى الجبس
البغوى دلة الاحتيال وسلة الافتعال وجراب المخاريق وجراب
التخاليط وعقرب التضريب ويلمع الاكاذيب وشبه التدليس
وذيبق التمويه ومرآة التقريب ومقراض المغيب وافة الجود وخرافة
الموعود وحرباء الالحاد وكيميا العناد ويربوع النفاق ويعسوب
الشقاق وضبة العقوق وفارة الفسوق وثعلب الخداع وخنزير
القصاع وكلب الهبات واسود التراث وجرضة الانذال وترضة
الخبث والخبال وسكين الارحام وبيوس لقم الحرام ولعل بعض من
يتصفح هذه الالفاظ مسرفة والاسجاع مجموعة ومعرفة يظن بها ركوب
البهت في حلبة الاقذاب وعصيان القصد في طاعة الاسجاع ادلالا ووثوقا
بتضاض البلاغة واعمالا لمقراض الشقاهة بالفصاحة وحذوا على
غرار الشعراء في استعمال المجاز واغفالا للتحفظ والاحتراز في انكار
التقاء هذه المساوى السود في شخص قد شرب على تصاريف الزمان وجرب
واكل على طعمي احوالهم وشرب ولم يعلم ان الله تعالى اذا خذل من شاء من عباده
لم يبق منه الا لحما مسنونا وجلدا على اخلاط معطونا وعلى شكه

خاصرة الشك عن واضحة اليقين بالافصاح عما ابهم والاصباح عما اظلم تحذيرا
لغفلة الانام وتيسيرا لشاكلة الاستعصام وتنبيها على منزلة الاعتزاز
بظواهر البغي والانخداع بزواهر الحاظي والقيم فكم من صفيح بروق العيون
نوره وبروع النفوس مشهوده قد قطف عنا فيذوي بين اوراق اباريق
عروق ومن المنايا عن عضل من الانياب زوق من شهاب كالخط بالابريز
كاتب اوحل عن معقود اللوا وراكب يستوقف الابصار ضيا
ممدودا وبها بافق السنا معقودا قد يجلب من طار بطواره وجهد من رام
التحيز في جواره ولذلك الذهلي يغرنا لناظر بخرده وبفتش عن عبق الورد
بزبرجده ثم هو البدا المجلوب لمن خبر والسم المقشوب لمن فكر واعتبر
ولولا ان قصب الشرعة ان تسمح بجريها على العموم وتمكانى بين الكافة في
فضلها المعلوم اباحة للكتابة التي هو تيدا العلوم وصيف الحلم المبثوثة
في الزقوم لقلت لله در ساسة العجم ورفعة اقدار الدواة والقلم حين
عنسوها دون ذوي الاستحقاق وحظروها الا على الكرام العتاق
لله در انوشروان من بطل ما كان اعرفه بالدون والسفل
نهاهم ان يمسوا بعده قلما وان يذل بنو الاحرار بالعمل
فما كل بخيرة كفاة في مناجحة الآداب وملاءة في متاجرة الكتاب ولا كل
مسك يصلح للمسك وعا ولا كل ذرور يصلح للعين جلا واضيع شي عقد
في نحر خنزير وجذ بكف ضرير وخطر بجنب قتير ونفس كل بنان فاجر زنديم
ها ان المذكور مجيدي الاجراد بخراسان دناءة همة ودقاءة قيمة وخساسة
مفعول بخصاصه معقول نشا في بيت الفضل والنعمة ونمى على فرش اللين
والنعمة فرق عليه نعيم المنشب وعلق به نسيم الادب فاصبح نحيلا
لصوب الصواب في افعاله جديرا بحكم الانتخاب في امثاله يظن به معظم
الظن اثم ان المفرع للاصل نازع والخيث للغيم مضارع والاعلم يقضي بان
النار تعفو عن رماد ما نزل الجمر تطفو على عكر سافل حتى اذا بلغ وامنع
جملته نذالة الطباع وخباثة النسخ نجت بيد الطباع على عقوق ابيه
سجاية به الى السلطان فبا يجويه واتبيا غالة باملاكه واملاك ذويه
فامتلك عليه قبل الاستحقاق ماله وقصم مجالده واحال حالة وفجع
به امه وكانت عياله واجره دون ما اقتناه على كبر سنه وضعف
اسبابه واشتعال المشيب براسه ورسوب تدي العمر آخر كاسه يطفق
يمري الشؤون دموعا ويقتضي اجل الكتاب مخمصة وجوعا ويزجي مطايا
الاسجاب بين برد اليأس وحر الانفاس بدعوات لم ترجع بحائبها الا بقاصمة
الظهور وطائفة الذين لاطاقة الشعوب وعطفت بعد على من طلعت
عليه شمس والده وزفت عليه اغصان فوايده فنجبهم بحبال السلم وقرضهم
قرض الحلم وتشين منهم قشر القلم وعركهم عرك الاديم فعادوا الجرى
الصخر معصوبا والسيف مشهورا والغصن مخبوطا والدجاج على السفود
مربوطا كل ذلك بين يديه ونصب عينيه حتى اضربه الارض نديما للزفرات
كظيما بالحسرات غرقا في العبرات شرقا بما الحيوة وعقد بعد مالِ خطته
بكنج بستاق عقدا اشترى به اهلها واخذ مطيتهم بما يريهم
تطيبهم

من سبد اد البشرة وبدايته حق الخيرة وذريعة الى استيكالهم واستيصالهم
دون حرابيهم واموالهم وسامح عدة من شيوخ شأبهم ببعض ما لزمهم
استمالة لهم على بؤسا معروين وضعفا مضرورين وسامهم بعد الاحكام
عليهم فى التراضى بزعامته والتواصى بطاعته عقد الوثايق عليهم بتصحيح مال
عقده ضمانة بتكسو وجبراب حق من يجبر حتى اذا استتب له ما اراد
واستوثق عليهم الحق وذاد وضع عليهم يد الاستقصا بعلة حاصل
وباق وجابر وناق فاخذ ما وجد من صامت وناطق وضاهل وناهق
حتى اذا اذب كل من ذى يديه وبار عن اطلال الضياع والرباع عليه
رام استنزالهم عنها طواعية او كراهية ثم اهتبل منهم فرصة الخلاص
على التظلم بما دهاه فاوهاه وعراه فعراه سبقه بمحض العصبة القابية
بالانك فى خفارة التوفير وكفالة التزوير فارتد على عقبيه خزيان
قد سال به السيل واستطار فيه الويل وناح عليه النهار والليل
فاما ان يزول على كرب وقلق واما ان يؤول على غيظ وحنق حتى استخلص
الضاحية والضامنة واعتصر البادية والكامنة وغادر الضياع حين
وشرد عنها الزراع حزين واخرس الثغاء والرغا وانطق الهام
والاصدا واظلم المنابع والمشارع وحمى المراعى والمزارع فلم تلك
عصافير الهوا وبعافير البيدا لا يستكرهها على طعوم القوانص وخفوف
الملاجى والمفاحص قد شحافاه للاطماع ولاما اخلا الكهوف
ومفاتح الولايج الجوف كالحوت لا يرويه شى يلهمه يصبح طارد فى الحرفه

وما به التخريب لولا اجتياح الممالك بجوعه واستحلال اجرام الملك
بن يوعه كانما عقد على الدهر حلفا لا تخونه واتخذ عهدا عنده يصونه
ويتحاماه من دونه منونه وهيهات انها مطالم جديدات
الشفاير ومعادم ثقيلات الغراير ومصايد طالما خنقت
نخاخها وضربت عليها الشاهمات رخاخها ومطاعم ظاهرها
الارى وباطنها السم وان من الربيع ما يقتل حبطا او يلم نعم ان امام
سوق الفسوق خاصة وعامة واباح حمى الفجور بطانة جامة
ملثم ما يسمه الشطارة ومستمطر ابقية الجيادة ومضاهيا
تيوس المجوس فى خبث الالحاد وصلة الاخوات والاولاد بلا انما نمته
ثقات خدمه واذنه على وجه الاكابر جيران حرمه وربما ارادوا
له فى الستر ملاما ورامو من تحذيره حدود الله وتخويفه عقاب
الله برما فما يزيدهم على ظاهرتين كاهرتين كحدق الجراد عما لها الجفان
ترابيها ولا اهدابت تقيها تصلعا بركوب الاثام تكلفا لمحظور
الحرام وانما اثبت لفظا لتكلف قطعا على ما سمعته بعض مشايخ شيا
الادب يحكى عمن سال ابا حاتم السجستانى عن قول النبى علم ابغض
الى الله شيخ زان وعايل مستكبر وفقير مخوز وزعم ان القياس
يقتضى كون الشاب الشديد الغلمة المغوى المنة ابغض اليه
من الشيخ المضعوف والمعتصر المنزوف فقال هو بنا قوله علم
ابغض لاشيا الى الله تعالى التكلف فابغض الشيخ لان فعله

استكراه الطبع

تكلّف وتفقد منه استكراه الطبع وهو تخلّف لذلك الحرف المتكلف والشرة المنوبة وتدفقني شبيبته على اقتراف المآثم واختراف جنى الجارم حتى اذا وضح القتير وزخ المسير وانجلى المير وافرغ ماء الصبير ابت عادة السوال ترجية من عقالها وتعريه من سربالها وتصحبه عن فصالها كما قال الكندي يا اخي عادة يجرى بها ضربا من الشين فعادة السو اذا استحكمت شر على المرء من الدين

هذا ولم يرض بالعقوق الذي وبيمه ووشمه وسيمه وجبه وجمه ورداه بالخزى وحمه حتى قطع على روس الاشهاد رحمه وقتل في التابع المستفيض ولده وكان لحمه ودمه فلو كان كاجداد الادا المشوبة في اخلاقهم بين الجبدة والحلوقة لكنى الحمزة بالجهاد والزبد بذوب الشهاد والكتم برشف الرضاب والملك بشرح الشباب والانس مطعم الوصال والحلو بطيب الحلال والمعقود بشرى النوال والعيش بموت العذال وشمس الجنوب بزوج الشمال عشق الادب قبل ان عقت عليه تمايمه وربته دون الاحتضان روايه فجا كالقدح هدىا وله النصل المطابد وجدا اسفله الريش الظهاد نا هز عشرين من سنيه يرى الخليل في جنب فضله خليلا وسيبويه كليلا وعبد الحميد رديا وابن العميد عميدا ان خط فنقش العيد على ايدى الكواعب العيد وان لفظ فعقود الزبرجد منظومة واتاجى البطاح مرقومة ولو لا ان اباه اعتسطه دون مداه لخلف من آثار بنانه وخلد من نوادر ابداعه واحسانه ما يفضح ما الورد في تصعيده وعصير الخمر عن عناقيده لكنه لم يغن الاقدار ما لمحته العيون حتى اختطفته المنون فقامت نواعى المجد يندبنه جميعا ويبكينه جميعا فطللت من بينهم مريعا انشد لهم واله القلب وجيعا قد كان لى في رايه وذكايه اشراط صدق ان يموت سريعا

ولقد ضمنى واياه مجلس اركان الدولة اليمينية فاتفقنا تانى الاثنين من بين الحضور على تناثت الهموم وتذاكر العلوم وتناشد ابيات الكرام واللوم فما كان الا ان حمى المجلس بناره وعقر الشرب بعقاره حتى انحل عليه عقال اختياره وانفتحت له اقفال اسراره تغرغرت في بحر الدموع عينه والقى الى ما ذات بين ابيه وبينه يعترى مما نشا عليه من خدمة الادب والاستغنا بعصام النفس عن عظام المنتسب كل طاعة من ولد في حجره والبروز على خالى زجره وانه حين ملك ابن ابيه وعرف من خله خمره وانفرد بتدبير معاشه وتوفير نعمته ورياشه ناهض باملة معونة ابيه ببعض ما يستحقه بررة الابنا على الابا فلم يزده ان ناجه في ابنه عن امه وحال بينه وبين ما كتب له من حقه مطاوعة لدقيق اعتقاده فذاق عسيلته واذاقه ذبيلته فجلاه عنهما تدبير دانيته وقاصيته وولاه ترتيب حاشيته وغاشيته وحكمه في عرض لده وساير ما تحت يده فاجى ذلك الفاضل دون نعمته واقعده دون الاستمتاع بلحمته فجعل وجعل كل من يصبى اليه مفغوما ومقدوحا حتى اضطره صراخ الناس والحاج الاملاس الى نصر الوزير الياس

شمس الكفاة باستماحته وانتجاع نداه بالحيلة فحين علم ابو المعتوه بحيلته
بشاطى الاقبال واستقلاله على تواطى الآمال ندب الفكر لاحتياله واشهر الليل
باقتناصه باحدى حبائله وحباله تدس اليه على ما شاع وذاع وشحن المسامع
والبقاع من ذعف له نقيعا غادره على فراش المنون صريعا واشخص غير بعيد
الى جوار الله ودار كرامته مستشكيا يديه فوق هامته ومستصرخا ذا العدل
ومالك الخلق على ظلامته ومحتبسا حول العرش الى يوم قيامته وحين شعر
قهرمان بيته وقد عاد الى ابيه السفيه بما كان استفضله عن رواتب نفقاته
واقتطعه دون عوارض حاجاته استظهارا به على حوادث النوب او استيفاقا
على معالى الرتب امد واخر زيفا به انفقا من جملة المال قدر ما قطعا به المسافة
اليه ووضعاه فى اكياسه بختومها بين يديه فكان جزاؤه مما امنه ان وضع الدهق
عليها حتى استغرق ملكها واستنزف صليب العظام من بين جنبيها
ثم قصد ملاذ زوجتها اشفاقا على صورة الحال ومستورة المال من هتكة
الاذاعة وفضيحة الكشف والاشاعة لولا انها اعتصمت بالاستناد دون صاحبه
من عدا ابا تمامه ومبرقا باستبراز ما وراه ولم يرض بالارث وقد حازه
دون مستحقيه من قراباته وذويه حتى قطع سياط المطالبة على وكلائه
ومواليه وهلم جرا الى شقيقة له محجوزة فى الحجاب معنسة دون
الخطاب خلافا على الله فى حكمه واجترا عليه فى فرض الاسلام وحتمه واستخفافا
لولع الاشر فى دينه المجروح وعرضه المفضوح وعقده المحلول وسره المجهول
بالغلول فعم امم ذكرانا واناثا عما يلبسوه من بال وجديد وطارف وتليد

اعتلالا عليهم ببقايا اخرجه للمتوفى على ضياعه ومنى تحت استغلاله وفى
ضمان مزارعيه وعماله ولم يستثن من جملة الداخلين كانوا اليه رحمه الله
للتسليم غير موسوم بجريمة وملدوم بتهمة ومنقوص عن ذخيرة وكريمة
ومطلوب على ما حواه من تبعة او ثيمة وذاته المقصورة المهجورة تشكو
اليه بلا ابها خشوعا وتمرى عليه مكاحلها دموعا ضيقا بما دهاها من اضاقة
واقرحها من بيض الشيب من فاقة وتسأله سؤال المضطر ان يملك
عليها ما ملكته ارثا وتحوى ما حوته عتقا وحدثا مصانعة له دون ما
اطلقه عليها من ايدى الجنود واخياف الترك والهنود فهو فى وجهها
ضجرا بما تشوفته من نظره وتلفتا لما خصفته عليها من ورق الصيانة
عن شجره وجعل يرميها فى جواب التلطف والتالف باحد من
مولة الهراع واشد من ململة القلاع بعل من لا تكفه حرمة
ولا تكنفه رحمة ولا ترق عليه رأفة ولا تخف اليه فى ذات الله مخافة
ولا يثنيه عن وجوه الناس حيا فى دينه تذال وعورة تنالها الايدى الطوال
فلما آيسها الاعراض ادركها الامتعاض والت حلفة مصبورة لئن
لم ينته عما لم يقصده والد ذات خدر وكريمة وربابة لتهتكن الحجاب
ولتطرحن الجلباب ولتحثين على قرونها التراب منطلقة الى حضرة
السلطان فى ايضاح ما وارته الجدر منه واطرحته المجاملة عنه
ولتمحقه ضماير الاشفاق فيه وطمسته ذيول المهاودة دونه
فقال المجنون لاخيه ومومعه فى نادبه اغلق على هذه القحبة

١٧٠

الورها قد ابطرتها الفضول وانطقتها دالة الاحتمال فما تدرى ما تقول هذه
والله حمية الابطال فى حماية الذمار وبغاية حقوق الحرم الابكار ورحم الله ابا الفتح البستي حيث يقول
لى جارة فيه جيرة عرسه تلعن ايره خلق الله الى الناس للعيرة عيره
ولما فرغ هذا الفاضل عن هلاك ولده ووراثة ما كان تحت يده
واعتصار المظلومة عن بلالة حالها وعلالة ما لها ندب احاه الصلبه
ومعوجزة اولاده ومن يرجوه لمشكله لمعاشه ومعاده للتقبل بمعاملات
ناحيته احتيالا عليه فى الحاقه باخيه واقتطاعه دون كفاف
يتصرف فيه فتلطف واعتذر واعترف بالعجز ما قدر حتى اذا اعياه
التلطف ولم يقنعه الا التصرف مد بد قبضته لربقة التقليد وكبر سبعا
على طارف الملك والتليد وما زال يحبى كل ولود وتزويد وتمرى كل بكى
وثرور حتى نضب المال الا قليلا وعصب ريقه الا بليلا فطفق
يعتبره بعجزه وتضجيعه ويبكته على خرقه وتضييعه وادعى جمع
عليه ما لم يثبته سمع ولا بصر ولا تنبته نجم ولا شجر ولم تطلع عليه
شمس ولا قمر وسبب عليه علاج الهنود وغلاظ كفار بلم السود
ما لا اوى متن طاقته واتى من وراء فاقته وحرشهم عليه بتطميع
فى عاجل موزون وترغيب فى آجل مضمون حتى اوهنوه شدا وايثاقا
وانحنوه ضربا وارهاقا ووضعوا عليه فى بعض لياليه دهقا استمر
به الى الصباح النابر حتى اذا لم يبق منه غير نافر الطاير علموا انه مظلوم
وان الانحا عليهم فى دينهم المدخول وشركهم المخذول محرم ولوم
دناة

اى تركوه

فنفضوا ايديهم بدم اعنيس اباه ومولى رضعه وربابه واطعمه
بعد الله وسقاه ومناط الامال الكرام بمن تونى رحمة الكافر
الفاجر على شاوته وطبع قلبه وغشاوته بمن يزعم انه والد يحنو
على ولده ويعتقده فلذة من كبده وبضعة من روحه وجسده
كل ذلك طمعا فى استزادة ماله واستصافة حاله فصار اهالى تحوعذوالـ
فلا رحم الله كل جافى العقيدة جافى المكيدة قاسى الفواد جافى رحما
الاولاد ان للآبا فروضا على الابنا وللابنا حقوقا على الآبا فان يكن من
فرض لوالدان لا يقتص منه متى قتل ولده وقطع ببده يده فمن حق
الولدان يطالع الله فى صلة رحمه وتقوى الاقدام على روحه ودمه
نعم ولما ان خف على البابس لدنه دا نجل حينه وصبه ابو دالى جانب
الامير ارسلان الجاذب فتى السلطان يمين الدولة وامين الملة
زحفة فى رجعة السهم المارق والرجم المقذوف على المارد السارق متقفيا
به عارض اليابس ومستقبقيا رو جامعلقة بخيط اليابس فآواه وقبله
ونشر عليه جناحه رحمة له وكتب الى اركان الدولة فى بابه بالطلاب ابطاله
عليه سعاية ابيه وقل دونه نكاية قصده وتجنيه وحاذر الفاسق
المارق افتضاحه باخيه الذى ولده كما افتضح بمن قبله ازداد الله
صداه وقبح اباه فلم يزل يراه بشعوذة المحاريق وبرقشة التزاويق
حتى اقرضه مما لا يسدّ به مخرماسيه وردّ مهجة على لا استغاصه وشابه
كابن المقفع حين اقرض السمان واستوجب الامن والامان

استعرض

ان ابن المقفع كان محبوسا على الزندقة عند السجان ... فاستقرض ... بالالحاد ... ثم جعل بعض الكتاب ...

اى قتله ولده بيده والده كما يريد عن ...

اى فى اضطراب

فلو نقب عن مناص قبوقه ومناخ جلده وعروقه لانتضى جبلا شحن
كل صباع وضواع وتغلب بين الوحوش رواغ دمار الدهر المذكور
يختلف به السرج والكور الى ان قدم شمس الكفاة وزير السلطان يمين الدولة
وامين الملة مرو الرود سنة ثلث عشرة واربع مائة مستوفيا على العمال
بقايا الارتفاعات والاموال يلجأ اليه لايذا بكنفه وعائذا براقيه
الكرام وواقية الايام من شرفه ومعتمدا حاله في الظلم الذي ضربه
بجريره ومعيشه معش المحتاج عادب بعيره ومواطيا لسانه فراش
التقية طاعة لله في لزوم الاحترام وصيانة للعرض من وشوم المذام
الى ان جرت مطالبة العامل اياه الى مثواه من باب ولى نعمته ومولاه
فكم ضرع اليد فما نفع وخشع فما نجع وتلطف فما اقصر واستعطف فما نجع
ولا ابصر حتى اذا عارضه الرد بحجابه وكلمه اليأس من ورا نقابه
باح على شمس الكفاة ببعض تلك المخاريق وصب له جرعا من تلك
الاباريق واشعره ان صنيعته لم تجم منه الاجاجا لايا ديه
مخالفا لمساويه مواليا لاياديه مخالفا لكريمة الحفاظ في مواليه براهين
كانسطع الصباح السافر اوسع النهار الجاهر مفرطة بصحايح الاقوال
مستثقة بفضايح الافعال فلولا كرم غرى بلبانه وعجن على سبكه
وبانه لوجهه رجم العفريت وضربه بالنفط والكبريت لكنه راى
ان يطعم عليه طرفي بساطه ويستبقى مختوم سره بين خرزه
ورباطه تقديما لشفاعة المشيب وتفويضا الى ماوراه من الاجل

القريب وافتنا عالمن يسمع وينظر وروى اواخبر بما يتناهبه الآفاق
من ذكر شيخ معايبه اجداث ولومه مكتسب وفضله ميراث
ولما تسامع اهل عمله بما ذكر من ديجه وظهر من رغوة صريحه تبادروا
الى مفصل الظلامات صارخين كما نفنق في الجوبات الاجداد وجهوا
في الشعب بحجيج البلاد واختلفوا في المظالم فمن قائل هتكت حرمته
وآخر انتهكت نعمته وثالث انتهبت ثلته ورابع طلقت عليه طلته
وخامس قتل على التعصب اخوه وابوه وسادس جدرت على المعروف
بشرته وفضت قوته فسجد بالانصاف ومنهم من جدد فسقى على
يأس الانصراف ورأى شمس الكفاة ان يسلك به شعب المجاملة
فطم بصرفه على نبابيث مساويه وصدف عن مسامع السلطان خبائث
افعاله ودواهيه واصم بدا التظلم عن شريف نادبه فعاد المذكور
ورائها مخذولا مقلولا واراد الله ان يقضي امرا كان مفعولا ولما رأى
ان قد صحت عليه افعاله وضحكت منه حيلته وادغاله وان الابليس
قد مضغه حين اطاع عبدا مملوكا في معصية خالقه ووصل شهوة
المخور في قطيعة ولده وعمر اطلال ضياعه بخراب آخرته وثبت
بيوت ثوب التاير الموتور والجانس المسعور ترنح مما جلاه على الفسوق
ووقاه من تمر الاستلذاذ بسليقه ذلك المشوق وبرك ان صنيعه
تلك يحميه سمة الامة وتقيه بناك الالسن لزائمه فاستترك
ما بحله من صداق ودجع عليه ببقية ما اثره من لجاجة اشداق

ويعراه مما اعطاه بعد ان ركبه فامتطاه ومبطحة للسياط بعد ان مطيه
لوطئ اللواط بستذ لامة جرذة طالما امتصها بثغريه وكشفها بعادصنيه
وقبلاها بنفسيه وابويه ودق عليها احد ولدية فهذه والله الجود
لا ما بني عن حاتم العرب وذوى عن سادات عبد المطلب فلحا الله من
رضى بها لنفسيه سيرة وخباها على تناسب الاحقاب كنزا وذخيرة
انه وذات الاستار بمكة لارذل من الغ في جيفة مقلوب وانذل
من طامع في ربطة مصلوب ان كان مما اتاه انتقاما فهلا ذاك
والولد حي وفي اليد من ملك الجبار شي الآن وقد سبق السيف العذل
وقد فعل القضا ما فعل اورداه قد نضب الماء وسئما وقد اصبحت
الشما وغبرة وقد سقط الجدار وسترة وقد ظهر الشوار هيهات
هيهات لظن هر جايل وراي فايل وطل زايل وردما هم سايل
ايتها النفس اجملي جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا واحتال
لذنبه معتصر شهوته للانقطاع الى معض كبرا الابرار فقبله واواه
وانتزعه من قبضة مولاه بن العمة كونه بنا بذ اضغانه وسثوته على جرايره
عمومه واشجانه فلا حميم ولا قريب ولا ولى ولا حبيب ولا والد ولا مولود
ولا عابد ولا معبود فاما الشرع وطريقه والدين وتحقيقه فحى هلا به
ان في وضوح هذه الخلال على شنو احكامها وسبقه احلامها
لغنية دون شرح الحال وتشريحها وتبليغ لسان المقال وتفصيحها
حتى انا لنتقرب الى الرسول الابطحي المصطفى النبي المجتبى صلى الله

عليه وعلى اله في قوله اذكروا الفاسق بما فيه يقتضي التنبيه على مخازيه
تلخيصا لخفايا نكره وخبايا ه وتشكيلا لاصلاع خبثه وزواياه ليعلم الافاضل
اني جاوزته على التهيد قريبا من سنتين فلا والله ما تضيقت به الاحلاق
به في المسجد الجامع للفرض لا يوما واحدا كبيضة العقرا او كقصة البكر
فاذا درب الخطا بيت به خطاه ام الجاه غدا نحو عقباه وتجاذبنا
حديث الصلوة فقال ما رجاه ما صدق ك الاما رج او سكران قام
بعضهم ومنه يسعى يوم جمعة للفرض وقد نودي للصلوة فقال له
صاحبه مكانك ان اربعة من جز البيوت لخير من اثنين من عمل السوق
وقد كان من طريق التجوز مساغ للتاويل على وجه التملح ولكن من
هذا قيله وترك العبادات سبيله فلا عيد يعتاده ولا فرض كما يقتضيه
العباد مجالد به غيرا ليقين بالالحاد وتلقى اوامر الشرع بالعناد واظن
تلك الغلام الواصف مولاه انه ليعرب في الشتم ويلحن في المجاب من
تعوذ ويبكيك من قيام يودك الحصورة حاله ويأوى الى المقصورة خبثه
وضلاله فجل احواله عيوب ومعظم افعاله ذنوب يصلى فيخفض
اركانه ويشهى فينصب سيقانه يخاطب بالكاف اخوانه ويشتم بالزا
غلمانه ويكشف للشر الكامنة ويبعث للاثم اردانه ومن نادرة اعتقاده
الاعتراك على عيد الابد ثم لا يبقى محظورا ومحجورا ولا يستبقى عملا موزورا
ومنكرا من القول وزورا ها هو طمع بمشهدي في مال رجل كان
انقطع اليه مدة زمان باما ان فاغرى به ربيبا له كقضيب من الابن

فتكه في — الا دم — يوم الارض

مثابين بعلة فتكة كان بامه اذ هو رضيع وعلى جدالة المحجة صريع ولقنة
استعدا الامير الاجل ابي سعيد مسعود بن يمين وامين الملة عليه وتنجز الامر
في معنى الانتصاف اليه لقتيبة ذلك الامير المعي والسيد الودعي على
غامض كيده وباطن ختله في صيده فامر بالكتاب الى في تعرف
الحال وتجنب جانب الاحتيال والانتداب لاعدا الشاكي على خصمه
وايفا يه حكم الله في امه فلما احس اخو دلة المحتال له ان جدسه قد قال
وظنه استحال وسعيه الى التبور قد مال منع شهود الزور ان يصدعوا
بالحق فيما بذلوا من حظوظهم ترغيبا وترهيبا فرضوا القول وادعوا
على مبيلتهم الحول ومال المزور والمزور الى التوسيط عن دم المستباح
دنما على مائتي درهم قيمتها خمسة دنانير فلم ادر ايه بحلة وقعت
بارش ديات الامهات على هذين العقدين عما في الاسلام له ذكر
معلوم ولا الفقه باب مرقوم ولا عند اهل الكتاب امر محتوم ولا في
ديار الشرك رسم مرسوم ولا في فطر النفوس ان تنزل عن امهاتها مقتولة
بهذا التركيب والثمن البخس ولا الحنا بيض ولا القرود لو نطقت
ترضى عن امهاتها بمثله وكم قد قلت واقول انها ليست دية مودية
او دية بل هي دية تسمية مسلمة قد حقن الله دمها الا باحد ثلث
نصا عن رسول الله رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين
فهل يستجيز الترخص في هذه الاحكام الا المستخف بدين الاسلام اما
ان المحكوم عليه لم يلتزمها الا بقرة توءمت مائة وعشرة فقال

أهل — أو ذمية

المفجوع المخدوع تالله لا رضيت بهذا الغبن ولا شربت الدم الحرام باللبن
وهم بالرحيل في اجر الفتيل ما غيل فلم يدر الا كلته النار ام شربه الما
والتقطته الارض او اختطفته السما فلله هامن دم كان من ذهبا
بطرا او تخصيص فقد اغيله وسحرا هذا والله الدين السليم والعقد
الحكيم والامر القويم والسمت المستقيم والمبالاة بما وراه الجحيم فيما
يريده ادام الله عز المشايخ فصوحا وتقييد هذه المقدمات وضوحا
ما كانت الاخبار تتشاهد به من استحلاله عند الاشفاق ومن لواحق
جناياته على سلطان زمانه ورعايا عمله وسكانه جنس ما ينسب
اليه من صبايع وعقاب وبازي وذاب ليتناهب ذكره الاسماع
وتتقاصر دونه الاطماع حتى اذا ما خلا جوه واستقام على ايقاع
المراد شدوه ندم على ما فعل ورجع فيما بذل بحجته وقصد
بالفسخ كل ما اجمل فكان هذا البلاغ يقرب تارة من الامكان
ويبعد اخرى حتى اغنى شخص العيان عن الخبر وناب شمس البيان
عن القمر وذلك حين بعث السلطان يمين الدولة وامين الملة
قاضي قضاته ابا محمد عبد الله بن محمد الناصحي الى ديار خراسان
لتدارك امور الاوقاف وانتزاع ما اقتسمته ايدي التسلط والاختطاف
فرفع اليه خليفته انا حاضر والى حقايق ما يرد ويصدر ناظر
ما تقرر عنده من اختيانه بما يقارب مائة الف دينار عن اوقاف
وضع عليها بيمة التملك وسومة التغلب والتحجر كاغما فيها افواه

اي هدرا

اي ما نزدها

انتصب على انه مفعول لاجله

الايقاع ... الاوتار واستقامة ... على الوزن في الموسيقى

ابا بهادور التظلم بوعلى دونه رقراق السراب ووعيد عنده دراق الرقاب
حتى درج عليها قرن بعد قرن آيسين عن الانتصاف وخلف من بعدهم
خلف . فانعين من دونه بالكفاف فاوحى اليه بانعام الاستقصا على حكم
امانة القضا فقام فيه وقعد وابرق وارعد وانتزع ما الاعظم من
تحت اضابيه وحذره الافتضاح ان تعرض لمرابيه وكان قصاراه
ان سكن وسكت وخشي اسوة امثاله العنت واحضر الرجل طواغيت
الشهود وعفاريت المسبوق والمردود وعقد بمشهدهم على شهاداتهم
وثائق بوقفه كل ما ملك واطلاقه على وجه الله جميع ما امسك
يرى بما فعل ان المنسخ بما تحت يده من قليل وكثير وذهيب وغفير
براء عن المطمع في مال لغيره موقوف وغرض الى وجوه القربات موجوف
مصروف فلم يتراخ الامد على هذا العقد الوثيق والخذلان المنتشبه بالتوفيق
حتى قال لي وهو يستلو الوزير شمس الكفاة وسماعه اباطيل السعاة
ما هو الا ان احمل عقود املاكي هذه على طوره الى العراق بالياخراسان
واهلها وقاليا قرارة الميلاد ومباءة الطارف والتلاد فقلت
انا لله وانا اليه راجعون من شيخ هذه بقيته وما لفظ به على وجه
الاستخلال وغيظ النحر عن املاك الرجال تقيته هذا ومن فضل
سماحته واساحته فبض راحته ان كل من سأله في حلية على
عمل يليه او مال يجبيه كاله ما شا جزافا ووزنه تبذيرا واسرافا
واستحقاقا لشهاداتهم له بجوده وتخرقه حذو الكرام بموجوده

حتى اذا قضى الوطر منهم وملك بسطة الاستغنا عنهم تتبع عليهم هنابات
القلوب وخلالات القدور بالثغور وقمامات الاطراف وصواكات الاصواف
فجعل المطعوم في زنة الذهب المصون والمشروب في قيمة الجوهر المخزون
والدرهم الواحد قنطارا وجريبا في دواوين الشرق قطارا بسعاية من
خشت ارومته وبست على دمنة اللوم جرثومته فيصد نحنه العامل
المجاور الآمل معفونا مدة مقامه بوضوعا في شرابه وطعامه مجموعا
بما اقتناه غابر ايامه مجموعا على شهادة ختمت صحيفة آثامه
وقد حصف على ترجيه بكلتي يديه يبارك في عدوه السليك وينادي
لبيك اللهم لبيك ولبست هذه من آثاره باعجب من كمون اخباره
وبسدول الاشتباه دون اسراره وقصور يد الانتقام من معقد
ازاره غيران لكل شي امدا واي الله ان يفلح الظالم الا ان المال
يغزر المال ويحقن الدما ويجمع الاهوا ويدفع القضا ويستر العوار والعوار
وقد بالغ ابو الفتح البستي في النصح حيث يقول

استشفع على الدرهم والعين تسلم من العينة والدين
فقوة العين بانسانها وقوة الانسان بالعين
غزال المال من سلب الجمال واورث المقبل الفال فهو باك ولا الذين مطلوبا والذنب
مكتوبا والانف مجدوعا والبنان مقطوعا فقبح الله الاعراض
دنيت الاعراض والاموال متى لطخت التربا والاملاك متى اعرت الادراك
والخرايب متى ابدت المعايب فاما مواده ومطاعمه فحذوها الكلم باسناد

العنت الإدبار والمضرة

الطاغوت المارد الطاغي وما يعبد من دون الله

ابرق خوّف بشي لا يرى او عد بشي لا يوجد من البرق والرعد

كما انفتح الاصابع وانشقت الكعوب الفوابع انه يغدو مع صفير العصافير
على اطعمة تربو عليها احشاه كما حشا الدقيق جرابا وانقل الرصاص كعابا
كما هو الآن يذر وربض الشمس على صلايات الجدران حتى كان او لاد
البقر تلحس فواده وكان الطليم فرعى فيه ميلاده فيتعذى بالبقول
سنة وعادة وبما يجانسه من عمل السوق شهوة وابادة حتى
اذا طبخ كالدولمن فتح كفه وقبض الكف على فرم لا يطير داجنة
ولا ينثني دون الجذب بحاجبه فاذا انتصف النهار او كاد والتحفت
الجرباء الاجادة دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وبما يقيم رسمه
الصلف فاحتشى من كل حلو وحامض وامتلأ من كل بكر وفارض
حتى يخشى عليه في الصفاق من الانشقاق وفي العروق من البثوق
فيظل باقي النهار يشكو امعا معاوية وخلا خابية خاوية خالية
حتى اذا جنح الاصيل ومنه الطفل على الليل بالتطفيل اعيد
عليه الطبائخ والعروف وحشر اليه القطائف والمعروف
ثم يؤتى كالمبينة بلفايف كالاضابير مطوية والطوامير مختومة ومبيحة مشدودة
وربما تغاب بعض ساعات الليل فينادي بالجوع ويلا في الظهاة
بالقنوع فيطاش عليه عجالة الوقت من مستودعات البابي ومطنجنات
الطيور والقرابيق فيتهجب عليها من عرقيام ويتسجح منها العرصيام
طعاما لا يشركه فيه غير الملائكة حاضرة والكواكب من محاجر الظلام
ناظرة فما الارض ومن الغاية في الالتقام والالتهام والا الدعص وهو النهاية

في الاشتفاف والارتشاف بابلع منه لو افنا ازاده ولا باجرع لو لا فضا نفاده
ومن نوادر امره في المعاقرة انه يكتتب ضمنا في التنقل من الصبوح الى
الغبوق والتردد بين الفجور والفسوق فان نشط للتنزه تبوأ
مقاعد الاكتاف كما تبوأ مقاعد الاحقاف فتهادى بين اثنين
وجيفة في جلدة شيطان في صورة افعوان قد بجم بينهما تنوخ الفحل
للرماك بل ضبيع الداهيتين بالضحاك وربما بقي في التمارض سنة
واكثر شفقا من تكلف الخدمة لولي النعمة وتجشم المسير الى
باب الوزير فيرسو على التعالك ما لا ويجلو وجوه الاطبا واصحاب
الاتهام وقرها خفافا ويدودا ثقالا وليس هذا الاحتيال باعرف
من اكتتابه الزمانة على امتناع الطباع وشموس النفوس دون
الاصغا اليها فضلا عن القران عليها فسبحان من خلق النفوس اطوارا
وجعل من الهمم انجادا واغوارا هذه من اعيان مساوئ هذا
الفاضل العاطل لو سردت امثالها لطال الكلام وكال الابرام
وورااها من دقايق الظلم المذموم والدغل المكتوم وثقل الجيرم
والدل المملول بلعاب اللوم ما يربي على دقايق الابراج واجزا
والصغاير جواهر الاشاج على الامراء كباير كما رغبت الشعور على الايام غدائر
ولقد احسن ابن المعتز حيث يقول
خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى
وبما اقتضى التنبيه على معاير المذكور ومعايبه والفلي عن سمط عقايبه

١٧٦

وذو ابيه مقابلة صنايع لي عند ايام آل سامان وبعدها في
حق قضيته وعهد رعيته وعيب طويته وسر خفيته وشغل كفيته
وبر اوليته بان كاشفني لوده جمعتني وولده المعتبط ابا المظفر
رحمه الله بعدا ولم يرج لعظيم سيلها صفا ولا لبهيم ليلها انقضا
وذلك لان شمس الكفاة بدلني لمجاورته وتقمص لي حرزا بمجاورته
مكافاة على خدمتي دولة السلطان يمين الدولة وامين الملة
باليميني في شرح اخباره ومدح مقاماته في عديده وانصاره
فاراك يبري اليد مني بسمة كقطا دريه وقيعة كبراب
بقيعة على غفلتي دون ما ينصبه لي من شرك وبهيجة من
معترك تمويها له اني الحقه كافر وعن فرض محبته نافر والي مربوق
بعين الكفاة في استحقاق صدر الوزارة مايل وفي شعب الاختصاص
به والانقطاع اليه سايل اكذوبة لم يخلق الله لها راسا ولا ذنبا
ولم يضرب لها وتدا ولا طنبا ودمنة لم تهتد دمنة لتسوير
جوانبها ومصفوف كلامها واباهرها حتى هاجه علي كالليث
موتورا والنمر محرجا ومغرورا فلم تدحت جمي استنزلته
عن جرانه وشابه وجهدت حتى بحوت منه براسيا
بما بين فطفقت انشد وقد فاز قته سالما

اذا نحن ابنا سالمين بانفس كرام رجت امرا فخاب رجاوها
فانفسنا خير الغنيمة انها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

واغرى في بدر الملك ابن شمسه يمين الدولة وامين الملة في عظيمة
لولا ان الملهمة الاناة واشعرة الحصاة نقر ونقب واستشف
اعطاف البلاغ بعقل من جرب ودرب لثارت علي منه داهية
لا تبقي ولا تذر ولاستطارت عبا قبة يغني عليها الشعر والنثر
ثم الله تعالى بان فضح الماضح فيما زوره وكسف وجهه
وكوره واهواه فيما حفره وخنقه بقوى ما ضفره وسخم وجهه
بثوب الانتحال وكشف عورته لفحول الرجال وجعله عبرة للعابرين
بشرح هذه الاحوال فمن قرا هذه الفصول فليحمد الله على
السلامة من مثلها والبراة من فوادح الاوزار وقوادح النار بها
وليعلم ان الاساة تعقب على الايام عتبا ثقيلا وعنا وبيلا
وخطبا جليلا ولسانا كالحسام صقيلا وقبح الله من نقص عمره
على زيادة الاثام ومساة الاجرام وحيازة الملام

ويرحم الله عبدا قال آمينا والحمد لله رب العالمين
على اتمامه والصلوة على نبيه محمد واله

فرغ من تنميقه العبد المذنب الجاني
الراجي رحمة الله وغفرانه
علي بن اسعد الفقيه الدادابي غفر الله له ولوالديه
ولجميع المومنين والمومنات انه ولي الاجابة
في سلخ ربيع الاول سنة ستين وستمائة

بلغ مقابلة على نسخة المصنف

المعاملة مار كاشفني

اي كاشفني بعداوة

الوقيعة النميمة

معروف في الحيل

اللهم

ارغوره

الانتحال والاختلاق



